ابراهيم محمود

إقليم

كوردستان

خارج حدوده

بين مطرقة الإرهاب و سندان المصلحة إقليميا و دوليا

دراسة

إقليم كوردستان خارج حدوده..بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة إقليمياً ودولياً

حكومة اقليم كوردستان
وزارة الثقافة و مالشباب
المديرية العامة للإعلام والطباعة والنشر
مديرية الطباعة والنشر – دهوك

❖ اسم الكتاب: إقليم كوردستان خارج حدوده.. بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة إقليمياً ودولياً –دراسة–
❖ الموضوع: سياسة
❖ المؤلف: ابراهيم محمود
❖ تصميم: نازدار احمد جزراوي
❖ تصميم الغلاف: گوهدار صلاح الدين
❖ حجم الكتاب: ١٥ × ٢٢
❖ عدد الصفحات: ١٦٨
❖ السعر: ٤٠٠٠ دينار
❖ عدد النسخ: ٥٠٠
❖ التسلسل: ١٨١
❖ الطبعة الاولى
❖ المطبعة: مطبعة محافظة دهوك ـ دهوك/ كوردستان
❖ رقم الايداع: ٢٠٧٥ لسنة ٢٠١٥

© حقوق الطبع محفوظة للمديرية ومؤلف الكتاب

إقليم كوردستان خارج حدوده

بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة
إقليمياً ودولياً

- دراسة -

إبراهيم محمود

الفهرست

في مقام التقديم

الإقليم في انتظار ساعة الولادة الكبرى ٧

القسم الأول

موقع إقليم كوردستان في حدوده الإقليمية..... ١٣

تقديم واضاءة ١٥

كوردستان بالمفهوم الإقليمي ١٩

بين المصلحة والإرهاب ٢٨

إقليم كوردستان ضمن الجغرافيا العراقية ٥١

إقليم كوردستان وصدى حضوره إيرانياً ٦٦

صورة كوردستان في المرآة التركية ٧٦

إقليم كوردستان وانفجار الأوضاع في سوريا ٨٧

القسم الثاني

موقع إقليم كوردستان في التحالف الدولي ضد الإرهاب ٩٧

من باب التقديم ٩٩

مواقع القوى العالمية وموقع الإقليم ١٠٦

السيرة الذاتية للكاتب ١٥٥

في مقام التقديم
الإقليم في انتظار ساعة الولادة الكبرى

انشغلتُ كغيري بالخطر الذي يمثّله الإرهاب عموماً والإرهاب الداعشي خصوصاً، على الكورد في مجموعهم، وإقليم كوردستان ضمناً، وتحديداً، منذ غزوته للموصل في العاشر من حزيران ٢٠١٤، وما استولى عليه من أسلحة ثقيلة للجيش العراقي هناك، إلى جانب نهب مئات ملايين الدولارات المودعة في البنوك الحكومية والأهلية، إلى جانب نهب الناس في متاعهم الغالي والرخيص، ومن ثم غزوته الجائحة لحدود الإقليم، وحدوث كارثة شنكال المروعة في مطلع آب ٢٠١٤، وبعد ذلك توسيع رقعة الحرب على الكرد في مختلف مناطقهم من حدود كركوك حتى كوباني في روجآفا كوردستان.

ولعل هذا الغزو بحلّته الإرهابية الجديدة، وهو يتجاوز إرهاب الدولة بالذات استثنائي من حيث التكوين وطبيعة التحرك، وحتى علامة الإرهاب والخطر، كون إرهاب الدولة ينحصر في نطاق حدود معينة، وأفراد معينة، وأجهزة قائمة: إيديولوجية وتفرز العنف، سوى أن الأول، والاستثنائي،

يتعدى الحدود، ويشكل تهديداً يصعب حصر أخطاره في المنطقة والعالم، لكن الكُرد ظهروا الهدف الأشمل لهذا الإرهاب.

ثم برز الاهتمام الدولي بالإقليم ومدى قدرة الإقليم على تحدي الإرهاب والداعشي منه في الواجهة، ولأول مرة في التاريخ الكوردي، وسط ذهول لافت من قبَل دول الجوار المتقاسمة لكوردستان، ليصبح قِبلة الإعلام العالمي والإقليمي والمحلّي، وما في ذلك من تأكيد جلي حول تحولات انعطافية في السياسة العالمية، وحتى على مستوى الاتفاقيات الكبرى ومفهوم الدبلوماسية، وإعراب السيادة في التصريف الحدودي والدولي، والموقع الذي يمكن أن يشغله الكرد، وبدءاً من كوردستان والدور الكوردي في روجآفا كوردستان وفي المناطق الأخرى، وما في ذلك من دغدغة مشاعر، وانشداد إلى أهداف أو آمال مشروعة لها صلة مباشرة بالاستقلال الكوردي بجغرافيته الكوردستانية، أو ما يمكن أن يتأمله الكورد جرّاء هذه التحولات الكبرى.

وما حاولت كتابته ترافق مع الغزو الداعشي للإقليم ولمناطق الكرد، واشتداد خطره الإرهابي بأبعاده وجذوره المرئية والخفية، ودعاته ومغذّيه والمنتمين إليه، دون إطلاق أي حكْم لأن الحدث لم يكتمل، كما أن هناك ما هو خفي يصعب التنبؤ به ونحن في عراء تاريخ عاصف وزلزلة عالمية ولمواقع القوى الفاعلة.

لكنه الخطر الذي يتطلب الجمع بين ميزتين في المجابهة: كيفية رد العدوان الفائق الخطورة، وخصوصاً في ظل هذا التكثيف لقوى دولية: أميركية

وأوربية، حيث الكورد في مقام اللاعبين الرئيسيين في ساحة الحرب المفتوحة والساخنة وفي أكثر من جهة، وكيفية التنبه إلى النتائج التي قد تكون كارثية، كما هو وضع الكورد في مواقع مختلفة مع الآخرين، جهة الالتفاف عليهم، إذ إن قولة "لا يلدَغ المرء من الجحر مرتين"، يصعب إن لم يكن يستحيل تطبيقها على التاريخ الكوردي، لأنهم تعرضوا للدغات لا تحصى، إلى حد إمكان القول أن جغرافيتهم المهدورة امتلأت بالجحور واللدغات المستمرة ممن طلبوا ودهم وانقلبوا عليهم.

وما حفّزني على الإسراع بنشر الكتاب، هو مشاركتي في ندوة حول "**موقع الإقليم في التحالف الدولي ضد الإرهاب في جامعة دهوك**"، بتاريخ ٦ من تشرين الثاني ٢٠١٤، من خلال حديثي عن "دور الإقليم في التحالف الدولي ضد الإرهاب"، وكان هناك تداخلات بين أفكار لي وزملاء آخرين في الهم الفكري والسياسي الكورديين، ولا بد أن يكون هناك تشارك من هذا القبيل، سوى أن زاوية الرؤية الفكرية مختلفة، بحيث تكون الموضوعات كافتها مثرية لمفهوم الندوة، وإذا أضفنا جانب النقاشات والملاحظات من قبل الحضور المعني أساساً بالموضوع، تتعمق أهمية الفكرة الجوهرية للندوة، وضرورة ظهور ما كتبتُه في أسرع وقت، وهو يتناول موقع الإقليم من جهات ثلاث: محلية وإقليمية "جوارية، حدودية" ودولية.

ولا أخفي أنني بدأت القسم الأول، في محاولة للكتابة حول موقع الإقليم خارج حدوده بالنسبة لدول الجوار: إيران، تركيا، سوريا، والعراق ضمناً، وتوسعت فيها، ليشغل المكتوب المساحة الكبرى من مؤلَّفي، ثم طُلِب مني

لاحقاً، أن أكتب في إطار التحالف الدولي ضد الإرهاب، فكان ما كان، وقد ارتجلت فقرات منه، لأن من المستحيل بمكان، تسمية كل ما ورد في الموضوع.

لهذا، كان لكل قسم لائحة بأسماء مصادره وهوامشه وإشاراته، وبينهما تكامل طبعاً.

وربما كان من الجدير بالذكر تثبيت ملاحظة، وهي أن الموضوع في عمومه، لا يخلو من جانب تأملي فكري، وهو ما شددت عليه، لأن ما تابعناه خلال الأشهر الماضية وعلى مستوى إعلامي وعبر برامج خاصة ولقاءات وحوارات وندوات، كاد أن يغطي على كل شيء، سوى أن الجانب الفكري الذي يتصدى لما هو أبعد من المطروح، ويحيل الإعلامي والسياسي القائم إلى مادة فكرية دون الخروج من "طراوة" التاريخ، هو الغائب أو القليل الحضور، نظراً لوتيرة التسارع في الأحداث ودوران عجلة السياسة الدولية هنا وهناك، وصراع المواقف وتشابك المصالح، ووطأة الإرهاب بشكل متفاوت، ولهذا كان العنوان الذي يسمّي إقليم كوردستان وهو يتحرك بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة، وكيفية حفاظه على توازنه.

ولعل القادم من الأيام وحده ما يفيد ويمثّل حُكماً على أهمية المثار في الكتاب هذا، إذ إن الأهم في كل شيء، هو ألا يقول المرء كل ما يعرف، ويشرح كل شيء، وكأنه يعرف حقيقة كل شيء، وأهم الأهم، هو ألا يعتبر الكلمة الأخيرة هي كلمته، حباً بالحقيقة التي تتجاوزه، حسبه أنه يفعّل دوره

ويخلص لمبدأ إنساني يسمّيه.من هنا، وانطلاقاً من هذه المقولة الأخيرة، ربما يقدّم هذا الكتاب نفسه..!

لعل القادم من الأيام ما يميط اللثام عما هو مستجد أكثر، خصوصاً في ضوء انتصارات الكُرد، وتحديداً بالنسبة لإقليم كوردستان بالذات، ومنذ الرابع عشر من الشهر الثاني عشر لعام ٢٠١٤، على الإرهاب الداعشي العلامة ومن وراءه أو معه ظاهراً وباطناً، وحتى في كوباني حيث تجلّي الزخم الكوردي، وما في ذلك من سطوع نجم الكرد باضطراد محلياً وإقليمياً ودولياً...!

ابراهيم محمود

دهوك

القسم الأول

موقع إقليم كوردستان في حدوده الإقليمية

تقديم وإضاءة

سأغضُّ الطرف عن مجمل ما قيل أو تردَّدَ شفاهةً أو كتابة عن إقليم كوردستان منذ تعرضه للغزو الداعشي في مطلع آب ٢٠١٤، وانتشار هذا المد الغزيوي إلى مناطق كوردية أخرى في روجآفا "كوباني في الواجهة"، ليبدو المشهد الجاري حرباً بالوكالة بين من يحارب داعش باسمهم في الحدود الإقليمية وخارجها: دولياً، والكورد من خلال حكومة الإقليم بأجندتها السياسية والعسكرية وفئات المجتمع كافة، مع فارق الأرضية والهدف طبعاً، وذلك من خلال متابعاتي المختلفة، وأنا أستدعي في ضوء هذا الكم الهائل من المقالات والتصريحات ذات النسَب الإعلامي المتعدد المستويات كوردياً وعربياً وأجنبياً المفكر الفرنسي جان بودريار "١٩٢٩-٢٠٠٧"، الذي أنكر وقوع حرب الخليج "الثانية" سنة ١٩٩١ على وقع الضخ الإعلامي الهائل ولعبته حينذاك، مذكّراً ضمناً أن الكرد الذين تجاوبوا مع الحرب ضد نظام صدام كانوا الضحية الكبرى للطاغية العراقي وبطانته ومن معه والذين عايشوا صرخات الكرد وصدى خطواتهم ثائرين على النظام خارج الحدود العراقية الرسمية، وقد اكتفوا بتقديم جرعات إنسانية أبقتهم في خوف من مفاجآت التاريخ الذي لم يكتبوه إلا بنسبة لا تكاد تُذكَر من خلال تشظي جغرافيتهم وهم أنفسهم بين دول المنطقة: العراق، تركيا، إيران، سوريا

وغيرها، خوف لا يبرح ذاكرتهم يشدّد على إبقائهم أسرى جغرافيتهم طائفين بصورهم المدماة إقليمياً وأبعد منه بكثير.

والتحديد الجغرافي بعلامته الفارقة، ليس محل مناقشة، بما أنه يمثّل واقعة تاريخية، مهما اختلِف حولها بالمعنى السياسي، إذ من داخل معمعتها كان هذا المعترك الكبير على أكثر من صعيد، بالقدر الذي يسمح لنا هذا التركيز بمقاربة أكثر تلمساً لمكونات ما هو أكبر من الحدث الذي لما يزل شغالاً بمؤثراته، هذه التي لا يحاط بها بيسر.

وما أنطلق منه، ليس إزاحة كلّية لما هو متردد إعلامياً، إذ ليس في وسع أي كان تجاهل مدى حضور الكرد والإشارة إليهم، لا بل والتركيز المتعدد الأبعاد عليهم إقليمياً ودولياً، ومن خلال ذلك الاهتمام العالمي بهم: بالإقليم بالذات، ليظهر، كما لو أن الإقليم هو خلاصة الكورد وكوردستان، كما شوهد ذلك من خلال زيارات لافتة لأقطاب السياسات الرسمية للدول ذات الوزن النوعي أو الاعتباري الاوقيانوسي، بدءاً من الولايات المتحدة وجل الدول الأوربية "في شهر آب المذكور خصوصاً"، وليظهر أيضاً أنه بقدر ما تجلى الإقليم خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان، كما تقدمَّ، بقدر ما برزت لعبة القوى الكبرى، إذ إن الانطلاق من مسرح اللعبة الدولية والإقليمية ومن داخل الإقليم هذا، يقرّبنا من مكاشفة أمور كثيرة وخطيرة، أو ما تكون كذلك، لطالما عاشها الكورد تاريخياً، وتوجسوا خيفة منها، وبوغتوا بنتائجها تالياً، أي بما كان ذلك مخطَّطاً من خلالها وكانوا ضحاياها التاريخيين بامتياز طبعاً.

سأدفع بالقول خطوة أخرى وهي غير مسمَّاة، وتكون مدعاة لحزمة تساؤلات قاعدية، من خلال مقاربة بنية المشهد هذا، وهي تتمثل في أن

بروز الإقليم بمثل هذا الزخم الإعلامي والاعتناء به على أعلى مستوى دبلوماسي دولي، وربما ذهول وتساؤلات في المحيط الإقليمي: في الجوار الحدودي، بشكل غير مسبوق البتة، وما يمكن أن يُزيدَ في غبطة الكوردي عموماً وفي الإقليم خصوصاً، ودغدغة ذلك الشعور القومي الذي لطالما دُفِع من أجله الغالي والرخيص: الاستقلال القومي المعترَف به دولياً، وهو الشعور الذي لا يمكن الطعن فيه، إنه لبروز يؤخذَ به من خلال تشابكات القوى واستطالاتها القيمية ويشخص كثيراً، سوى أن التحفظ وارد هنا جرّاء الطعنات التي تلقاها الكرد على خلفية سيناريوهات من هذا النوع.

وفي الوقت الذي أؤكد هنا، على لزوم عدم النظر إلى التاريخ "**بلوكياً: كتلة واحدة صماء متشابهة**"، كما هي متغيرات العالم من خلال مفهوم العولمة والمستجدات التي تمس ما كان يعَد من الثوابت في حدود القومية والسيادة والسلطة والعلاقات بين الأمم والشعوب، وتحديداً بعد انهيار الاتحاد الوسوفيتي منذ ثلاثة عقود زمنية، وإمكان الحديث عن الكورد وحتى كوردستان في المحافل الدولية والإقليمية، وفي منابر الدول الأكثر حظراً لذلك كتركيا، علي أن أستدرك وأسارع بالقول الآخر المتمّم والكاشف للعبة المتعددة الوجوه تناسباً مع مفهوم العولمة وأقنعتها، وبالنسبة للكورد وواقع الكورد وفعل الجغرافيا السياسية في التاريخ، وموقع كورد اليوم مع جغرافيتهم المجزّأة اليوم في الخارطة السياسية العالمية، ومن خلال الإقليم بالذات، وهو داخل هذه النظرة البلوكية، ثمة نقاط صمّاء لها صلة بالاستراتيجيات الكبرى، تعتمد أساليب دقيقة في تصريف الأمور المتعدية الحدود، والكورد من خلال ما هو ما جار، كما يبدو، مطلوبون للانخراط فيها، ليس باعتبارهم أداة ليس إلا ما وسعَهم جهدُهم الاحتياطي وأهليتهم

للمجابهة، إنما ما يمنح الأداة بعداً إنسانياً دون السماح بظهور الكورد في مستوى آمالهم أو طموحاتهم حتى في المدى المُغطّي لحدود الإقليم بالذات، ليبقوا محصورين في ضوء المعايَن بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة: الإرهاب الذي يُعطى هوية إقليمية قبل كل شيء، رغم "كوننته" للتركيز عليه طبعاً، والمصلحة التي تشير بأسهمها الواضحة للعيان إلى الدول التي تتصدر الواجهة الكونية، ولنشهد هنا تداخل أقاليم دون الخلط بينهما، إذ علينا في الحال أن نتوقف عند مفهوم الإقليم: **الكوردي**، الإقليم الذي يتجاوزه في الجوار الجغرافي، وما هو أبعد دولياً، إذ إن أبسط ما يمكنني قوله في هذا السياق هو أن كوردستان كانت مسرحاً لحروب وغزوات مذ وجِدت، وبالتالي فقد وجدت نفسها، مثلما أنها وجِدت منذ عصور تاريخية موغلة في القدَم أبعد من أن تُسمى بـ"الجغرافيا المستقرة"، أما على الصعيد الإقليمي وجرّاء انقسامها، فقد سُلبت حدودياً من ناحية، وجرَّت إلى نطاق الاستباحة جغرافياً من ناحية ثانية، والأهم، هو أنها عاشت توترات إقليمية داخل حدودها المعتبَرة كوردياً، وبالنسبة للدول التي تقاسمتها، لتبقى نهبَ ما هو إقليمي قبل كل شيء، في الوقت الذي جرّدت من اسمها الجغرافي والقومي، وتنامت هذه الصورة حديثاً، كما سنرى. شدّوا الأحزمة إذاً !

كوردستان بالمفهوم الإقليمي:

الإقليم، كما هو معروف، في الأصل مفهوم جغرافي كما في الحديث المتردد والمدوَّن عن البيئة الجغرافية، وبمعناه السياسي كما في الحديث عن النظام الإقليمي، باعتباره أرضاً بحدود معلومة ومعترَف بها سياسياً. ما هو النظام الإقليمي إذاً. إنه (اصطلاح يشير إلى مجموعة من التفاعلات أو شبكة علاقات القوى "التعاونية والصراعية" على حد سواء– التي تتم فيما بين عدد من الوحدات الدولية، في منطقة ما، تُحدَّد عادة على أساس التجاور الجغرافي وأحياناً التماثل في نواحي الثقافة والاجتماع والاقتصاد...الخ.)[1].

إن الصراع شدة أو ضعفاً، يتناسب وأهمية البيئة بمعناها الجيوبوليتيكي، وبالتالي، فهو يحمل بقدر ما يقدَّم مفهوماً سياسياً يتعدى حدوده المحلية كما هو موقعه السيادي، وهذا ينعكس على نظامه، بقدر ما يتخلل آثاره التاريخية.

وإذا كان جائزاً القول بأن الشرق الأوسط كمفهوم إقليمي سياسي يفصح عن هذا التنوع في العلاقات الصراعية، فذلك عائد إلى أهميته، حيث (إن إقليم الشرق الأوسط هو بيئة "مدوَّلة" ومنطقة "مواجهات كبرى"، ويتميز بخصائص جيوبوليتيكية حساسة جعلت منه منطقة تنافس وتنازع دولي وإقليمي.)[2]، جاز الحديث عن التداخلات الإقليمية وتراتبيتها

---

[1] محفوض، د. عقل سعيد: سوريا وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٦٠. والقول المقبوس منقول عن كتاب آخر طبعاً.

[2] المصدر نفسه، ص ٢٣٠ .

كذلك، مثلما أنه جائز الحديث عن الإقليم بمعناه المضغوط والمصغر، كما هو الحال في "إقليم كوردستان العراق"، وهي تسمية جغرافية وسياسية في آن، إنه إقليم مقتطع من إقليم أكبر: الإقليم الكوردي، ولأنه مرسوم في طابعه السياسي، كان لا بد من النظر إليه باعتباره مستباحاً من جهة القوى التي سعت إلى تذويب أو صهر الجغرافيا الكوردية ضمن حدودها الإقليمية السياسية وبختمها الدولي كذلك، استناداً إلى علاقات جوارية يكون الكوردي مرصوداً، وهنا يضعنا في مواجهة الثنائية المركّبة والمتداخلة: بقدر ما تتعمق المصلحة الإقليمية يكون الإرهاب قائماً، أو مقدَّراً، أو مستتراً يظهر عند الضرورة، والكوردي وهو مدمج بالكوردي: أي كوردي آخر قُرباً وبعداً. وراهناً، عندما نتحدث عن الإرهاب، والتعدي الحدودي إقليمياً وبالنسبة لإقليم كوردستان بالذات، فلا يعود ذلك إلى حصول الكورد عموماً، وحتى داخل إقليمهم المصغر على براءة ذمة إقليمية أو دولية، طالما أنهم محرومون من دولة فعلية تعنيهم، إنما لاختلاف نوعية اللعبة والإرهاب، ليكون الإرهاب الذي يسمّي الكوردي قائماً، ضماناً لمصلحة من تقاسموا جغرافيته، والذين أسهموا في ذلك، وأن الانشغال بالارهاب على مستوى عالمي، يرتبط بمواقع اللاعبين: فالكوردي اليوم، وفي إقليم كوردستان برز مواجِه إرهاب، وهو أكبر، ولديه القدرات المسماة والمعزَّزة دولياً لتحرُّكِه إقليمياً، لكنه مثقَل بلوثة الإرهاب هنا وهناك في الجوار الإقليمي.

ولكي أستطيع المتابعة في ضوء ما أراه، أجد أن السرد التاريخي الذي قام به "غنثر ديشنر" في كتاب له عن الكرد، ومنذ البداية، سرْد يجمع بين الثراء الطبيعي والجغرافي والعمق الاستراتيجي التاريخي، في محله، وتحديداً حين يقول ما يلفت النظر، ولعله معهود بأكثر من معنى، وهو (ثمة عوامل ثلاثة

حدَّدت إلى الآن قدر الكرد: الانقسام والانتشار، والسياسة الجغرافية. فنادراً ما تنطبق عبارة نابليون على شعب انطباقها على الكرد: الجغرافيا هي القدر.)[1].

بالتأكيد، لا بد أن معايش التأريخ الكوردي، وما أثير حوله من جهة الخصوم والأصدقاء، حيث الأوَل يبالغون في إظهار الدور الكوردي وخطورته، وحتى في تضخيمهم لدورهم في المنطقة التي تشير إليهم"كوردستان"، بينما الآخرون، فلا ينفكون يفصحون عن نوع من التجديف الممارس بحقّهم، وإلغائهم، ورد الفعل على ذلك، لا بد أنه يتلمس جانب المنزلق التاريخي في الجغرافيا الوعرة وغير المستقرة، إنما المحتواة على كنوز باطنية ومرئية وموقعها الاستراتيجي، من خلال أدبيات التاريخ، وميثولوجيا البشرية الأولى وفكرة الجنة ورسو سفينة نوح...الخ، ليكون كل ذلك سبباً لظهور دول سرعان ما تمضي، وهي متعاقبة، حتى بالنسبة للكوردية، كما لو أن الجغرافيا غير المستقرة ترفض البقاء طويلاً لأي منها، وبالتالي يكون الانقسام والانتشار وتلك السياسة الجغرافية غير المنفصلة عن تصادم شعوب المنطقة وذاكراتها، وحيث الإرهاب مجسَّد ومسطور، وهو يحدد طرفاً ما هدفاً له.

ولتكون عبارة "الجغرافيا بوصفها قدراً" نابعة من نوعيتها الاستثنائية، كما لو أنها هي التي تمتحن عابريها أو المقيمين فيها أو القادمين إليها وكلَف البقاء في جهاتها أو جهة منها، لأشير هنا إلى أن العصر الحديث الكوردي،

---

[1] ديشنر، غنشر: "الكرد شعب بدون دولة: تاريخ وأمل"، ترجمة: د. جورج كتورة، دار الفارابي– آراس، بيروت– أربيل، ط١، ٢٠١٤، ص١٠، وبالنسبة للسرد التاريخي الموجز والمكثف في المصدر ذاته، صص٧–٢٢.

إن جاز التعبير، والذي ترافَق مع بروز ويلات متفاوتة، بدأ خلاف عصور شعوب أخرى: كالأوربية، مع اتفاقية قصر شيرين التي شهدت أول انقسام ثنائي: سياسياً بين كل من الدولتين الامبراطوريتين: العثمانية والفارسية سنة ١٦٣٩، إنها الحداثة الوخيمة تلك التي أدخلت الكورد في عهدة وصايات متتالية أفقدتهم رشدهم السياسي، وأحالت دون بناء ذاتهم القومية وتكوينهم الدولتي، وربما من خلال العثمانيين الذين اجتاحوا المنطقة واستقروا فيها كاستيطان استعماري مستدام، وليجد الكورد أنفسهم موزعين بين إقليمين كورديين في الأصل، ومع الزمن يجرَّدون من خاصية المكان، وخصوصاً في القرن العشرين، حيث يمكن أن يشار إلى محطات استراحة للكورد في إمارات سمَّتهم ولكنهم لم تحمهم من سلطة وضع اليد عليهم[1].

أقلمة المحيط الكوردي، أو أقلمة كوردستان العراق، تتجاوب مع طبيعة المستجدات وخاصية المصالح المسماة فيها.

هذا القول لا ينبني على ما هو رائج في أمكنة مختلفة، وأعني بذلك ما يسمى بـ"نظرية المؤامرة"، وإنما من خلال جملة من الإحداثيات الزمكانية والتي تبقي كوردستان في واجهة الأحداث، وأن الانطلاق من إقليم كوردستان راهناً، وتعقّب خيوط اللعبة الدولية من تينك العلاقة القائمة بين

---

[1] لا أكثر من المصادر التي تتحدث عن هذا التاريخ، كما في "خلاصة تاريخ الكورد وكوردستان" لـ:محمد أمين زكي بك، منشورات الجمعية الكوردية اللبنانية الخيرية، بيروت، ط٢،٢٠٠٣، و "ظهور الكورد في التاريخ" لجمال رشيد أحمد، منشورات آراس، أربيل، ط٢، ٢٠٠٥، في ٣ أجزاء، وحديثاً، وبإيجاز، كتاب"كوردستان والحدود في القرن العشرين" "لأصليخان يلدِرم"، وبالكوردية، منوّهاً إلى أهميته، منشورات آزاد، لندن، ط١، ٢٠١٣، صص٣٩-٨٠ ...الخ.

المصلحة والإرهاب، يوضحّان صورة اللعبة كثيراً، إذ إن الإشارة، أي إشارة إلى ما يرفض الانضواء تحت العبارة المركّبة السالفة الذكْر، تشدد عليها أكثر، إذ بالقدر الذي يقدّم التاريخ نماذج تظهِر ذلك الهامش من الاستقلالية أو الاعتبار المعطى للكورد في هذه الجهة أو تلك، أو الاعتراف بالمقابل، يمكن تلمس خاصية إيقاع بالكورد قليلاً أو كثيراً، وكأن أي اعتراف بوجودهم لا يعدو أن يكون استدراجاً لهم لممارسة المزيد من العنف فيهم، وفي الوقت الذي يؤدي ذلك إلى المزيد من الضغط على الآخرين في الجهات الأخرى، أي حين يصبح الوعد وعيداً، حتى في أكثر الحالات التي يمكن أن تفيدنا بالمكانة التي أعطِيت لهم "في عهد الإمارات الكوردية" في القرن التاسع عشر، باعتبارها أقاليم متجاورة، ولكنها مختلفة في العلاقة مع المراكز ذات السيادة النافذة بسلطتها عليها، عند إمعان النظر، وتقدير حساب المصلحة التي تسمّي المركز هنا أو هناك، والتسمية المستترة والجاهزة للإطلاق وباسمها إنزال العقاب بالإمارة هذه أو تلك، أو بكل من يسمّي نفسه كوردياً، وعلى قدر أهمية المصلحة تكون التهمة فالعقاب ثمئذ، أي الإرهاب بصورة ما في جهته ومن يعنى به ومن يُعنى بمن يُعنى به وربما أكثر من ذلك.

ولكي نكون أكثر وضوحاً، وأوسع مكاشفة لمجريات الأحداث في نطاق إقليم كوردستان تحديداً، علينا مراعاة جملة نقاط:

أولاً، صِلات الإقليم بالمركز الرئيس"حكومة بغداد"، وموقع المركز الإقليمي بالنسبة لعمقه العربي والإقليمي.

ثانياً، صلات الإقليم بالجوار الحدودي كونه إقليماً تابعاً لدولة، والسيادة جزئية، فالسلطة فيه مرصودة.

ثالثاً، اعتبار أي حركة تصدر عن الإقليم، لها دلالة سياسية، وذلك في الحدود التي يُعرَف بها، وليس فيما يخص المناطق المتنازع عليها، "كما تُسمى"، حركة مفسَّرة في الاتجاهين: الإقليمي: العربي، الفارسي، التركي، والدولي.

رابعاً، لزوم النظر في أي تحرك يقوم به الإقليم، في سياق ما هو مراعى دولياً قبل كل شيء.

ربما كان في وسع الإعلامي أن يتحصن داخل نقطة معينة، ويرى العالم من خلالها، ولكنها تظل نقطة أولاً وأخيراً، إنما في موضوع كموضوعنا، شبكة من العلاقات، أعني من النقاط التي تعلِمنا بأن الموضوع في محتواه، وأساس تشكيله أبعد من مفهوم المحدَّد، أو حتى مجموعة النقاط، ضماناً لسير الفكرة التي تستقطب مؤثرات كثيرة، تتجاوز نطاق المرئي.

أي النظر، لحظة الاستعداد لكتابة أي جملة سياسية، في الحراك السياسي الدولي وما يستتبع هذا الحراك من استقطابات قوى محلية وإقليمية ودولية في شبكة لا يحاط بها راهناً.

نعم، الموضوع يتمحور حول الإقليم: إقليم كوردستان، عن اللحظة الزمنية الطارئة مقارنة إياها باللحظات الزمنية السابقة والتي كان الإقليم يرِد فيها أو بها كذلك. الإقليم الداخل في إطار اللامتوقع، المباغت، غير المسبوق..الخ، جرياً على عادة رجالات السياسة الإقليمية والدولية، وبدءاً من الفترة الزمنية المسماة، وما يمكن أن نسميه بـ"**انبثاق الزمن الكوردي**"، وكيف أن الإقليم بمفهومه الجغرافي المحدود: داخل الدولة، والتابع للدولة: العراق، بدا وكأنه دولة، استناداً إلى مستجدات دولية، مع إشارة البدء: أميركا، كما تُسمَّى، وهي"الولايات المتحدة الأميركية"، والتسمية الأولى

المدرَكة ليست جزافاً، كما لو أنها تمثّل قارة وهي ليست كذلك كواقعة جغرافية: قارية طبعاً، ولنا أن نقول بأن إقليم كوردستان ليس دولة ليسمى هكذا، وللمرة الأولى، من خلال هذا التركيز الإعلامي الدولي، ومن ثم الإقليمي انطلاقاً من خاصية القوى الدولية وهي برموزها المتداولة والمعتبَرة، وتلك التراتبية التي تعرَف بها: مجموعة الدول العربية "دول الخليج في الواجهة"، إذ تدور في فلَك تلك، حيث سبقتها الدول الأوروبية الأكثر نفوذاً في العالم بمعاني مختلفة إثر الكبرى كفاعل هندسي، فعلي واستعراضي أحياناً أرضاً وجواً وبحراً، ولتضع الدول الإقليمية الأخرى على المحك "تركيا" عضو الناتو، والقلقة إزاء هذا المتحول، وإيران التي تظهر، وكأنها النظير والمضاد لـ"أميركا"، وسوريا المتهالكة، وهي في صورة المباغَت لهذا الإجراء، من خلال الدعم اللوجيستي للإقليم والتشديد على حمايته ودعمه بالسلاح وغيره، وأكثر من ذلك: الدخول في مجابهة مع "داعش" وتوفير الخبرات اللازمة للبيشمركة الكوردية على أعلى مستوى. إنما أيضاً حين تكون هذه المجابهة خاضعة لمراقبة مركّبة أو مضاعفة، كونها تخص موقعاً ضمن موقع سيادي مسمى دولي "أي ضمن العراق"، وجرّاء ذلك يكون لدينا إيعاز نفاث متعدي المركز وأقاليم الجوار كذلك، وما ينطوي عليه هذا التحرك من تحركات مخطّط لها، ومن تنشيط تصورات ورؤى في الخفاء.

كما قلنا، للكوردي المعني بكورديته وامتدادها التاريخي والقومي، والخائف على نفسه من المخاطر والمؤامرات، أن يفرح تجاه هذه المستجدات، وأعنيني هنا ضمناً، حيث البيشمركة داخلة في مواجهات مع أعتى قوة إرهابية مؤسلمة، بدءاً من التأريخ المسجَّل، قوة لا تحمل جنسية محددة بمزعمها، تجتاح منطقة واسعة، ليكون الكورد في مرمى الخطر

الداعشي، أكثر من أي جهة أخرى: دولتية طبعاً، لأسباب معلومة لها صلة مباشرة بخاصية الكورد الجغرافية السياسية، وما هو متداوَل باسم الكورد هنا وهناك، وبالنسبة للدول التي تقاسمت كوردستان، وتسعى جاهدة إلى إبقائها كما هي، كما هو دأبها، وانطلاقاً من العراق بالذات وقواه السياسية ومن معها.

لكن ذلك، وكون الموضوع أبعد وأعمق مما يثار، أجدني مستشرفاً جملة من النقاط التي قد تبلبل وعي المعني، وما هو منشغل به ولا يجد فكاكاً من العودة المستمرة إليه، وهو في غمرة هذه المتشابكات من الخطوط والتصورات، وربما الهواجس والمخاوف، وربما أكثر، هذه الهيئات، لكن، وكون الجاري يشغل العالم أجمع، وبشكل غير مسبوق، فإن جعْل الإقليم في واجهة الاهتمام كواجهة مضادة لما هو داعشي، ليس حباً صرْفاً بالإقليم طبعاً، وإلا فإننا سوف ننساق وراء أوهام وتصورات غاية في السخرية، وإنما حباً في شأن آخر، على أتم تماس مع المصلحة المتماشية مع مستجدات ما بعد العولمة، كما أرى، ليكون الإقليم داخلاً فيها كدور، وهي المرة الأولى في التاريخ، ودون استثناء، حيث يجد إقليم كوردستان نفسه تحت الأضواء، إذ تتلاقى مصلحتان، مع التحفظ على مفهوم التشارك التكافؤي، إنما ضمناً، وقد استفحل الخطر الداعشي بالاسم على المصلحة بمعناها الأكثر حيوية، وعلى مشارف حدود الإقليم ومع بدء الكارثة الشنكالية وتهديد أمن الإقليم، لحظة يقظة تجاه آفاق الجاري وخطورته، وهذا ما يجب التعرض له، من خلال الإقليم، حيث يستحيل الخروج من تاريخ كان، ومآسيه الكوردية، ومن مستوجبات الحذر.

لعل السؤال الذي يطرح نفسه بداية: أي علاقة تقوم ما بين المصلحة والإرهاب الداعشي هنا، لتقوم القيامة هكذا ؟

لا بد، وكمدخل، من طرح السؤال كإضاءة للعلاقة: ما مدى تنوع العلاقات بين الاثنين ؟

بين المصلحة والإرهاب:

المصلحة كمقوَّم ومقوّم حيوي وحياتي، لها شأن سيادي، اعتباري، شخصي، أو طرفي: جماعي، أو دولتي، والمصلحة هي التي تبني سلماً، مثلما أنها تفجر حرباً، أو تخلق توتراً، مثلما أنها تنمّي خصومات ونزاعات ومخاوف في القول والفعل.

والعالم متحرك بين الاثنين: المصلحة وما يعرّضها لاختلال التوازن، إلى درجة الدخول في مواجهات دامية، وفي الأوج: حين تندفع دولة أو أكثر في هذا السياق، ليكون مسبب التوتر، أو مجسّد الخطر في مقام العدو، أو الإرهابي بالاسم.

لكن العلاقة بين الاثنين ليست ثنائية متوازنة، حيث إن كلاً منهما بعيد بمسافة ما عن الآخر، جرّاء حالة عدم الاستقرار، بقدر ما يوجد تداخل قيد التنوع والتشكيل اليومي، وغموض، جرّاء المختلَف عليه، لوجود مرجعيات مؤثرة فيهما.

علينا بداية أن نحاط علماً، على أن الإرهاب مترافق مع الإنسان، وإن كان يختلف في أسمائه ومسمياته، حيث يبرز العنف بمثابة القابلة الكبرى له على مر العصور، ولكل عصر إرهابه، وربما نماذج إرهابه الخاصة: طرق التعبير عنه، كيفية تمثيله أو تجسيده، أو الإشارة إليه، أو ترميزه، أو تداوله، أو اعتماده في تحدي الآخر، أو تربيته، أو تنميته، حتى على مستوى المتخيل، والتعاطي الثقافي، والفكري، والسلوكي اليومي، وما يعتمل في النفس الإنسانية من مشاعر وأحاسيس أو انفعالات وتعابير ترتسم على الوجه، وطريقة المقاضاة للإرهابي المعلَن عنه، وتحويله من خلال إنزال العقاب، أو القصاص وأرضيته الدينية والدنيوية..الخ.

هذا يشدد على انقسام المفهوم، والاختلاف عليه، لأن المختلَف عليه يصل أحياناً بين البشر إلى نقطة التضاد، إلى درجة التهديد بالتصفية من قبل كل طرف للآخر، وبصورة جماعية أيضاً، وأكثر من ذلك، كما في الحروب والنزاعات الدامية، لتكون المصلحة في أكثر صورها ومشهدياتها التاريخية: المادية والمعنوية سفوراً وتحريكاً للأذهان فكرياً وللمشاعر نفسياً، أو تلويناً لقدرات الناس ومحفزاتهم.

يعني ذلك أن الحياة في مجالات متنوعة، تظهر الكثير مما يعنيها ويعني البشر، بينما الموت فيخفي، دون أن يفارق الحياة، وربما ما جاء به إيجلتون مؤثراً في بعده الفرويدي اليساري والمستحدث جداً، من خلال كتابه "**الإرهاب المقدس**":

باعتباره يسارياً يحيل الإرهاب إلى الدولة، لأنها هي المعنية به، وهي التي تعلِم رعاياها والآخرين بما يجري، لأن ذلك يتبع أجهزتها الإيديولوجية (ظهر الإرهاب أول ما بدأ كإرهاب دولة خلال حقبة دانتون وروبسبير.. ظهرت كلمة "إرهابي" في سياق مصطلحات ثورية فرنسية على غرار مصطلح "الجيروندي". أن تدعى إرهابياً، يعني أنك متهم بأن دماغك قد غُسل، وأنك تتبنى بالمقابل مذهباً مفخماً مستوى من فعل القتل الصرف. ص ٥.)[1].

هذا التأريخ للإرهاب حداثي مقارنة بالتاريخ المدوَّن نفسه، وما يسبقه خارج المدون باسمه، وللتأكيد على ذلك ما يحاول الباحث إعلامنا به، بما أن الإرهاب نزيل الأرضي واللامدرك أو المجهول، وهو ينطوي على الوجهين:

---

[1] إيجلتون تيري: الإرهاب المقدس، ترجمة: أسامة إسبر، دار بدايات، جبلة، سورية، ط١، ٢٠٠٧، وكل الإحالات المرجعية تكون في المتن، كما هو مشار إليه.

الخير والشر، حيث إن الرهيب قد يسمّي الجليل والمدهش، وقد يسمي ممثل الشر والمخرّب (كانت فكرة الإرهاب، بنحو مرجح، وثيقة الصلة بفكرة المقدس الغامضة، وسبب غموضها أن كلمة مقدسsacer يمكم أن تعني مباركاً أو ملعوناً، مقدساً أو ملعوناً.. ص ٦)، إنها الفكرة التي تسمي فينا ما يتجاوز حدود النص، لتتعرش في الذاكرة الشفاهية وأبعد منها، لكن الأهم، هو أن الإرهاب ليس أحادي الجانب، لنستهين بأمره، حتى وهو معاش بين ظهرانينا، ونحن لا نعبأ به تحت ضغوط معينة.

ثمة إمكان الحديث عما هو ميثولوجي فيه، كما في الشخصية المركّبة لديونيسوس (يعتبَر الإله ديونيسوس أحد أقدم القادة الإرهابيين، فهو إله الخمرة والأناشيد والنشوة والمسرح والخصب والإسراف والهيام..ص ٧)، إنه من حيث التكوين كما هو معرَّف به، بمؤثره الميثولوجي (يجسد ديونيسوس نصف وحش ونصف إله..ص٩)، ولهذا تمت مسرحته يونانياً، كما في "**عابدات باخوس**" "ليوربيدس"، عبر مواجهة بنثوس الأرضي: حاكم طيبة، إذ يرفض الاعتراف أمام ديونيسوس "ص١١"، لأنه هو الذي منحه هذا المد، كما لو أنه يتمثله، وفي الوقت نفسه يقاومه بعد أن ثبت سلطته في الأرض، وليكون لفرويد هذا الاجتهاد في إخراج التأريخي السيكولوجي والخفي إلى العلن عبر التقابل بين الإيروس "مبدأ الحياة" والثاناتوس "مبدأ الموت"، إلى درجة صعوبة الفصل بينهما بل واستحالته. من هنا تتتالى العقَد والمعضلات ذات الصلة بالخاصية الواحدة لأنها ليست بسيطة، كما في العلاقة بين الرحماني والشيطاني، وكما في مفهوم الفتنة، هذا المفهوم الذي يشدَّد على تجنبه، لكنه سرعان ما يشد إليه حتى الذي يحذّر منه، ولعلنا نستطيع الدفع، مثلاً، باسم "**بكو**" الكوردي، كما لو أنه صنيع الشاعر أحمد

خاني أو غيره، إذ يشار إليه كثيراً، ولكن ما أكثر نماذج تمثل الشر تبز بكو في رواية: **القيامة**، للكاتب الكوردي حسن مته، ثمة تركيز على بكو باعتباره سارداً فعالاً، والذي ينذهل بعد خروجه من قبره تلبية لرغبة شاعره، وهو يرى ما لا حصر له من أشكال تفُوُقه فيما عرِف به أو أسنِد إليه تهمةَ، فيدعو ربه أن يعيده إلى قبره وألا يبعثه مرة أخرى احتجاجاً.

هذا ينطبق على كل شيء بوصفه متعدي اسمه المزعوم أحادي الجانب، حيث إن اختزاله أو إفقاره أو تبسيطه هكذا ليس أكثر من اعتراف ماكر ضمنياً بخلافه، وأن مجرد التعريف به على هذه الشاكلة إنما هو خوف من حقيقة الأصل؟

هنا لا بد من التنويه إلى أن واقعة ما لاحقاً، لا بد أن تميط اللثام عن هذا التعدي على الحقيقة، بحيث تفضح القائم بذلك تماماً (من الممكن أن تنسوا أمر إيروس وغريزة الموت، ولكن كونوا متأكدين أنهما لن ينسياكم. ص ٣٥).

أكثر من ذلك، إن ما ينطوي على مفارقة والتي تترجم بلاغة الإرهاب وجانب المصلحة الخفي بالذات، هو في هذا القرب الوشيك لمن يتعمد إلى هذا التمويه، أو الإيحاء إلى أن المعرَّف عن طريقه يعني حقيقته، وعلى مستوى الدول، كما لو أن ذلك يضع السياسي أو ممثل القانون أو المعني بوضع الدستور...الخ، في مواجهة ما يتخوف منه (والواقع أن الدول التي تواجه صعوبة في نسيان بداياتها العاصفة لأنها دول خام جداً وحديثة ستكون على الأرجح أقل الدول استقراراً. ص ٨٥)، الأمر الذي يحفزنا على لزوم تفهم معنى الإرهاب أو الإرهابي، كونه لا يقدم على شيء، وهو أقصاه، كما في انتحاره، أو في فعل قتل الآخر، إلا لأنه على يقين قوي، أو

يعززه لدى الآخر، بأنه في طريقه إلى الموت لينبعث تالياً، كما الحال في طريقة قتال الإرهابي الإسلامي (يعتبَر المقدس قوة ذات وجهين، فهي يحيي ويميت في آن. ص ١٤٥)، وهذا من شأنه أن نتروى، ونحن إزاء ما يكوّننا كقاعدة إدارة ذات أولاً، مهما كان الاعتراف بالحقيقة مؤلماً، طالما أننا نجد هذا الكم الكبير من الذين ينتمون إلى هذه الدائرة، أي حين نكون أكثر إحاطة بالمعنى، في الربط القويم والمدروس بين الإرهاب وعلام يقوم، والمصلحة وماذا ومن تمثّل؟!

إن صاحب المصلحة وباعتباره مميزاً به، لا يدَّخر جهداً في اتهام كل من يحول بينه وبين مصلحته على أنه شرير، وربما يوجه إليه تهمة من العيار الثقيل، حرصاً على مصلحته، معمماً إياها لتأليب الآخرين عليه، وكأنه يتهددهم جميعاً، والمصلحة تتعدد إذ تتراوح بين المادي والمعنوي، غير أن الجماعات والدول في القمة هي التي تضع الإرهابي في مواجهة المصير الكبير والمحتوم: اعتباره مطلوباً للعدالة، دون أن يعني ذلك وضع حد له، فثمة من معه هنا وهناك.

وإذا كان لنا أن نتعمق هذه العلاقة، وكيف أنها تستثير الدول والجماعات والأفراد، ما علينا إلا أن نتوقف عند مثال لا فكاك من تسميته، لأنه المثال الأكثر وضوحاً، كما أنه الأكثر إثارة للجدل بصدد ما أشير إليه: الولايات المتحدة الأميركية تلك التي تمحور عالماً كاملاً حولها، وفي الوقت نفسه، تجد من يشرّح الجاري باسمها وينتقدها من الداخل.

ربما كان ما لجأ إليه بنجامين ر. باربر في كتاب مضاد، في العرف السياسي الرسمي، لتوجهات الولايات المتحدة هو الذي يظهِر إلى أي مدى تكون المساحة واسعة، لا بل وتنطوي على متاهة وصعوبة رؤية المكونات

بالنسبة للذي يريد إقناع نفسه على أن الموضوع لا يتطلب شرحاً، وهو يوسع مفهوم فرويد المركّب: الإيروس والثاناتوس، بقدر ما يقرّبنا من مضمون كتاب إيجلتون، لكنه أكثر حمولة بما هو سياسي، وأكثر عنفاً ومقاومة لتوجهات السائد أميركياً، إلى درجة تبلور شعور لدى قارئه كما لو أنه متجنّ على بلده لكنه في أصله ينطلق من واقعة أخرى تعيشها "أميركا" هذه، بقدر ما يعبّر عن هذا الحرص منذ البداية، وكونه يتابع حراك المفهوم في أكثر من جهة، كما في هذه الشهادة الدالة (ومن المثير للسخرية أنه فيما قامت أميركا وأوروبا بإرسال قواتها لمواجهة الإرهاب في العالم الثالث، تابع إرهابيو العالم الثالث تواجدهم في إنكلترا وألمانيا وفي نيوإنغلند ونيوجرسي وفلوريدا أيضاً..ص ٣١)[١]، وهو ما نلاحظه نحن اليوم، وبعد هذه السنين من كتابة هذه الشهادة، وفي دول مختلفة، إذ يتشكل الإرهاب الموسوم من جنسيات شتى وبتفاوت، وأن ما كان يحدث بالأمس، يحدث اليوم، وما يتجاوز نطاق الشهادات المكتوبة، والوقائع المسجلة في مضمار الجلسات الرسمية، أو قاعة الاجتماعات الرسمية، وبالنسبة لأميركا، حيث وتيرة الإرهاب تضاعفت كثيراً (ما قيل بالأمس يصح اليوم: تقف اليوم أميركا، في ظل الإرهاب، حائرة بين الإغراء بإعادة التأكيد على استقلالها الطبيعي، وضرورة المخاطرة بتجربة إشكال جديدة وتجريبية من التعاون الدولي. ص٤٢.)، وأكثر من ذلك حيث يجري الحديث وبطابعه الرمزي المجازي عن فئتيّ الصقور والأبوام، بتعبير المؤلف: الصقر، وقتذاك ممثلاً، في بوش الابن،

---

[١] باربر، بنجامين ر: إمبراطورية الخوف "الحرب والإرهاب والديمقراطية"، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٥. الطبعة الأجنبية ٢٠٠٤، وكل الإحالات المرجعية تكون في المتن، كما هو مشار إليه .

والبوم ممثلاً في لائحة مساعديه، ومن هم في دائرته، في الخارجية "كولن باول" وغيره، وذلك التجاذب بينهما، وموقع كل منهما (ينقسم بلد بوش إلى معسكرين متخاصمين، لن أسميهما صقوراً ودجاجاً "أو صقوراً دجاجية وحمائم" بل صقوراً وأبواماً. الصقر هو مفترس وطني من نوع معين– نوع، في الاستعارة التي أستخدمها، ينقض على فريسته في منتصف النهار دون تفكير مسبق. أما البومة، فمع أنها صيادة أيضاً، إلا أنها حادة البصر حتى في عالم الظلال وبعيدة البصر حتى في الليل. ص ٤٣.)، وما كان يشدد عليه بوش حينذاك باعتبار العراق ممثل الشر ومن معه، وما يعنيه الشر من إرهاب دولة (كان العراق ضمن محور الشر. ص ٤٥)، واعتبر "بوش" رموز الشر في العراق وإيران وكوريا الشمالية سنة ٢٠٠٢ في ٢٩ ك٢. "ص ٤٥"، ولعل الذي ورد في الإشارة إلى شهادة رجل المخابرات الأميركي ما يعمّق هذا الجانب (عندما أبلغ رئيس وكالة الاستخبارات المركزية جورج تنيت الرئيس بوش بأنه إذا أراد الانقضاض على الانقضاض على البلدان التي تدعم الإرهابيين أو تؤويهم، فسوف يواجه "ستين بلداً تثير المشاكل"، فرد الرئيس"سوف نسقطها واحدة تلو الأخرى".ص ٤٦.)، وما يصل هذه الشهادة/ التقرير بمن أدلى به متابع للأحداث حينذاك، كما لو أنه يتحدث اليوم (سياسي أميركي هو جورج ف. كينان، وقد تجاوز التسعين عاماً: إن أي امرىء درس التاريخ يدرك تماماً "أنك قد تشرع في حرب وفي ذهنك أمور معينة" لكن سرعان ما تدور الحرب حول أمور لم "تفكر فيها قط من قبل". ص ٨١)، ومن ثم ما يمكن أن يصل إليه المرء إزاء الحقيقة التي تتجاوب معه، وكما يريد، أي حيث يكون التشديد على أمر ما خلاف

المومأ إليه، وتحت وطأة التعبير عن الحرية والديمقراطية والسلام (إن أخطر أشكال الطغيان هي تلك التي تقدَّم تحت راية الحرية. ص ١٥٧).

ما الذي يمكننا استخلاصه في سياق هذا السرد المعلوماتي المستقى من معنى بالسياسة الأميركية وهو أميركي؟:

ثمة إمكانية تثبيت إشارة سهلة، أو هكذا يبدو الأمر لنا، إلى أن ما كان يعتبَر شراً حينذاك، صار إرهاباً، وأن ما كان يفصَح عن خطورته، قد تجسَّد على أرض الواقع ناحية الدول والمجتمعات التي تحتضن الإرهاب، حتى داخل الأوساط المتقدمة، أو تعلم بأمر أولئك المعنيين به في أوربا بالذات، وأن بوش ورجال إدارته، قد تغيروا ليحل محلهم آخرون، لتُستخدَم العبارات ذاتها تلك المتعلقة بالإرهاب إنما أكثر تداولاً وتركيزاً، حيث الشر الذي يتهدد العالم أصبح إرهاباً، وأن الدول الممثّلة للشر قد أصبحت في سياق تنظيمات إرهابية "داعش في الأوج" ليضاعف ذلك من مساحة المخاوف والتحديات لعالم كامل، وأميركا في الواجهة كما هو الممكن تلمسه في خطابات سياسييها، وعلى رأسهم: أوباما الذي يحاول هنا الجمع بين كل من الصقر والبوم، لكنه يجد نفسه في حالة من عسر الهضم تجاه تتالي الوقائع والمستجدات، وهو المعني بمصلحة أميركا[1].

---

[1] لعل أبسط ما يمكن التذكير به، وكما أذيع في وسائل الإعلام السمعية والبصرية، هو ما صرَّح به أوباما نفسه عن تلك الأخطاء التي وقعت إدارته فيها، جهة التقليل من مخاطر داعش، والذين كان عليهم مجابهة هذه المخاطر ففشلوا، وتحديداً "الجيش العراقي"، ولعله التصريح الذي يسمي حقيقة ويخفي أخرى: أما المسماة فهي جانب سوء التقدير، أما غير المسماة فهي المتعلقة باللعبة الإعلامية والسياسة التي تلونها، باعتبارها القناة الأكثر ماراتونية في العالم في الإشارة إلى المصالح الأميركية، وكيفية توتير العالم، أو استحداث نقاط توتر فيه، عبر الربط بين الإرهاب والمصلحة طبعاً، حيث التحرك يتم على مستوى كوكبي، ولعل الأحدث في التنويه إلى ==

== الطابع المعقّد للعبة المصالح ما أثير من ضجة إعلامية وردود أفعال على المستوى الدبلوماسي في العدد من الدول التي لها صلات مختلفة مع أميركا، هو تصريح جون بايدن نائب الرئيس الأميركي أوباما إذ أشار إلى ما تقدمه دول مثل تركيا والسعودية والإمارات العربية المتحدة من مساعدات لتنظيمات إرهابية مثل داعش، ثم الاعتذار لهذه الدول، وهي لعبة ضمن لعبة دون تجاهل نسبة الأخطاء الحاصلة، إذ تظل أميركا بما أنها في موقع القوة النافذة ذات استقطاب دولي، ويقرَأ التصريح المذكور في أكثر من اتجاه، وحيث إن تركيا ضالعة في عملية التستر على الكثير من أنشطة داعشية بالنسبة للحدوديين "أي بالنسبة للمقيمين على الحدود التركية من الكورد، جهة "سري كانيه وكوباني"، وكون أميركا تجد في تركيا حليفاً لها وتتداخل مصالحهما، واللافت مثلاً، ما شدد عليه بعض المعنيين بهذا الجانب من الإعلاميين العرب وهم معروفون، ومنهم صالح القلاب: وزير الإعلام الأردني الأسبق، والذي صرَّح لقناة العربية بتاريخ ٥ تشرين الأول ٢٠١٤ في تعليقه على ما تقدم ونقده، أن كل من يفكّر بالطريقة هذه "علاقة تركيا بالإرهاب المذكور" يكون في منتهى السذاجة، متجاهلاً ما يجري حدودياً هو وآخرون "أذكر بتصريح مصطفى العاني عبر القناة ذاتها، وقتذاك" ولا بد أن المصلحة تموقع هؤلاء، بقدر ما تحرّك الإرهاب في المسار المتجاوب مع نظرتهم.

في السياق نفسه، يُذكر ما أثاره وزير الدفاع الأميركي الأسبق بانيتا من نقد موجه إلى إدارة الرئيس اوباما رغم مديحه له باعتباره لعب دوراً كبيراً إيجابياً في الجانب الاقتصادي، أما في العلاقة مع الخارج وكيفية التعامل مع داعش والإرهاب فقد جاءت نظرته قاصرة، وكما ألمح إلى ذلك د. فواز جرجس أستاذ العلاقات الدولية في جامعة لندن مع القناة ذاتها والتاريخ ذاته، مسمياً جوانب أخرى في كتاب بانيتا وهو قيد الصدور، حيث أوباما يعتمد على المقربين منه أكثر من وزرائه "أي يكون الابتعاد عن الأبوام" بالمعنى السالف، ولا بد أن ذلك، كما أرى، يبقي السياسة الأميركية كما هي جهة التلون والتخاطب، حيث النقد الموجه إليها لا يجب أن يعمينا عن جانب القوة فيها حتى الآن، وأن أميركا هذه لم تحزم أمرها بالتدخل وإعلان الحرب على داعش الذي كان لها يد في بروزه واستفحال خطره، والإرهاب المتمثل في مجمل التنظيمات الإرهابية والمتطرفة من هذا القبيل في العالم، إلا عند تنبهها إلى أن الخطر على عتبتها بعد إعدام أحد موطنيها على يد داعش، ليعلِمنا ذلك مدى الاستهتار بصرخات الشعوب وهي تتعرض لمذابح أو الجينوسايد تبعاً لمصالحها، كما الحال في كوباني وغيرها، فالقوة الأنفذ هي السائدة بأكثر من معنى بالتأكيد.==

ليكون الحديث عن الحسابات الخاطئة هو الآخر بحاجة إلى تنقيح سياسي، ومن خلال مواقع القوى المؤثرة عالمياً!

يعني ذلك أننا وفي الواقع الراهن يستحيل علينا تبين حقيقة أمر ما مؤثر في شئون الناس دون مكاشفته على أوجه مختلفة، وخاصة في موضوعة الإرهاب وما يعنيه الإرهاب في دنيا العولمة وما بعدها، حيث بات الجميع لا يتحدثون فيه فحسب وإنما يتفاعلون مع كل مستجد يسمّيه أو له صلة به، وهذا يعمّق مع الزمن مفهومه وتشعب أصوله وروافده، ولعل أهم ما يجب تفهمه هو إمكان مقاربته بمزيد من التأني مجدداً، وتجنب لغة التجريد أو الإنشاء، ونحن نعاين هذا التنامي في الحديث عن الإرهاب والاهتمام به على مستويات شتى، وما يقرّبنا من خاصية المصلحة واستتباعاتها في العولمة وبعدها[1].

== وفي هذا السياق، فإن باحثاً ذائع الصيت هو هنتنغتون، والذي نشر كتابه المكتسَب شهرة، كما هو معروف "صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي"، نقله إلى العربية: د. مالك عبيد أبو شهيوة– د. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية، ليبيا، ١٩٩٩، كان لتأثير حرب الخليج الثانية ١٩٩١، وإثر حرب أفغانستان وموقع ابن لادن فيها في ثمانينيات القرن الماضي، لمسة جلية في بنية كتابه، والذي كان بداية عبارة عن مقال منشور سنة ١٩٩٣، إذ لو أنه أعاد كتابته راهناً، وفي ضوء الغزو الداعشي وتجلياته، لأجرى تعديلات، لا بل وتغييرات في الكثير من النقاط المحورية في كتابه، ولاحتل الكرد موقعاً متقدماً في كتابه، تبعاً لمحتواه الفكري، والموقف من تركيا بالذات، كما ورد في صص:٢٧٠–٢٧٩، وصص٣٢٩–٣٣٠..

[1] من باب الإيجاز والتنور، يمكن العودة إلى كتاب ڤـيك جورج– پـول ويلدينج: العولمة والرعاية الإنسانية، ترجمة: طلعت السروجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٥، الفصل الأول "طبيعة العولمة"، فهو مؤثر في هذا المضمار، مثلاً ما يخص تعريفاً من تعريفات العولمة وهو لافت للنظر (وإن كان الاستعمار يعتبر آخر مرحلة من الرأسمالية فإن العولمة هي آخر مرحلة من الاستعمار.ص٢٥).

إن ذلك يقرّبنا من أميركا باعتبارها المعنية أكثر بالإرهاب، بقدر ما يبعدنا عنها للضرورة المعرفية، ففي القرب ثمة مجال رحب لتعقب خيوط المفهوم، ومسعى أميركا من وراء ذلك، من خلال حضورها الكوكبي، وما يضعنا في مواجهة البعد الحركي والفعال في تلوين المفهوم هذا: المنفعة: عسكرياً وسياسياً وثقافياً، وفي البُعد، ثمة مجال رحب بالمقابل، لأن نكون أكثر استشرافاً لما يحدث من خلال المفهوم هذا، وكيفية تفعيله عالمياً أو مقاومته، وتسمية مواقعه.

إن مايكل شوير، لا يخفي هذا الربط بين الاثنين: الإرهاب والمصلحة، وإن كان يركّز على الإرهاب، ولكن الأعمى وحده يمكنه التأكيد على أنه لا يرى الأشياء وهي أمامه، سوى أن بصيرته لها منحى آخر، وبدءاً من نقطة التوتر الأولى، وهي التي ترافقت– ربما– مع نشوء العولمة وهي تحمل دمغة أميركية لتجر عالماً كاملاً وراءها، دون إخفاء خاصية النقطة الجغرافية وتشعباتها "أفغانستان": طرد الاتحاد السوفيتي أو خروجه الاضطراري من أفغانستان وبروز أسامة بن لادن، ومعه "القاعدة" تالياً، بغطاء من أميركا، وسوء التقدير جرّاء عدم التقدير للجاري، كما الحال مع مسيرة القاعدة وزعيمها طبعاً (إن الحرب على أفغانستان كانت ضرورية، لكننا خسرناها بسبب عجرفتنا.)[1].

هذا التقدير السيء: انقلاب ابن لادن على أميركا، ومن ثم بناء "امبراطوريته" في المنطقة الأكثر اضطراباً والأكثر فقراً ومعايشة ويلات في

---

[1] شوير، مايكل: القومية الامبريالية الأميركية، لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب؟ ترجمة: سمة محمد عبدربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٢٠.

العالم، ومغذيات ذلك محيطياً، أو إقليمياً وخارجاً، يتداخل مع الوجه الآخر ويتكامل معه، حيث يتنامى عنف الواقع على أرضية التزييف للحقائق كثيراً وبمنهجية معينة (إن كسب الحروب لا يتم بكثرة التصريحات والأصوات العالية التي تردد أخبار انتصارات ضئيلة وتستهين بخطر لم يتم فهم أبعاده وإبابه حتى اليوم.)[1].

ولنشهد تداعي الاتحاد السوفيتي: انهياره، وتأثير ذلك على دول الجوار والعالم، ولتكون العولمة ذاتها من كبريات تجليات هذا المستجد الكوكبي: الجغرافي والإيديولوجي، كما لو أنه إريد منها سد فراغ، لتكون إيديولوجيا ما بعد الإيديولوجيا!

ولعل الجاري في أعقاب حرب الخليج الثانية كان شديد المفعول والمردودية جهة المنعكسات السياسية والتحولات في تصورات الناس، وجانب التفعيل الديني في الحياة اليومية لملايين البشر وخصوصاً في العالم الإسلامي، كما لو أن الأخير كان في انتظار ما يدخل في "بطاقة الذاكرة النفيرية" ليتسعيد أنفاسه ويستجمع قواه الأكثر حدة وشدة أو راديكالية، من خلال تفعيل أثر القاعدة وما ترتّب عليها من امتداد قاعدي لها، وتحديداً، لحظة النظر إلى أميركا باعتبارها: القطب الأوحد، والذي تنبَّه إليه الكثيرون ممن استشعروا انمحاقاً في شخصياتهم لا بل ومعنى حياتهم حتى إلى ما وراء المرئي أو الموت، ليكون من شأن ذلك مضاعفة القوة المضادة، وعلى خلفية سقوط النظام العراقي، ليجد الإرهاب أكثر من وصفة، أكثر

---

[1] المصدر نفسه، ص ٣٥٨.

من معاينة، أكثر من تصريف له، إزاء المصلحة ومن تسمّي ومن تعمي ومن تؤازر بمعاييرها المعتمدة.

هذا يوسّع دائرة النظر في جهات مختلفة، فالولايات المتحدة الأميركية أوجدت لها أصدقاء أو مؤيدين، بقدر ما حفّزت آخرين ليكونوا مناوئين أو ساعين إلى إيجاد هوية تميزهم، ولو أنها كلفتهم حياتهم، عبر تمجيد النتائج الإيمانية طبعاً.

بمعنى أن ردود الأفعال تجاه الإجراءات الأميركية المتخذة ضد هذا الطرف أو ذاك لا يجب أن تنسينا ما يمكن أن يثار لدى أطراف أخرى، كالحديث مثلاً عن الإرهاب المتمثل في لباس معولم هو الجينز، ومشروب معولم هو الكوكاكولا، وطعام معولم هو الماكدونالد وكذلك الكنتاكي، وحتى على مستوى الغوغل، وهو ما تحاول تلك الجهات المخاصمة أو المعادية على أساس عقيدي التحرك بموجبه، لأن الهيئة في حد ذاتها موقف عياني وجهاد معين، لا بل مستقطب، كما الحال في الآونة الأخيرة، وليجد هذا المسلك كمال تصوره في الضغط على المعنيين بالموضوع بلزوم اعتماد المثيل، إنه الإرهاب الذي يواجه مثيله، واستناداً إلى قواه المغايرة، والمصلحة التي تحمل بصمة خاصة بها.

وإذا كان رجل بحث من نمط برنار لويس صائباً في تحديد هوية الإرهابيين، كما في قوله (ليس معظم المسلمين متشددين، وليس معظم المتشددين هم من الإرهابيين، لكن معظم الإرهابيين اليوم، هم من المسلمين وهم يفخرون بذلك.)، ومن ثم ما يقوله تالياً (وإذا ما كانت حسابات المتشددين صحيحة ونجحوا في حربهم، إذاً فالمستقبل الأسود ينتظر العالم،

خاصة الجزء الذي يعتنق الإسلام.)[1]، فإن ما عجز عن التقاطه، أو تجنب التقاطه حرصاً على تصور عقيدي لديه بالتأكيد، هو أن الإرهاب الذي يسمى من جانب، لا بد أن يدرَك في طريقة تفكيكه من جانب آخر، أي ما يواجهنا بهذا العدد اللافت والمتكاثر من الإرهابيين بتوجهاتهم الدينية الإسلامية، وكيف يتحركون، ومن يتابعهم، أو يتولى شئونهم قرباً وبعداً، وتحديداً في عالم العولمة المضاء، والمراقب بدقة لامتناهية باستخباريات متعددة، أي من يكون بيزنس الإرهاب، ومن يصرف حساباته، ومن يستثمره، ومن يخرجه ويوزعه ويبحث عن مؤيدين ووقود له...الخ، بدءاً من الأنظمة التي تدين بالإسلام، وانتهاء بالأنظمة الأكثر بعداً ليس عما هو إسلامي وإنما عما هو ديني كهوية سلطوية أو نظام حكم، وعلى الصعيد المجتمعي الأكثر ما بعد حداثية، حيث يحمل الارهاب علامة مقدسة في الحالة هذه، كما في راية "داعش" لدى دعاته ومناصريه، وبقدر ما يحيل الحرب التي يشنها الطرف الخصم معرَّفاً بصفته المعكوسة: إرهاب الدولة: النظام، ومسعى لتشديد الخناق عليهما، لنتجاوز الإسلام: الواجهة، أو القناع، إن أخذنا بمفهوم: الوجه قناع أو أكثر، فما بالك بقناع يتخذ صبغة كوسموبوليتية فاقعة، وهي الصبغة التي تجد نظيراً لها في أكثر من رقعة في "الغرب" وأميركا ضمناً، من منظور الهوية الذاتية[2].

---

(1) لويس، برنار: أزمة الإسلام "الحرب المقدسة والإرهاب غير المقدس"، ترجمة: عمار أحمد حامد، سلسلة الرضا للمعلومات، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٠٥- ١٢٠.

(2) بالنسبة لعلاقة ابن لادن بمناصريه أو مؤيديه، يقول توماس فريدمان، في كتابه: العالم في عصر الإرهاب، ترجمة: محمد طعم، منشورات الجمل، كولونيا- ألمانيا- بغداد، ٢٠٠٦، ما يلي (ابن لادن الذي يراه الأمريكيون كقاتل، بينما لا يزال في نظر العديد من الشباب العرب- بالرغم من هزيمته- كروبن هود.. إذ ترجع==

==جاذبيته لهم، إلى رفضه لكل ما يزدرونه هم بأنفسهم "حكامهم المنافقون، اسرائيل، الهيمنة الأمريكية، وتخلفهم الاقتصادي.."، مما يجعله الناطق الرسمي الوحيد باسم جموع المحيطين والضعفاء .. ص ٨٣).

ويمكن أن تعثر على الكثير من الإشارات من هذا النوع في كتاب السفير الأميركي الرئاسي إلى العراق بين عامي ٢٠٠٣-٢٠٠٤ "بول بريمر": عام قضيته في العراق "النضال لبناء غد مرجو"، بالاشتراك مع مالكولم ماك- كونل، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت،ط١، ٢٠٠٦، وصدر في طبعته الأجنبية في ٢٠٠٦، ففي إشارات مختلفة لبريمر إلى الإرهاب الذي يتهدد العراق ومن حوله حينذاك، ص٢٤٢- ٣٤٧-٣٥٩-٣٨٤..الخ "ومن خلال الزرقاوي" تماماً،ص ٣٦٠- ٣٦٦-٣٨٠، كان هناك من يتهم أميركا بالإرهاب مباشرة، ويمتدح كل ما يوجه ضدها، كما في حال مقتدى الصدر الذي (امتدح هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر الإرهابية ووصفها بأنها معجزة ونعمة من الله.ص٣٩٤)، وقبل ذلك وصف الائتلاف العراقي ومهندسيه الأميركان بـ (المحتلين الإرهابيين. ص ٢٤٤)..الخ.

وربما كان المفيد هنا، ما أثاره الباحث اللبناني رضوان السيد في أكثر من نقطة وصفحة حول ذلك، من كتابه: الصراع على الإسلام "الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية"، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٥، وما يصل ما بين أكثر من نقطة تموقع الإرهاب بالذات (إننا معنيون فعلاً بالحملة على الإرهاب سواء أتى من مسلمين أو من غير مسلمين. مادام الأمر مستنداً إلى قيم وأخلاقيات وإمكانيات لقاء، فلماذا لم يُذكر المتطرفون الآخرون؟ ولماذا لم يُذكر الفلسطينيون الذين يتعرضون لاحتلال وإرهاب دولة عضو في الأمم المتحدة، وليس منظمة إرهابية سرّية ؟!. ص٥٦).

ذلك ما يؤخَذ بعين الاعتبار، سوى أن الشيء بالشيء يُذكر، وهو لماذا لم يخطر اسم شعب آخر يتعرض لإرهاب أكثر من دولة، وأعني بذلك: الكورد؟ أم إن الاعتبارات الأخلاقية في توجهها السياسي والإيديولوجي فاعلة هنا ؟

للتوسع أيضاً، ينظَر في كتاب بشتيوان صادق: الإرهاب "التاريخ- التعريف- التمييز- الأنواع- الأساليب.."، كوردستان، ٢٠٠٦، في ٢٩٢ ص، وكذلك كتابه الآخر: "الإرهاب" نصوص ووثائق: الاتفاقيات الدولية- قرارات مجلس الأمن- قرارات الجمعية العامة.."١٩٦٣- ٢٠٠٥، كوردستان، ٢٠٠٦، في ٣٣٤ ص ...

فأن يكون العالم في مجموعه مأخوذاً بالإرهاب، كما هو الميسور قوله، فذلك يشكل دافعاً معرفياً لأن يُبحث فيه على أكثر من مستوى، حيث العالم ليس واحداً، إنما نكون إزاء مواقع، هي قوى قاعلة ومفعَّلة ومنفعلة في جهات شتى، حتى بالنسبة لدولة قارة، إن جاز التعبير، من المجازفة القولية بمكان الإشارة إليها، وإيجازها كموقف من زاوية واحدة، ليس لأننا نستدعي المتردد عن الصقور والأبوام، وإنما ما ينوّع في الصقور والأبوام، وما يغيّر في تحليق وجهات كل منها.

إن التشديد على الإرهاب لا يعزّز الرؤية في اتجاه واحد، إنما ربما في الاتجاه المعاكس، وتحديداً، لحظة النظر في بنية العالم وتنوع مصادر المعرفة وميول الناس والثقافة المتحصلة بوسائل لا تخضع للرقابة، أو يصعب تتبع منابعها، ومن خلال العلاقة التي تصل الفرد بمجتمعه ونظام الحكم فيه والسلطة التي تلوّن في المشاعر، ومن ثم الميديا وردود الأفعال التي تضع حتى أفراد المجتمع الواحد ضمن دوائر متعاكسة بدورها، أو خطوط متعارضة، حيث (جعلت الميديا من نفسها أداة إدانة أخلاقية للإرهاب ولاستغلال الخوف لأغراض سياسية، ولكنها نشرت في الوقت نفسه، وبكل غموض، الإعجاب الخام بالفعل الإرهابي، هي نفسها إرهابية إذاً من حيث أنها تذهب من تلقاء ذاتها نحو الانبهار..)[1].

أعني هنا ما يخص إمكان طرح سؤال من هذا القبيل: ربما يبرَّر بروز قوى تنخرط في لعبة الإرهاب من بيئات أو مجتمعات على غاية من التخلف أو استبداية النظام، والسيطرة التقليدية لما هو ديني، ولكن كيف ينظَر في

---

[1] بودريار، جان: المصطنع والاصطناع، ترجمة: جوزيف عبدالله، مراجعة: د. سعود المولى، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١،٢٠٠٨، ص ١٥٥ .

أمر المنشق عن مجتمعه وهو على غاية من الميسورية في الوعي والحال كالمجتمعات الأوربية؟ إن افتراض وجود ولو شخص واحد ينتمي إلى تنظيم إرهابي في مجتمع "متمدن" مقابل المئات في مجتمعات دون تمدن يُذكر، لا يفوّت بسهولة، بل يستدعي مساءلة أخرى، أي لا تعود المسئولية محصورة في رقعة جغرافية، دون أن يعني ذلك المساواة في مفهومها الحسابي بين عموم الجهات، لكن تحمل المسئولية وربطها بواقعها.

بصدد الميديا يحتاج الباحث اليوم إلى أكثر من عين متبصرة ليذهب إلى ما وراء المرئي، بقدر ما يحتاج إلى أكثر من أذن دقيقة الإصغاء ليميز بين الصوت الفعلي وما يشوش عليه، وهذا ينطبق على بقية الحواس وآليات التفاعل والتعامل معها، بما أن الميديا تنتسب إلى العولمة وغواياتها المتعددة الأبعاد والمرايا، وما فيها من نسخ منضدة تموّه على الفعلي لحظة مراعاة العلاقة بين الموضوع وما يعرّف به، ما يكوّنه ويعرّضه لمؤثرات محلية ومحيطية وغيرها، وهذا يمثّل الأساس الصلب لعمل الباحث المتروي والأكثر تميزاً بالمقاومة ونشدان المعرفة، كونه منتمياً إلى مجتمع له أعرافه، بقدر ما يتقدم بعلامات فارقة فيه، مثلما أنه يتراءى متعدد الصور والوجوه على مستوى السلطة ونظامه الثقافي والقيمي.

والميديا ليست بريئة البتة هنا بالتأكيد، وتحديداً لحظة معرفة جنسية لها، واعتبارها أبعد من أن تكون بريئة (ولعل كثافة المعلومات والتصورات والأفكار والطروحات والفرضيات وتسارع نبض العصر الذي وضع الجميع رهن الإقامة الجبرية بشكل ما حتى وهم متباعدون عن بعضهم بعضاً

جغرافياً وألسنياً وثقافياً ومن خلال مفردة اكتسبت طابعاً كونياً هي "الإرهاب"، هي التي تؤكد هذا المنحى.)[1].

في ذمة الميديا وهي ذات نسابة كونية، إنما يسهل الوصول إلى حاضنتها العالمية، والعوامل المؤثرة في توجهاتها، وما يجعلها عرضة للتجاذبات، والقيام بأدوار مختلفة، والدخول في تمويهات، تجاوباً مع المواقع الأكبر احتواء لها، ومن ثم إدارة لها على أصعدة مختلفة، بالصوت والصورة، ولا يعدو الإرهاب نفسه أن يكون بعداً معيناً، وبنسبة ما من أبعادها، إلى جانب الإرهاب الآخر والذي يطال أشخاصاً وجماعات وأمماً من نقاط رصد وأشكال تلقين مرئية وغير مرئية.

يعني ذلك أن الإرهاب وما يكون إرهاباً وما يجري تمويهه بوصفه إرهاباً يخرج عن نسقه الحدثي الذي كثيراً ما يتحدد باللحظة والمكان، تماشياً مع لعبة هذا الذي أفرزته العولمة وما بعدها، أي ما يجري التستر عليه استجابة لداعي المصلحة الأكثر نفاذاً في العلاقة التي لا يمكن تحرّيها دائماً بسهولة وبذات الطريقة، نظراً لتنوع خطوطها من جهة، ولقابليتها لأن تجري تغييراً للمسار والهيئات، كون خاصية "الكوكبية" تعرّف بها، ليس لأن الإرهاب لا يعود ممكناً تلمسه أو الوصول إليه باسمه ولونه وشكله ومن يقوم به إجمالاً، وإنما لأنه لا يتخذ اتجاهاً واحداً، وخصوصاً مع تضارب المصالح حتى من قبل الأطراف الكثر تناغماً.

وعلينا هنا، جرّاء هذا العنف الذي صار مالىء الدنيا وشاغل الناس، أن نتحرى عن قرب: حولنا، وعلى مرأى منا أحياناً، ما يكون عليه الإرهاب،

---

[1] من تقديمي لكتاب كل من جان بودريار– ادغار موران: ترجمة: عزيز توما– تقديم: إبراهيم محمود، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط١،٢٠٠٥، ص ٢٤ .

أي هذا المسمى بالإرهابي الذي يباغتنا أو يداهم دورنا في وضح النهار ويتهددنا بالقتل، أو ربما يغرينا أحياناً لأن نتجاوب معه تعاطفاً أو تشاركاً، أو لا يتردد في إنزال قصاصه الذي يلقِّن إياه ردَّ فعل على الجاري ضداً على عقيدته، وما يعتبره تهديداً لهويته بالجملة، وليكون في الإثر المزيد من الضحايا، باعتماد عنف غير مسبوق، ترتعد له فرائص الأكثر بعداً عن متناول يده، من خلال تلك الدعاية المرعبة، ووسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية وأقنية الاتصال الخاصة، ولعل أسلوب "الذبح": فصل الرأس عن الجسم، هو الأكثر ما بعد حداثية في الأصولية الدينية الطابع، دون أن يعني قول كهذا موافقة على المعتمَد بالتأكيد، ولكنه الممكن والمستوجب إرساله كإضاءة لعالم مركَّب، تكاد المواقع تختفي وهي تسمي رجالاتها، أو تعيّن جبهاتها الثابتة، كما لو أننا نشهد حروباً، لا حرباً نمطية واحدة للأقنعة، وكأن الإرهاب هو الأكثر حضوراً، أو لا يجوز حتى تهجئته أو الإمضاءة عليه، نظراً لغزارة المنتَج باسمه، ليكون القاعدة وما عداه، وما أقله: الاستثناء.

نعم، إن ما لا يصدَّق يجب أن يصدَّق رغم هول المشهد المتلفز والخاص ورعب المبثوث(يعرض القتل كعمل ذبح مقدس "كما يذبح الخروف" ويميد ليشمل عدو الإسلام. العدو كحيوان يحلل ذبحه، اللجوء إلى السلاح الأبيض، يهدف، من جهة، إلى تعزيز هذه الفكرة، ومن جهة أخرى، إلى التذكير بوقائع مسلمة لأبطال في الإسلام.)[1].

---

[1] خافار، فرهاد خسرو: الأصوليون والعمليات الاستشهادية، ترجمة: جهيدة لاوند، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، بغداد، أربيل، ط١، ٢٠٠٧، ص ١١٦ .

في فعل الذبح هذا ثمة محاولة رهيبة ولافتة، لتجريد الإرهاب الذي بالكاد يسمي فاعله الفعلي، جرياً وراء تعددية هذه المصلحة أو تلك، أو المصالح التي تعبر الحدود وتطال أمماً وجماعاً وتتهدد ثقافات وأعرافاً كذلك، محاولة، تري كل شيء وبالعين المجردة على وقع تكبيرة دينية الطابع، وما في ذلك من بدائية، لأن السكين هي الفاصلة مع الصوت، إلى جانب سفك الدم، مع حيونة الكائن، كما لو أن القائم بالفعل، يتوعد الآخر: خصمه أو غريمه بتجريده من كل ما يحصنه أو يتستر وراءه، أو يشهّر فيه باعتباره ماكراً ومرائياً، لأن السكين كثيراً ما تمثّل عصراً له طابع البدائية، وما فيه من طقوسية أو تلك الشعائرية، ونزع البهرجة، أو خاصية المجاهرة بالتحدي الكارثي المقام، لتكون الحيونة تهديداً للموقع المتقدم الذي يتحصن فيه الآخر، ولا يهم من يقوم بعملية الذبح بالذات، بقدر ما يهم الفعل وما يجري تصويره وإظهاره للملأ، والمترتب عليه ثواباً، أي كما لو أن الذابح يتقدم خطوة إلى الأمام بنيْل شرف الشهادة مسبقاً، وهو الحد الأقصى مما يمكن تحمله، إزاء مشهدية ما بعد العولمة، ودون أن يعني ذلك مجدداً إضفاء أي مشروعية على هذا العمل بوصفه إرهاباً، أو إجراماً، إنما هو مكاشفة لقوى تمثّل قيماً متجابهة!

وفي هذا الخضم العالمي العرمرم، والكوكبي الكبير بجلاء، يبدو أن أي حديث عن الإرهاب مؤكداً نجاعته، ومنذ البداية، من خلال التذكير بما يقوم عليه، وما الذي يغذيه ويبقيه ويحييه بالمقابل، وما يندرج في نطاق المصلحة.

أحسب هنا، أن الانطلاق من إقليم كوردستان، وفي السياق المذكور، ينطوي على مغامرة، رغم أن الموضوع بحثي، إلى جانب اعتماده على قرائن

داعمة، والأنكى من ذلك أن الموضوع المبحوث فيه لما يزل في حال التشكيل أو التبلور ومن المستحيل بمكانٍ التنبؤ بمآله، أو بما يمكن أن يحدث في أي لحظة، بما أن مفهوم "المسرح العالمي" يغطي الكرة الرضية، ويمتد عالياً صوب الفضاء، حيث الرصد يتم لكل شاردة وواردة على مستوى العالم، عبر الأقمار الصناعية التجسسية، لكن الذي يمكن أن يُسمى لا ينفصل عن حيوية اليومي، ولا عما يشكّل الخلفية المسنِدة للبحث بالذات، فثمة تاريخ، وثمة رهان لا يفوَّت للتعرض له، ومحاولة تتبع خيوطه، وتوقع ما يمكن أن يحصل غداً أو بعد غد، وبصورة خاصة، عند تبين ما هو مختلف لا بل ما هو مغاير بالنسبة إلى إقليم كوردستان العراق، في المكانة المعطاة له جغرافياً، والدور في التحرك سياسياً وعلى صعيد عسكري بالمقابل، وتلك الحركة الدائبة التي نشهدها من خلاله في المنحيين: الدبلوماسي والعسكري.

هذا يضعنا إزاء حدث غير مسبوق بنوعيته، وكون العدو يتجاوز إطار الدولة: الإرهاب ومن يشخصه، من يمثله، من يقوده، من يخطط له على مستوى محلي وإقليمي ودولي، كما نوهنا، ولأن إقليم كوردستان برز في مقام "القاعدة": أي قاعدة الانطلاق، والبيشمركة في مقام القوة الأكثر فاعلية بدايةً، كما لو أنها ظهرت في مستوى الاختبار والمتابعة، وباعتماد غرفة عمليات من داخل الإقليم، وربطها بتلك النقاط التي تمارس مهامها هي الأخرى من أجل ذلك خارجاً، يكون الإقليم هو محك الاختبار، أكثر بكثير من الدور الذي لعبه في الحرب على نظام صدام مع قوات التحالف آنذاك، إذ كان هناك دولة ونظام يحارَب من خلالها، وراهناً لا يعرَف من هو العدو الرسمي، رغم تسميته، ورغم تجييش الوعي على مستوى عالمي ومن قبل الولايات المتحدة وحلفائها أوربيين وعرباً وغيرهم، تبقى الخطورة ماثلة

في سير العمليات، وفي تلك الجهات التي ترصد كل حركة، أو تنشغل بما هو خفي أو مخطّط له، نظراً لحساسية الحدث، وما لا يسمى فيه تحديداً، وما يضفي على الحدث ما هو أكثر من اسمه، أي ما يخرج الإرهاب كمفهوم مركّز وقابل للتسوية أو التوصيف من حدثيته، وعبر هذا التركيز عليه ومحاولة تأطيره "الإرهاب الدولي وكيف يتم، عبر تسمية داعش قبل كل شيء"، كما لو أن ذلك يفصح عما وراء الستار، لأن توسيع نطاق الحرب على الإرهاب، لا بد أن يضعنا في دائرة ميثولوجية "حرب ميتافيزيقية أيضاً"، بتسمية قوى كونية داعمة له، ويثير الكثيرين في السلب والإيجاب، مع تكرار السؤال عن المصالح التي تطرَح سواء من خلال أسماء الساعين إليها، أو المعزّزين لها ضمناً، أو ارتكازاً إلى المعنيين به في النطاق المحلي والإقليمي نفسه، وهذا يضاعف من خطورة الوضع محلياً، ويثقل كاهل الإقليم، بقدر ما يموقعه في مواجهة أكثر من سيناريو مجهول، وهذا ما نحاول التوقف عنده، بالقدر الذي يسمح بالتقاط أهم الإشارات، كما نعتقد، وتلوُّن الإقليم بين كل من الإرهاب والمصلحة- أعني بذلك من خلال الدول المتقاسمة لكوردستان وكيف أنها تندرج في إطار ما أسميه بـ"**الأنظمة الحدودية الشديدة التمركز**"، تلك التي تكون مركّبة، فهي أنظمة متميزة بشموليتها على مستوى السلطة الجلية بخاصيتها الأمنية انطلاقاً من خاصية التنوع العرقي أو الاثني وحتى الديني فيها، ولكل منها نصيب وأسلوبل تعامل معين: مراقبتها الشديدة لما يجري في الداخل جرّاء التنوع المذكور، ولوجود تراتبية "هيرارشية" تكون السلطة ممثلة لقومية على حساب القوميات الأخرى مهما برزت محدودة عدداً، لأن المفهوم الحساب لا يؤخَذ بعين الاعتبار، وخصوصاً حين ينظَر في أمر كل اثنية على أنها تحتفظ بحضور

عددي لا يستهان به، وفي الوقت نفسه تعدَم من جهة التمثيل، وللسبب الآنف الذكر، تكون مراقبتها الفائقة لحدودها، نظراً لأنها مرسومة "من فوق" وفق توافقات أو اعتبارات مصالحية دولية وإقليمية، كما لو أننا إزاء خارطة جغرافية تمثل أرضاً مستوية تماماً، وما يحدث في رقعة يؤثر في البقع الأخرى حدودياً، وكل منها تتباهى بعلامتها الامبراطورية اللافتة، سواء كانت إيران وهي تفعّل الجانب العقيدي لأهميته وفي المتن تلك السياسة التي تمس قوميتها الفارسية، بينما تركيا آخر الامبراطورية الشرقية وأكثرها دوي انهيار، فرغم حضور تركي– تركماني في الجوار، سوى أنها، وكونها تحتفظ بمساحة جغرافية غير مستقرة "منطقة زلازل سياسية من جهتها" لا تدخر جهداً في الوصل بين الداخل والخارج "وللكورد تأثير مضاعف هنا"، وليست العلمانية المسماة خياراً اعتباطياً لتركيا، إذ إنها لا تتحرك على عجلات دينية داعمة لها "كما الحال راهناً"، وتخشى في أي لحظة من التفكك، كما سنرى، حيث تخوفها من أي مستجد إقليمي يعنيها يهزها أكثر من غيرها، بينما للعراق وسوريا مسار آخر، فالعراق معتبَر قطراً ضمن دائرة، ويعني ذلك أن ثمة مدداً يتلقاه كل قطر من بقية الأقطار للحفاظ على حدوده، كما لو أن الخارج مقيم في الداخل، باسم الأمة العربية الواحدة، أو القومية العربية تارة أخرى طبعاً، رغم الصراعات الفولكلورية والكشكولية القائمة والمعلومة، إلا ما يخص "الأمن الحدودي"، كما في حال انتفاضات الكورد أكثر من غيرها، ليلتقي السياسي مع الاجتماعي والقومي والاقتصادي..الخ، وهذا ينطبق على سوريا بالمقابل، وهي تأتي في المرحلة التالية بالنسبة للعراق جهة التأثر وتبعاً للموقع الجغرافي.

إقليم كوردستان ضمن الجغرافيا العراقية :

لا أعتقد أن هناك داعياً للقيام بسرد تاريخي عن الإشكاليات التاريخية الكبرى التي عاشها إقليم كوردستان العراق، أو ما كان يسمى وحتى الآن في جهات مختلفة وإقليمية "من دول الجوار وأبعد"، بـ"شمال العراق"، كما لو أننا نتحدث عن جوار حدودي، رغم أن كوردستان العراق داخل حدود العراق، سوى أن المسائل العالقة راهناً، بين حكومة الإقليم والمركز ليست حديثة العهد، إنها أبعد من اعتبارها قانونية ولوجستية، بقدر ما تقوم على مسالة الاختلاف في الهوية، على الأرض والخاصية الجغرافية تلك التي تتجاوز الحدود المرسومة باعتبارها مصطنعة، وبتلك التراكمات المؤرشفة، وما لم يدخل في عداد التأريخ لأسباب تاريخية أيضاً، وما بقي عالقاً في الأذهان، ودخل سلك الروايات الشفاهية، أي ما يشير إلى تلك القائمة الكبرى من الخلافات وهي تجاذبات وصراعات على الأرض وفي الذاكرة الشعبية، وعلى مستوى الدبلوماسية حتى خارج نطاق حدود العراق، وهي بداية، لأن ثمة امتداداً حدودياً "بالمفهوم الكوردستاني"، وهذا يفصح عن هذا الإرث الثقيل والصادم لكل من ينتمي إلى العراق، ومن هو خارجه إقليمياً، ويخضع كل تحرك إقليمي، وخصوصاً، إذا منِح بعداً دولياً، كما الحال الآن "آب ٢٠١٤"، لكل من مساءلة، مع استثارة الهواجس، ويستنفر القوى لهذا الغرض.

إقليم كوردستان، رغم المساحة المحدودة، مقارنة بمقابله ضمن الحدود التركية والإيرانية، إلا أن الموقع الجغرافي، رغم جزئيته، والدور التاريخي الذي تمثّل فيه على مر العصور، وخصوصاً في القرن العشرين "أي بعد الحرب العالمية الأولى، وعلى أعقاب اتفاقية سايكس– بيكو ١٩١٦" وهي

التي فاجأت الكورد أكثر من غيرهم استناداً إلى ما قاموا به عسكرياً وسياسياً، والحضور الكوردي على الساحة الإقليمية والدولية، أضفى عليه قيمة استثنائية قولاً وفعلاً !

إذ لا أكثر من المؤلفات أو الدراسات التي تناولت هذا الشأن، إنما دون أن تنيره كما ينبغي، بقدر ما سلطت الأضواء على الخلفية السياسية، والمناورات التي تخللت اللعبة المحلية: العراقية، والإقليمية والدولية، ومن ثم حرمان الكورد من أي نوع من الحقوق التي تذكّرهم بهويتهم المختلفة، أو تمايزهم، أو شعورهم بأنهم يعيشون على أرضهم: أرض آبائهم، حيث برزت المسألة صراعاً على المصالح، وتبادلاً للاتهامات وحتى الشتائم، أعني بذلك ما يجعل الشر جامعاً بين كل طرف والطرف المقابل له، وفي الوقت ذاته، ليكون الأكثر اعتراضاً على عملية التقسيم أو تقاسم الجغرافيا ومن عليها، ويتمثل في الكورد في مقام الساعي إلى الشر وإثارة القلاقل، وفي الأوج تكون صفة الإرهاب مقدَّرة هنا.

ضمناً تكون عبارة "المناطق المتنازع عليها: الموصل وكركوك في الواجهة" وهي عبارة لّماحة لما تزل تثير قدْراً لا يستهان به من الخلافات وسفك الدماء ليس على مستوى الساحة العراقية وإنما على الحدود الإقليمية لدول الجوار، لنكون إزاء استثناء إقليمي بالمعنى الجغرافي، وهو الإستثناء الذي لا يسجّل كحدث تاريخي بكل تفاصيله، وإنما يُترك نهباً لتساؤلات وتداولات على صعيد الذاكرة الجمعية الشغالة بالدلالات، وحتى بين الناس في الشارع نظراً لأهميته وصلته بمصائرهم بتعدد أعراقهم،

بقدر ما نجد أنفسنا في مواجهة بعثرة ديموغرافية لا يمكن تجاهلها بأبعادها المختلفة، وتوترات تتجدد زمنياً[1].

---

[1] كما نوَّهت، فإنه من المستحيل بمكان، وفي هذا الحيّز التذكير بتلك القائمة الطويلة والكبرى من العناوين ذات الصلة بالموضوع: إقليم كوردستان العراق، وما يخص المناطق المتنازع عليها، وما يخص العراق بتاريخه الحديث، سوى أنه في الوسع الرجوع إلى ما يلي، وذلك من باب المتابعة والوقوف على الخلفية التاريخية للموضوع الموسوم:

الكورد والعرب والبريطانيون "مذكرات والاس ليون في العراق ١٩١٨-١٩٤٤"، ترجمة: عماد جميل مزوري، مراجعة وتقديم: د. فيلد هاوس، دار سبيريز، دهوك، ط١، ٢٠١٠، وهو مهم جداً، لمعرفة تصورات الآخر: الانكليزي تجاه العراق ككل، وموقع الكرد في العملية السياسية، بدءاً من الفصل الأول "الموصل، دهوك وانتفاضة ١٩١٨-١٩٢٠..

سي. جي. أدموندز: كورد وترك وعرب "سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي من العراق ١٩١٩-١٩٢٥"، ترجمة: جرجيس فتح الله، آراس،ط٢، أربيل/ ١٩٩٩، في ٤٠٠ ص ونيف.

عباس العزاوي المحامي: كركوك "اللواء والناس والعقائد"، تحقيق وتعليق وهوامش: حسين أحمد الجاف، دار جيا، بغداد، ط١، ٢٠٠٨ .

م.لازارايف: المسألة الكوردية "النضال والإخفاق ١٩٢٣-١٩٤٥ "، ترجمة: د. عبدي حاجي،آراس- أربيل،٢٠٠٧، الفصل الثاني خصوصاً وهو يتضمن قضية الموصل ..

د. كمال مظهر أحمد: كركوك وتوابعها "حكم التأريخ والضمير: دراسة وثائقية عن القضية الكوردية في العراق"، ج١، وزارة الثقافة، إقليم كوردستان، د.ت.

د. عبدالفتاح علي البوتاني "دراسات ومباحث في تاريخ الكورد والعراق المعاصر"، سبيريز، دهوك، ط١، ٢٠٠٧، كما في النشاط التبشيري الأمريكي في كوردستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ص ص ٢١-٣٨...الخ.

جرجيس فتح الله: يقظة الكرد، دار آراس- منشورات الجمل، أربيل- بيروت، ط١، ٢٠١٢،ف:١٠-١١-١٢-١٣-١٤- الباب الثاني ومن ثم الثاني، ولهما صلة مباشرة بالعراق ومصير الكرد ضمن الاتفاقيات الدولية وغيرها. ==

إن مسألة بروز القوة الكوردية في العراق ليست حديثة العهد، وإنما ترجع إلى عقود زمنية طويلة، إن أخذنا الصراعات التي شهدها القرن العشرون في المنطقة عموماً وفي العراق خصوصاً، والقوة هذه مركّبة: جهة الجغرافيا التي تعني الكورد "الإقليم الكوردي" وجهة الكورد أنفسهم من خلال تواجدهم على الساحة السياسية العراقية طبعاً.

والبريطانيون كانوا على بينة من ذلك وهم في مساعيهم المختلفة لإبقاء الكورد إلى جانبهم، أو تحييد قواهم، أو السعي ما أمكن إلى التعامل معهم بمزيد من الاحتراس واليقظة، كما يشهد بذلك ساستهم ورجال إدارتهم[1].

== جوناثان راندل: أمّة في شقاق "دروب كوردستان كما سلكتها"، ترجمة: فادي حمود،دار النهار، ط٢، ١٩٩٩،الكتاب في عمومه .

كنعان مكية: القسوة والصمت "الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي"، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا،٢٠٠٥، الباب الثاني بصورة مركّزة "الصمت" ص ٢٢٩ وما بعد .

هنري لورنس: المشرق العربي في الزمن الأمريكي من حرب الخليج إلى حرب العراق، ترجمة: بشير السباعي، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٨٩، مثلاً .

أوفرا بينغيو: كرد العراق "بناء دولة داخل دولة، ترجمة: عبدالرزاق عبدالله بوتاني، دار آراس– الساقي، أربيل– بيروت، ط١، ٢٠١٤، وهو مهم جداً في هذا السياق.

عثمان علي: الحركة الكوردية المعاصرة "دراسة تاريخية وثائقية ١٨٣٣–١٩٤٦"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،هرندن– فرجينيا، الولايات المتحدة الأميركية، ط٢ ٢٠٠٨، ٨٨٠ ص من القطع الكبير، الفصلان: ١١ و١٢ .

جاريث ستانسفيلد: العراق "الشعب والتاريخ والسياسة"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٩، الفصول الثلاثة الأولى بداية...الخ.

[1] كما في حال والاس ليون في مذكراته السالفة الذكر، وكذلك ادموندز في مصدره المذكور بدوره، وفي كتاب جاريث ستانسفيلد آنف الذكر، الفصل الثاني، وما ورد في كتاب أوفرا بينغيو المذكور سالفاً، كما في هذا المقبوس (منذ تأسيسها كان==

ولأن الانكليز والفرنسيين كانوا مهندسي "سايكس– بيكو"، وللانكليز الدور اللافت في ذلك نظراً لحضورهم الأقوى في التخطيط للعبة وإدارتها، فإنهم كانوا أكثر دراية بآفاق اللعبة، أي فيما كانوا يخططون له ويستهدفونه بعد ذلك، وهذا يشير إلى موقع الكورد عموماً وفي إقليم كوردستان في اللعبة الدولية وضمناً اللعبة السياسية العراقية، وهنا لا أتردد في القول بأن المتعلق بعملية ترسيم الحدود بين العراق والدول التي تقاسمت دوردستان: إيران، تركيا، سوريا، وفي المرحلة الثانية، وربما على الهامش الاعتباري التخطيط لحدود الإقليم وما يخص مفهوم "المناطق المتنازع عليها"، لا يعدو أن يكون من داخل اللعبة ذات المنحى الاستراتيجي، أو البعيد المدى، لتبقى القوة الكوردية دون الحدود الجغرافية والسياسية التي تمكنها من التحرك كما تريد، بما أن أهم نقطتين إحداثيتين: الموصل وكركوك تمثلان جوهرتين غاليتي الثمن، سحريتين: في الموصل بما في تعدد اثني وكموقع حيوي، وكركوك كموقع متعدد الاثنيات وجغرافي غني بثرواته المعدنية: النفطية أساساً بالتأكيد، وما يترتب على ذلك من إدامة اللعبة وبلبلة الأطراف جميعاً، أي ما يجعل الكرد متهيئين باستمرار لأن يندفعوا إلى خارج المرسوم لهم، وما هو مفروض عليهم، حيث تبقى الموصل وكركوك خصوصاً خارجاً، وعامل الإغراء في فعل الاندفاع والدخول في مفاوضات

==على الدولة العراقية أن تكافح في وجه القضية الكوردية التي كانت تؤثر في كافة جوانب حياتها الاقتصادية– الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى علاقاتها الدولية. ص ١٩)، والمثال الأبلغ ما ورد في شهادة ادموندز على خلفية من تقرير لجنة العصبة الخاصة بالموصل سنة ١٩٢٤ (إن قادة الرأي العام الكوردي يحق لهم أن يختالوا على الملأ، ويفخروا بأنفسهم على دولة أبوا أن بكونوا لها مواطنين أذلة.)، طبعة دار الجمل، بيروت٢٠١٢، ص٥٧٤ ..الخ.

ومساومات، والأهم من ذلك في صراعات وتسويفات تبقي العراق عموماً ساحة ملتهبة بالنزاعات، وفي المتن يكون إقليم كوردستان مراهناً على ما سُلِب منه، ومرصوداً من قبل المركز وما يتجاوزه.

ليس لدى الكورد ما يوقفهم عند النظر إلى جغرافيتهم المسمّاة لأن ثمة حدوداً تقتطع حدوداً، وثروات تعنيهم مصيرياً، لأن في ذلك ما يعبّر عن إحدى الخاصيات الكبرى لمفهوم الهوية وتجلياتها في عمق التاريخ، ولا شيء يرضيهم بالتجاهل، إزاء هذا السلب الجغرافي والديموغرافي، كما لو أن العملية هذه برمتها طعْم أو فخ لا فكاك لهم من الاصطدام به، حيث يشهد التاريخ المديد على ذلك.

إن الكورد في الإقليم الكوردي كانوا في واجهة العالم من حولهم، ليس لأنهم تميَّزوا عن غيرهم باعتبارهم "شعب الله المختار" إن جاز استخدام هذا التعبير شديد الخصوصية وفي مرجعيته الغيبية هنا، وإنما لأنهم كانوا الأبعد عن تسنمهم لموقع يجعل لهم اعتباراً كما يليق بهم، ليكون هذا الاعتبار ذاتي المنشأ من خلال توزعهم الجغرافي بالذات، أي بعثرتهم المخطّط لها باتفاق متعدد القوى، ولأنهم على مدى أعصر كانوا متمترسين خلف ذاكرة جمعية، على الضد من التدوين العائد إلى تاريخ عائد إلى مستبدين بهم، أو متحكمين بمصائرهم، ليكون كل حدث صائر يسمّيهم يحفّزهم على التمسك بما هم عليه أكثر من فعل الكتابة، رغم كل ما يمكن الإفصاح عنه جهة تفرقتهم أو تشتتهم، ذلك يعني من جهة أخرى، أن التأريخ المقروء قد يثير من الحساسيات بما لا يُتوقّع، وينبّه إلى تلك الانزياحات/ الزحزحات المتعمدة في مسيرة شعب أو سيرته على الأرض وفي ثقافته، وهذا ينطبق على الكورد بأكثر من معنى،وفي التأريخ المسمّي لكورد العراق ما يستوقفنا

لتصفح ما هو مكتوب عنهم، وما هو مؤرشف في تلك الذاكرة المتعددة الطيات بميسمها الكوردي، باعتبارهم الشعب المتعدي للحدود المرسومة والمفروضة عليه طبعاً.

ولعل المتمعن في الخارطة الجغرافية الطبيعية والديموغرافية العراقية يصاب بالذهول في الكثير من الأحيان، إزاء الألغام التي زرعت في جهات مختلفة من العراق، سوى أن الكورد لهم حصة الأسد في ذلك، ليس لأنهم مأخوذون ككورد داخل الإقليم المسمى باسمهم، وإنما لأن ثمة تضميناً لما هو أوسع من ذلك خارج الحدود الخاصة وتلك المناطق المتنازع عليها، إلى جانب الحدود الأخرى التي تشدهم إليها، الأمر الذي يبقيهم هم أنفسهم في حالة توتر ومجابهة مع الآخرين، أو إن ذلك ينبهّهم باستمرار إلى لزوم عدم الاستقرار دورياً، أو على مدار الساعة، كما لو أن الذاكرة الجمعية الخاصة بهم تنسيهم أحياناً اللعبة المفخخة والمنصوبة لهم هنا وهناك، لكأن النسيان ينعطف على التاريخ ويشوش على الذاكرة، وأن هذه تتنشط كما تكون بمستجداتها جرّاء تعلقها بالمكان، تخطىء في حساب النتائج، فيكون الاندفاع، بقدر ما يكون الانتقال من فجيعة إلى أخرى، وتلك "بيضة القبان" المأثورة، البيضة الخاصة بالمعادلة السياسية التي تخص الجغرافيا والتاريخ، حيث إن تحرك الكورد خارجاً، وفي كل عملية سياسية كذلك، يستجيب لمؤامرة مسجَّلة، أو "طبخة" سياسية مسمّمة لذاكرة الكورد، ومفرحة لأعدائهم وخصومهم.

في الجانب الآخر، يظهر أن المعنيين بالكورد على الصعيد السياسي، ربما يكونون مطلعين على الكثير من السمات التي تعرّف بهم نفسياً واجتماعياً، أقل ما يمكن التذكير به، هو ما يتخلل كتب الرحالة وحتى الساسة الانكليز وخلافهم، ممن يشيرون إلى مجموعة من الخصائص ذات الصلة بالتجارب

اليومية والمتابعة عن كثب بصددهم[1]، وهذا ما يمكن التعرف إليه من خلال الأكثر حضوراً وانتشاراً وصيتاً عالمياً، أي: النفوذ الأميركي، وما ينوَّه إليه، وتحديداً على خلفية من الغزو الأميركي للعراق وإسقاط نظامه، والدور الكوردي الفاعل في ذلك، وكيفية تلجيم الكورد سياسياً، دون أي إغفال عن كيل المديح لهم، ولكنه المديح الذي يراعي المصلحة العليا لأميركا والدول التي لها صلات مباشرة معها[2].

---

(١) أشير هنا مجدداً إلى عشرات الصفحات التي تعنى بهذا الجانب في كتاب ادموندز السالف ذكره، و: ميجرسون "ميرزا غلام حسين شيرازي": رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكوردستان"، ترجمة: فؤاد جميل: ملحق عن القبائل الكوردية وفروعها،ج٢، صص ٢٠٣– ٢٠٧. كل كوردي في المدينة أو في القرية يعتد بقبيلة ما..ص ٨٧ ..

(٢) لا أدل على ذلك، مما أثاره السفير أو المبعوث الرئاسي الأميركي "بول بريمر" إثر سقوط نظام صدام حسين ٢٠٠٣، وذلك في كتابه: عام قضيته في العراق "النضال لبناء غد مرجو"، بالاشتراك مع مالكولم ماك– كونل، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، الطبعة الأجنبية ٢٠٠٦، في٤٩٦ ص قطع كبير، وهو الذي أمضى سنة ونيفاً في العراق "ما بين ١٢ أيار٢٠٠٣– ٢٨ حزيران ٢٠٠٤ "، كما في قوله عن الكورد (الأكراد شعب جبلي، صعب المراس ومستقل. وقد تمردوا معظم القرن الماضي على الحكام في بغداد، سواء أكانوا بريطانيين أم عراقيين. ..ص ١٢٢)، ومن ثم ما يخص حواراً جرى بينه وبين رئيس الوزراء الانكليزي حينذاك توني بلير، إذ سأل الأخير عن الكورد الذين تعامل معهم الانكليز على أكثر من مستوى، ليأتي تعليق بريمر وجوابه لاحقاً (على غرار كافة القادة البريطانيين الأذكياء، كان بلير مطلعاً على تاريخ الإمبراطورية ويدرك المخاطر التي تشكلها أقلية اثنية مضطهدة منذ مدة طويلة، مثل الأكراد، على استقرار البلد.

اعترفت "بأن الأكراد سيكونون مشكلة حقيقية ". ص ٣٤٠)، ومن ثم قوله (الأكراد يزعمون بأن كركوك كانت مدينة كوردية تقليدياً. ص ٣٤١– أبلغت بلير أنني كنت صريحاً مع القادة الأكراد، وحذرتهم من أن الائتلاف لن يتسامح مع الأعمال التي تثير الانفصال في العراق.ص ٣٤١)، وما يخص الموقف العملي (وقد أبلغت القادة الأكراد بأن عليهم أن يكونوا واقعيين. فالقانون الإداري الانتقالي وثيقة "مؤقتة"، لذا فإن القضايا الحساسة، مثل حدود الإقليم والوضعية النهائية للأكراد، تقرَّر عندما يكتب العراقيون الدستور الدائم. ص ٣٤٣ .)...الخ .

إزاء تصور من هذا القبيل يمكن تعقب طبيعة الدور الذي يقع على عاتق الإقليم، وما يمثّله الإقليم بالنسبة للدول الكبرى راهناً، حيث الأحداث بطابعها الدراماتيكي، كما يقال، شديدة السخونة، وبالتالي، فإن كل ما يمكن أن يثار هنا يكون في ضوء ما كان معاشاً حتى الأمس القريب من جهة، وترك زاوية، أو هامش لما هو مغاير حصوله لاحقاً، من جهة أخرى، إذ إن تحرك الإقليم بقواه السياسية والعسكرية لا يمكن تجاهل طبيعته ومساره وما هو متخوَّف منه بالمقابل، دون الربط بينهما "أعني القوتين"، باعتبارها في المستوى نفسه، حيث القوة العسكرية "البيشمركة" وللمرة الأولى، كما نوّهت تتحرك على جبهة واسعة: من حدود كركوك حتى حدود ربيعة وأبعد وأعمق، وهي القوة التي زادت من سطوع الضوء الدولي المسلّط على الإقليم محلياً وإقليمياً ودولياً، ومن باب الدقة: دولياً وإقليمياً ومحلياً مراعاة لمفهوم القوة على المسرح العالمي وجنسيتها، وفي الوقت الذي يشار إلى هذه القوة ذات الأثر التاريخي "عندما كانت مع قوى التحالف إبّان غزو العراق ٢٠٠٣"، لكنها الآن تتحرك في مسار آخر، إذ تواجه إرهاباً تذلّل جغرافيا متعددة الهويات الإقليمية بالذات، كما لو أنها تقاتل عدواً له حضور خرافي أحياناً: نصفه مشخص: على الأرض، والنصف الآخر غير مقدّر ومتحدَّد جهة المصدر والساحة الفعلية المخصصة له، أي "داعش"، وهذا التذكير أعاد إلى أذهان المعنيين بالإقليم وضعه السابق "بالأمس" كما لو أن هؤلاء على بينة من حضور قوته العسكرية وإمكان تحقيق الأهداف المرسومة والبعيدة المدى، وهي أهداف لا يمكن التنبؤ بها، ولا بأي شكل، سوى أن هناك مدخلاً افتراضياً يغرينا بدفع الموضوع في الاتجاه الذي يضعنا في مواجهة الإرهاب الذي لا يفارق المصلحة التي تسمي أصحابها "ممثلي القوى الكبرى"، وأن الإقليم الذي يجد نفسه ضمن الحدود العراقية إلى جانب حدوده المرسومة، لايجد فكاكاً من هذا الانتشار في القوة

العسكرية الخاصة به، وما يترتب عليه من تقديم قرابين بشرية "ضحايا الحرب الخاصة، إن جاز التعبير"، إلى جانب حرب من نوع آخر، حرب تتمثل في قوى سياسية عراقية لا تخفي نواياها العدائية إزاء سلطة الإقليم الكوردية بالذات، وهي في الوقت الذي تمثّل مصدر فخار، إلا أنها باعثة على الخوف بصدد النتائج، بما أن المواجهة الممكنة التحديد جغرافياً، لكنها عصية على التحديد في سياق مجابهة العدو الذي يتعدى الحدود الجغرافية المرسومة، وردود الأفعال الخاصة بالعدو المحارَب محلياً وإقليمياً ودولياً، حيث لا تعود الحرب بين قوتين، إنما مجموعة قوى ليست في الظل، بل في الجهات الأربع جهة التمويل والمتابعة، إلى جانب نوعية المشاركة، حيث القوات العراقية تشارك في مجابهة الإرهاب الداعشي بطريقة لا يبدو أنها تمثّل دولة ضد من يهدد أمنها، إن تحدثنا بالمعنى السياسي والقانوني، بما أنها دولة لم تثبت سلطتها كما يجب، وليكون الإقليم بقواه العسكرية وذات العلامة الفارقة "الجنسية": الكوردية شغالاً بالدلالات وعلى أكثر من جبهة، وعلى المحك، إلى جانب طبيعة الدعم العسكري واللوجيستي غير المسبوق، كما ذكرنا، للإقليم، وما في ذلك من رفع وتيرة الحماس، وحتى تلك الاستماتة من البيشمركة في محاربة الإرهاب الداعشي ومن معه عملياً ونظرياً، كما لو أنها حرب وجود بالفعل، وهو اندفاع لا يخرجنا ما كان حتى الأمس القريب، ومآسي الكورد وهم يعتمدون على سواهم اضطراراً[1].

---

[1] لا بأس من الرجوع هنا، إلى كتاب بات كلاسياً، لكنه مهم جداً، من ناحية الوقائع التي تريد فيه، وهي تأتي على ذكر فجيعة الكورد "وفي الإقليم بالذات" تجاه الآخرين: أميركا بالذات، والفجائع التي عاشوها جرّاء السياسة البراغماتيكية معهم، وأعني بذلك "أمة في شقاق" دروب كوردستان، كما سلكتها "لجوناثان راندل"..

وهي عملية تخفّف عنهم، كما الحال راهناً وطأة التفكير بما كان، والسعي إلى التحرر ولو جزئياً، وأحياناً كثيراً من تداعيات الذاكرة الجمعية وآلام الماضي القريب جداً، وتدوين التاريخ من خلال الحضور الفاعل والملموس لهم على الأرض من خلال حصولهم على أسلحة وعتاد وخبرات مثّلت حلماً عزيزاً عليهم لطالما تمنوا تحقيقه، وقد أمسى واقعاً يلهمهم بنيل ما هم ساعون إليه منذ زمن طويل: الاستقلال، ولو الذاتي الفعلي، وليس السريع التداعي.

يعني ذلك أن الاهتمام غير المسبوق من قبَل الأميركان، ومنذ أن أطلق أوباما الرئيس الأميركي صيحة تحذير موجهة إلى داعش ومن مع داعش إثر الغزو الداعشي للإقليم في مطلع آب ٢٠١٤، بأن "إقليم كوردستان خط أحمر"، لا بد أن يقابل كما هو باد للعيان، الخطر غير المسبوق لداعش والإرهاب الممثّل فيه في أكثر من جهة، الخطر غير المقدَّر كما ينبغي، كما صرَّح بذلك أوباما وغيره في نهاية أيلول ٢٠١٤، وهو اهتمام يبز ما لاقاه الإقليم قبل الآن طبعاً[١].

هذا يعني عدم التقابل بين المخطط الذي يعتمده الأميركان في العراق والإقليم الكوري ضمناً، وما هو مستهدَف ودون الكشف عنه، وما يعتمده الإقليم ضمن ساحة جغرافية ضيقة ومرئية أو مراقَبة بقواها من جهة أخرى، وحين يستحيل علينا تجريد كل خطوة منفِّذة بعيداً عن تلك السياسات

---

[١] ربما يمكن الإشارة إلى سعد البزاز الذي نظّر للموضوع من زوايا عدة، مع التحفظ على النوايا، سوى أن الذي أفصح عنه لا يغَض الطرف عن وجاهته بصورة ما، ومن خلال كتابه: الأكراد في المسألة العراقية، دار الأهلية، عمّان، ط١، ١٩٩٦، حيث أشار حينها إلى الاهتمام الأميركي الاستثنائي بـ"الأكراد" أكثر من سواهم، وليجري التخلي عنهم، وليقول أنهم كانوا (ساحة للعمل، وميدان للصراع ..ص ٢٦) .

المحلية والإقليمية والدولية، وخصوصاً بالنسبة للحدود، وهي مسألة في غاية الخطورة، أي حين ينوَّه إلى لزوم نيل كورد الإقليم على حقوق أكثر سياسياً وتداعياتها محلياً وإقليمياً[1].

هذا يعني أيضاً ضرورة استشراف الجاري من زوايا مختلفة، بحيث يكون للموقع الأميركي أكثر من اعتبار، كما في توسيع رقعة مواجهة الإرهاب الداعشي ومن معه في سوريا، ومنطقة كوباني تالياً، بما أنه كان البادي، وأنه الموجّه للعبة بالذات بأكثر من معنى: تقديم السلاح وما يستوجبه من دعم خبرات، وسقف الدعم بالذات استجابة للمخاطر التي يمثلها داعش بإرهابه ومحيط انتشاره، وهو الإرهاب الذي يستدعي أكثر من مقاربة، وقد أصبح

---

[1] حول ذلك، وللمزيد من المعلومات، يمكن مراجعة كتاب بيتر جي، لامبرت: الولايات المتحدة والكورد " دراسة حالات عن تعهدات الولايات المتحدة "، ترجمة عن الانكليزية، مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق، تقديم ومراجعة أ. د. عبدالفتاح علي البوتاني– جامعة دهوك، ط١، ٢٠٠٨، أطروحة جامعية، لنيل شهادة الماجستير، سنة ١٩٩٧ .

كما نقرأ في تقديم المركز: لم تكن القضية الكوردية في العراق المعاصر شأناً داخلياً حسب، بل كانت ذات أبعاد إقليمية ودولية أيضاً. ص ٩–

وما جاء في التمهيد: احتفظت الولايات المتحدة بعلاقات غير عادية مع الكورد. ص ١٥، ومن ثم ما يخص الحدود :إن سمة تخطي الحدود القومية في المشكلة الكوردية في الشرق الأوسط تمثل معضلة للولايات المتحدة. ص ١٣١– إن خلق دولة جديدة في الشرق الأوسط، على مناطق مأخوذة من دول أخرى أمر فيه إشكالية.. وبالنسبة للكورد، فإن القوى التي تريد الحفاظ على الوضع الراهن اليوم تعد حدود الدول أمراً محرماً لا يمكن المساس به. ص ١٣٢، فالتحدي الذي يعيشه الكورد وعليهم معايشته ومغالبته وهو ممتد في الجهات الأربع: يحتاج الكورد إلى التغلب على عداواتهم التاريخية ضد الكورد الآخرين لأجل أن يتمكن المجتمع الدولي من التعامل بشكل فعال مع الكورد كأمة. ص ١٤١...الخ .

الهاجس الرئيس لكل رجالات السياسة الأميركان، كما لو أنهم مصابون بعدوى يتخوّف منها كثيراً[1].

---

[1] هذا ما يمكن ملاحظته من خلال تركيز الإعلام الأميركي نفسه، وتلك التوجهات التي تنطلق من الداخل، بالنسبة للأميركي العادي، كما تابعنا ذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة في نهاية شهر أيلول ٢٠١٤.

من جهة أخرى، يسهل ضبط مفهوم الإرهاب باعتباره عصياً على الضبط، إن جازت العبارة، إنما بوصفه مخضرماً، حيث نوّه إليه قبل أكثر من عقد، وخصوصاً بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ ومن قبل رجالات السياسة الأميركان، كما في كتاب مذكرات كلينتون "حياتي"، ترجمة: حسام الدين خضور، دار الرأي، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، وهو يشير إلى أن تحدي الإرهاب (سيكون التحدي الأكبر في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين..ص ٩٨٣)، وأنه يتصدر الأشياء الخمسة التي على أمريكا القيام بها، أي (محاربة الإرهاب ..ص ٩٨٣)، وما ورد في كتاب وزيرة الخارجية الأميركية الأسبق مادلين اولبريت: الجبروت والجبّار " تأملات في السلطة، والدين، والشئون الدولية"، بالاشتراك مع بيل ودوورد، مقدمة بقلم الرئيس بيل كلينتون، ترجمة: عمر الأيوبي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧،ص:١٤٠-١٦٤-٢١٠..الخ، وما ورد في هامش ضمن الصفحة ٢٣٥ مهم لتبين المختلف عليه بصدد الإرهاب (في أيلول / سبتمبر٢٠٠٥، درس قادة العالم تعريفاً للإرهاب اقترحه كوفي أنان لكنهم لم يتواقفوا عليه. وكانت المشكلة الرئيسية هل تعتبر الأعمال المرتكبة لمقاومة الاحتلال إرهاباً إذا نتج عنها مقتل غير المتحاربين أو إصابتهم.)، وحتى في مذكراتها "سيرة ذاتية"، تعريب: د. محمد توفيق البجيرمي، دار الحوار الثقافي، بيروت،ط١، ٢٠٠٤، جهة الإشارة إلى الحرب على نظام صدام حسين، ص ٣٩٧، وما بعد، وحين يشير مدير الاستخبارات الأميركية جورج تنيت، ما بين عامي١٩٩٧-٢٠٠٤، وفي كتابه: في قلب العاصفة "السنوات التي قضيتها في السي آي إيه"، بالاشتراك مع بيل هارلو، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، إلى الإرهاب بقوله ذي الدلالة (أصبح الإرهاب مادة كوابيسنا اليومية..الخ.ص ٥٠٣). والمفارقة أن باراك أوباما لم يشر في كتابه: أحلام من أبي: قصة عرق وإرث، ترجمة: هبة نجيب السيد مغربي- إيمان عبدالغني نجم- مراجعة: مجدي عبدالواحد عنبه، مركز كلمة، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٩، رغم ضخامته النسبية "٥٠٠ ص ونيف، قطع وسط"، إلى الإرهاب أبداً، سوى أنه يفصح عن تأمله بصدد انهيار البرجين العالميين "ص ١٠ "، حيث الكتاب يرجع إلى عقد من الزمن، بمعنى أن أوباما لم يخض غمار السياسة، وهو الآن لا يكف عن الإشارة تصريحاً وتلميحاً إلى الإرهاب ليؤكد مركزيته في حياة الأميركية==

في ضوء المثار لا يظهر أن إقليم كوردستان، رغم كل الاستقطاب الذي حققه في بعده الإقليمي والدولي في الواجهة، في وضع آمن، أو في المشهد الذي يهيئه لأن ينتقل إلى مرحلة "**استراحة المحارب**" وإنما لأن يكون أكثر يقظة واستعداداً لكل الاحتمالات التي تهدد حتى ما كان محقّقاً من قبل الغزو الداعشي، وتحديداً في ضوء الانفجار الطائفي والمذهبي العراقي ومن يعمل على تفعيله أكثر ومن جهات مختلفة، وأنا أشدد مجدداً على ما هو بداواتي يؤقلم مع نظام تفكيره وأسلوب تعاطيه مع الحياة كل ما هو سائد ومتداول في الساحة العراقية وعلى أعلى مستوى[1].

==وكيفية محاربته، وما يمكن أن يقوم به جهة تجييش وعي كوكبي باعتباره عدوى عالمية لا بد من التصدي لها..الخ.

ومن منظور مختلف، يُنظَر مجدداً في كتاب رضوان السيد السالف ذكره "من الاختلاف إلى الصراع"، صص٣١-٤٤..الخ.

(١) أجدني مضطراً ولدواعي تاريخية وسياسية وسياقية فاعلة، إلى التذكير بما ورد في كتاب الباحث العراقي المعروف فالح عبدالجبار: في الأحوال والأهوال "المنابع الاجتماعية والثقافية للعنف"، تقديم: عباس بيضون، دار الفرات، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، حيث قال (تخرج البداوة، عالمياً، من التاريخ كله، فهي في رحلة أفول أكيدة، مع ذلك فإن تاريخ البداوة في العراق يطرق الأبواب بشدة مذكراً إياناً بما ألفناه في بطون الكتب من تلازم عابر بين التلاحم القرابي، والتسيد، أو بوجيزة العبارة، القانون الخلدوني القائل "إن الرياسة في أهل العصبية". ص٩٥)، وهو القول الذي يعيد إلى أذهان المعنيين بالموضوع بما أثاره الباحث العراقي الكبير علي الوردي، وقبل نصف قرن، في كتابه المشهور: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق **الحديث، ج١**، من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، دار الكتاب الإسلامي،ط١، ٢٠٠٥، بقوله (ولعلني لا أعدو الصواب إذا قلت إن النصر الباهر الذي نالته العشائر في ثورة العشرين كان أشبه بالحدث == == الشاذ منه بالحدث الذي تبنى عليه قاعدة عامة..ص ٣٩٩)، أي لحظة النظر في الصراع الدائر في الساحة العراقية وهي بمظهرها العشائري والذي يبقي الدولة دون مفهوم الدولة في التحاربات العشائرية المريعة .

نعم، وأكثر من نعم، أن يكون الإقليم في موقع الحفاوة الذي يظهر عليه وهو يحتضن مئات الألوف من العراقيين: عرباً وكرباً جرّاء الغزو الداعشي وغير الداعشي، وأن يكون في حرب محتفىً بنتائجها على الأرض هنا وهناك، يبقي الجانب الأهم، وهو المتعلق بالمآل، وما إذا كان فعل"خارج حدوده" سيمنحه حضوراً أكثر يليق بدوره سياسياً ويُحافظ عليه قانونياً.

إقليم كوردستان وصدى حضوره إيرانياً :

إيران دولة جارة لإقليم كوردستان، أو للعراق عموماً، لكنها مقتطِعة جزءاً مؤثراً من جغرافية كوردستان، وما في ذلك من لزوم النظر في كل متحول على صعيدين وبالترافق: عراقياً وكوردياً، وهما لا ينفصلان عن بعضهما بعضاً، والأمر الآخر والذي يشدَّد عليه هنا، وهو أن الحديث عن "الجوار الحدودي" بالنسبة للإقليم مردَّد تجاوزاً، بما أنه غير مؤهّل كما هو مطلوب لأن يكون ضمن حدود معترَف بها دولياً وحتى إقليمياً، وهذا ينعكس على العلاقة القائمة بينهما كثيراً.

وفي الحالة هذه، فإنه من واجب القول التركيز على هذا التشابك الحدودي، والنظر إليه باعتباره شبكة عريضة، بقدر ما تكون مترامية الأطراف، وأن كل حدث في أي بقعة، أو رقعة منها، يتردد صداه، كما ينعكس تأثيره موجياً، أو قاعياً في الجهات الأخرى، وخصوصاً إذا كان ذلك في الرقعة الكوردستانية، وأن ما جرى في السياق آنف الذكر، له أكثر من رد فعل في الجهات الأخرى، كما هو مشهود له في امتداد تاريخ المنطقة، سوى الفارق المشدَّد عليه، والذي نوّه إليه سالفاً، الأمر الذي كان له الاهتمام المركّز إقليمياً، وليكون تقدير الحدث وما ليس في الحسبان بالمقابل، إلى جانب التقدير الخاص بكل جهة لما يجري، ولما يمكن أن يترتب عليه مستقبلياً، كيف لا، والحدث يحمل الطابع الأميركي الفاعل بشكل لافت، إلى جانب الدول الكبرى في العالم، ومن ثم الدخول في دائرة الاهتمام من قبل دول الخليج، وهنا، لا بد أن يكون للطرف الإيراني ما يمكن نسميه بـ"سرعة المبادرة" إلى مقاربة الحالة/ الظاهرة، جهة الانشغال العالمي

بالداعشية بوصفها الخطر الذي يجتاح جهات جغرافية كاملة، وإيران منذ عام ١٩٧٩ في وضعية مجابهة مع محيطها الإقليمي والعالمي، بقدر ما تكون في مواجهة أخرى بمفهومها العقيدي والسياسي خارج حدودها، وخصوصاً في العراق وسوريا، إلى جانب لبنان طبعاً، وكلها مؤثرات تحمل أكثر من بصمة جغرافية وتأريخية، والجاري فاعل في سيرورتها ومراهناتها[١].

---

[١] ثمة أكثر من إحالة ممكنة إلى التأريخ الإيراني العقيدي والسياسي بهذا الصدد، وكخلفية للموضوع بالذات:د. كمال مظهر أحمد، في: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، كما في الموضوع السابق "حقائق عن النضال التحرري الكوردي في إيران"، صص ٢٢٥-٢٦٥، وجرهارد كونسلمان، في "سطوع نجم الشيعة: الثورة الإيرانية من ١٩٧٩-١٩٨٩"، ترجمة: محمود أبو رحمة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣، ص ١٢٠ وما بعد، ص ٢٤٢ وما بعد، وروي متحدة، في: بُردة النبي "الدين والسياسة في إيران"، ترجمة وتعليق: رضوان السيد، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢،٢٠٠٧، .و ادوارد سعيد: تغطية الإسلام، ترجمة: د. محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، ط١،٢٠٠٥، ص ٢٩-٩٣-٣١٣-٣١٦..الخ، ود.آمال السبكي، في "تاريخ إيران السياسي بين ثورتين ١٩٠٦-١٩٧٩"، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩، ف ٩: توطيد الحكومة الدينية ١٩٧٩-١٩٨٩، ص ٢٣٧ وما بعد، ورياض الريس، في "مصاحف وسيوف: إيران من الشاهنشاهية إلى الخاتمية"، منشورات رياض الريس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، كما في إيران وأميركا: كيف تقرأ المنطقة، ص ٣٧، وإيران وأعراقها، ص ١٢٠، وإيران وهواجسها "الخوف من الأقليات القومية" ص ٢٥٥، وإيران وقومياتها، ص ٣٢٧...الخ، وهذا الكتاب مهم جداً في بابه، وتوفيق السيف، في: حدود الديمقراطية الدينية "دراسة في تجربة إيران منذ ١٩٧٩"، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، كما في ف١: نظرية السلطة في المذهب الشيعي، صص ٢١-٥١، وديفيد مكدووال، في "الكرد" المصدر المذكور، ف٦+١٠، وغنثر ديشنر، في المصدر المذكور سالفاً، ف٦+٧+١٠، وجرجيس فتح الله، في المصدر المذكور، ف١، كما يُنظر أيضاً، في كتاب أوليفيه روا "تجربة الإسلام السياسي"، ترجمة: نصير مروّة، دار الساقي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ف١٠: إيران: التشيع والثورة، وف١١" العامل الشيعي في سياسة إيران الخارجية...الخ، ومن ضمن ذلك ما هو عام كمجابهة للغرب من قبل الشرق "المسلم"، وما هو مختوم بختم إسلامي إيراني (إن أسوأ ميراث خلفه الغرب لدى الشعوب المسلمة، من دون شك،==

إن النظر إلى الجغرافيا السياسية لإيران يضعنا في المشهد الساخن للسياسة التي لا تنحصر ضمن حدودها الدولية المرسومة، وهي التي تنتقل بنا إلى خطوة أبعد مما هو مذكور حتى الآن، وهي تتمثل في حزمة التقديرات التي تنالها دولة دون أخرى، أو جهة جغرافية أقل أو أكثر من أخرى، ولا بد أن تحرّي هذا الجانب الجيوبوليتيكي الفائق الأثر، يواجهنا بذلك التأريخ العاصف لامبراطورية ربطت بين العقيدة والسياسة واعتمدتهما في التعامل مع الخارج، بقدر ما أفصحت ولما تزل تفصح عن هذا الحضور المركّب، وهي في هذا المنحى تبدو كما لو أنها رفعت من وتيرة العامل المذهبي:الشيعي إلى مستوى القومية في علاقاتها المتنوعة مع كل الذين يدينون بهذا المذهب، ليكون لدينا وجهان بارزان لعملة واحدة فاعلة في التداول، كما الحال مع تركيا التي سعت ولما تزل تسعى إلى اعتماد سياسة الاستقطاب العرقي: من ينتمي إلى أصول تركية في دول الجوار وفي العالم كما سنرى، أكثر من العامل المذهبي، مقابل البعد الآخر للعراق الذي يعيش سلسلة تعارضات أو تناقضات دون نسيان العمق العربي لنسبة سكانية محتسبة فيه،[1]، كما في تجلّي المكانة التي تعتد بها إيران ومنذ ثمانينيات القرن الماضي، مقابل أميركا في لعبة تبادل الاتهامات، والفتاوى التي

==ذلك الشيطان الجاهز للاستخدام: ذلك أن نظرية المؤامرة هي التي تشل الفكر السياسي الإسلامي، لأن القول بأن مصدر كل إخفاق هو الشيطان، يعني أن نعهد إلى الرب، أو إلى الشيطان نفسه "والشيطان اليوم هم الأميركيون" بحل كافة المسائل..ص٢٧).

[1] يُنظر مجدداً في كتاب أوليفيه روا السالف ذكره، ف ١١، ص ١٧٥-١٨٤، إلى جانب كتابي كل من جرهارد كونسلمان، والسبكي، وهما مذكوران سالفاً ..الخ.

تصدرها، كما في فتوى الخميني ضد سلمان رشدي، وهي لا تخفي الخلفية الدينية إنما الاحتكارية لما هو شعبوي جماهيرياً[1].

بمعنى أن الذي يمكن تعقبه في هذا المسار المعقّد "الدين بتاريخه الطويل، والقومية بحداثتها"، هو أن اعتماد التشيع في القرن السادس عشر على أنه المذهب المحروس والمعترَف به سلطوياً، يتطلب دراسة متعددة الأوجه والرؤى، نظراً لأنه يتداخل مع كل ما تريده إيران المتعددة القوميات واقعاً، والمتفرنسة نظاماً، فهو من هذه الجهة الواسعة لم يكن خياراً، ولا بأي شكل، عفوياً، إنما لنجد أنفسنا إزاء قومية فوق القومية، وضمناً قومية تتخذ من العقيدة الدينية خميرة مؤسسة لجملة من التصورات والتوجهات وحتى الأهواء والعالم الخارجي وحتى إلى ما وراء الموت، وما في ذلك من مفارقة حمالة بالدلالات. أي إنه بمجرد التذكير بالدين، ومن خلال جرس إنذاره المركّب حتى تهتز النفوس والرؤوس لعشرات الملايين من البشر ذوي العلاقة من المؤيدين، وممن يقفون في الطرف المقابل، بينما القومية فلها تصريف آخر، نظراً للحساسية المباشرة بما أنها تسمّي بشراً ينتسبون إلى

---

[1] إنها الفتوى المسيسة والتي لا تنفصل البتة عن المنهج الذي اختارته إيران لنفسها بوصفها القادرة على تمثيل عقيدة دينية وتفعيلها، وهي بحضورها العددي الأقل من الحضور السنّي، جرّاء تماسك سياستها، وتمازجها مع عقيدتها تلك، كما لو أن سلمان رشدي يعنيها وليس سواها، ومغزى التوقيت كذلك، إذ (ما إن انتهت الحرب بوقف إطلاق النار في عام ١٩٨٨ حتى سارع الخميني إلى إبقاء النار متقدة عبر الدعوة إلى إعدام سلمان رشدي بوصفه مرتداً عن الاسلام، فيما دأب محترفو الدعاية الإيرانيون على ربط عمل رشدي بمؤامرة أمريكية وإسرائيلية ضد الإسلام ..)، كما ورد في مقال آن إليزابيت مايز "التأثير الأصولي في القانون والسياسة والدستور في إيران"، ضمن كتاب جماعي: العولمة: الطوفان أم الإنقاذ؟ "الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية"، تحرير: جي. لتشنر وجون بولي، ترجمة: فاضل جتكر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،ط١، ٢٠٠٤، ص ٥٩٣.

دائرة اثنية محددة، فتأتي الثقافة تجاوباً مع حجم الدائرة بزمانها ومكانها، وما يترتب على ذلك من ردود أفعال سلبية حتى على مستوى السلطة وجهَة المردود، وإيران لا بد أنها كانت ولما تزل تدرك خطورة هذا التوجه أو السياسة المغلّفة في هودج العقيدة، وتلك المرئية كثيراً في مسلك/ سلك القومية العاري والخطر كثيراً.

وهو إدراك شديد النباهة يقوم على التقاط اللحظة الزمنية الموعودة بالمنتظَر، في إطار الحرب الاستباقية والوقائية التي تخوضها ضد ما يُسمى في الداخل الإيراني بـ"الاستكبار العالمي" وأميركا في الواجهة، وهي تتابع مصائر القوى الدولية وكيفية تفاعلها مع بعضها بعضاً، وبروزها هنا وهناك، والسعي إلى استشرافها ضمان أمن لها ولمصالحها، ولا بد أن الحدث المهيب والمعايَن في المنطقة، ومن خلال إقليم كوردستان، مكاشَف بأكثر من طريقة إيرانياً.

وبالنسبة لمن تابع حساسية إيران تجاه الجاري في محيطها الداخلي والإقليمي لا أظنه يغفل في الحال عن مدى دقتها، لا بل وذلك الخواف الاثني والنفسي بالتالي مما يجري، وتحديداً، حين تُشتَم من الجاري رائحة المس بمكونها الجغرافي والثقافي، أو السياسي المتداخل مع العقيدي، وهي لا تخفي ضراوة الرد والدهاء السياسي، أي محاولة الالتفاف على الخصم ما أمكن، دون تجاهل موقعها الاستراتيجي، وما يراهَن عليه بالنسبة للدور الخفي الذي يمكن أن تقوم به، حتى وهي تظهر في الواجهة اليومية الخصم الألد، بأكثر من معنى لأميركا "الشيطان الأكبر" ومن معها، في دائرة "الاستكبار العالمي" كما نوّه إلى ذلك، وتهديد دول المنطقة: دول الخليج وغيرها، حتى بالنسبة لتركيا، على صعيد التوازنات السياسية، فكيف الحال

مع إقليم دون الإقليم ؟! وهو يبرز بمثل هذا الاستقطاب العالمي الذي لا يخفى على كل معني بما هو مستجد، وما هو خارج عن سياق التاريخ المعهود، لا يخفي عن ذوي البصيرة السياسية في إيران بالذات كيف يتحرك الإقليم وما الذي يحفّزه على الحركة، وبصورة خاصة لحظة الأخذ بالاعتبار دور التنظيمات "الجهادية" أو ذات الرايات العقيدية أو الدينية وفي اتجاهات مختلفة وصلاتها بها، كما بات يعرَف عنها أبعد من حدود تحركات حزب الله، وما يخص التنظيمات الدينية الظاهرة حديثاً في سوريا إثر انفجار الأحداث في ١٥ آذار ٢٠١١، وما يجري في محيط العراق بالذات وتلك السياسة الإملائية بطابعها الديني "ولاية الفقيه" على المعنيين بالأمر في أصولهم الشيعية وغيرهم أيضاً.

إقليم كوردستان في مرمى السلطة الإيرانية على مستوى الاهتمام المركّز، واستناداً إلى تاريخ معهود أو سابق، لم تدخر أنظمة الحكم في إيران المتفرسة تماماً، جهداً في سحق كل القوى أو الحركات أو الجهات الحزبية وغير الحزبية وهي تتحرك في الاتجاه المعاكس لسياساتها، وللكورد تأريخ مدمى، أو إن شئت: ذاكرة جمعية مدماة ومجروحة في العمق، من جهة التنكيل بهم، وممارسة أكثر السياسات عنفاً وإيلاماً فيهم، إلى جانب السياسة القائمة على المكر: الاحتواء والإمحاء للقوة الكامنة، عبر تحالفاتها الرسمية ومصالحها القائمة والمتداخلة مع دول الجوار ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً[١].

---

[١] ينظَر حول ذلك ما ورد في مبحث شاكرو محوي: ضمن كتاب: تاريخ كوردستان "تأليف جماعي"، ترجمة: د. عبدي حاجي، دار سبيريز، أربيل،٢٠٠٦، صص٣٢٢-٣٣٢، وكتاب أصليخان يلدرم: كوردستان والحدود في القرن العشرين، المصدر المذكور، مثلاً، ص ٢٧٤-٢٨٥، وص٤٦٠-٤٦١..الخ.

صحيح أن هناك شعوباً أخرى تعيش داخل الحدود الجغرافية الإيرانية المرسومة رسمياً "أذريون، بلوش، عرب..الخ"، إلا أن للكرد كما هم في الجهات الكوردستانية الأخرى لهم شئونهم الخاصة جداً، جرّاء سلسلة مقاوماتهم المستمرة، والمعنيون بالوضع الأمني الإيراني على بينة من هذه الحقيقة، كما أن الذين خططوا لذلك من خارج حدودها، ويتابعون عن كثب كل شاردة وواردة في الداخل والخارج، لهم حساباتهم الخاصة وتقديرات خاصة لهذه الحسابات التي تكاد تضاهي دقة حسابات البورصة وهي تظهر في تلك المرعات المضاءة ولا تثبت، وتوحي أن نبضها متعلق بمركز معين، أي من خلال ما هو مرئي، سوى أن ثمة ما يصعب أو يستحيل أحياناً تحديده والتشديد قطعياً، لأن ثمة دوائر ضمن دوائر، وإيران إذا كانت تتميز دائرتها في خطوط تحركاتها الإقليمية والدولية "كما في مضمار أنشطتها الدولية ومنذ سنوات"، فإن أول ما يجب قوله هنا هو ألا يتخيلن أحد، إذا كان ذا خلفية سياسية، أن المساعي المكوكية تتمحور حول النشاطات المسماة تلك، رغم أهميتها، إنما ثمة ما يتحرك ويعتمل نفسياً ويتشكل اقتصادياً وبمفهوم البورصة هذه المرة داخلاً وخارجاً في سياسة مركّبة مكلفة في حسابات ذوي السياسة القصيرة المدى، ولكنها مربحة على المدى البعيد جهة الالتفاف على حسابات أخرى يخطّط لها، في المنطقة وخارجها، حسابات تنتمي خانة الهندسة بالذات، وليس الجاري على صعيد عالمي وما يلاحَظ في المنطقة الأضيق "إقليم كوردستان" وزخم العلاقات، ببعيد عن الحراك السياسي والدبلوماسي، والقوى التي تتخندق أو تبني نفسها لحسابها أو على حسابها "اسرائيل لا يستهان بها، راهناً خاصة"، وليست إيران، وهي على الحدود، إنما أكثر في داخل الحدث وما لا يُسمى

فيه من خلال تجاربها التاريخية، بمتجاهلة لكل طارىء، أو ما يكون عَرَضياً "إن اتخذنا زيارة مسئول عادي، ومن حكومة المركز: بغداد، مثالاً على ذلك"، كوننا هنا نأخذ بمفهوم القوة التي تتشكل باستمرار وتبرز في هيئات لا تحصى وتبعاً لمستجدات الزمان والمكان، ولا يعرَف متى تظهر بنفاذ فعلها هنا أو هناك، وتكون خطراً على هذه الجهة أو تلك، ولهذا فإن إيران تدرك حساباتها الخاصة مع الإقليم جيداً[1].

تأتي زيارة وزير الخارجية الإيراني إلى الإقليم، كما نوّه إلى ذلك، في هذا النطاق، إلى جانب وجه الدعم العسكري بالذات للإقليم وهي خطوة لافتة بدلالاتها أو علاماتها الفارقة، سوى أنها في الوقت عينه خطوة تترجم نفاذ فعل السياسي الشديد الأثر أو المردود حتى على المدى القريب، لأن إيران تصافح الإقليم "بمثل هذه السهولة"، أو تهرع إلى نجدته خلاف الدول الأخرى، إنما قامت بما يدخل في إطار جانب الدبلوماسية الإيرانية في احتضان الحدث وتقليمه لصالحها، وكون إيران لم تفصح يوماً عن رغبة معينة بالتضامن مع تلك الشعوب المقهورة التي تعرفها جيداً على أراضيها وخارجها، إلى جانب أن إيران بالذات على علاقة مباشرة مع التنظيمات

---

[1] ثمة وجاهة عملية في أن يؤخذ بحصافة قول كهذا وهو يخص عكس مقولة كلوزيفتز (الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى، إلى :السياسة استمرار للحرب بوسائل أخرى. بمعنى أن السياسة هي المعاقبة ومواصلة التفاوتات في القوة الظاهرة في الحرب أو الناتجة عن الحرب، وأنه داخل "المجتمع المدني" توجد الصراعات السياسية والمواجهات في السلطة وخارج السلطة ومن أجل السلطة...)، كما ورد في كتاب فوكو، ميشيل: يجب الدفاع عن المجتمع "دروس ألقيت في الكوليج دي فرانس، لسنة ١٩٧٦"، ترجمة وتقديم وتعليق: د. الزواوي بغورة، دار الطليعة، بيروت، ط١،٢٠٠٣، ص ٤٣، وهي مقولة مستحدثة لا تخفي فعاليتها في ضوء متغيرات عصر ما بعد العولمة وخطورة اللامرئي فيها.

ذات الطابع الجهادي "وداعش في المتن"، دون تجاهل صلة إيران بأميركا وموقفها المعارض لسياساتها بالجملة داخل العراق وخارجه، في المنطقة عموماً وخارجها[1].

تقوم مفردة "الإيراني" بالدور الأكبر، وهي لا تخفي المفردة المحرّكة والملوّنة لها "الفارسي" كون هذه تمثّل العمود الفقري لما هو إيراني، بقدر ما يبرز العسف أو العنف أو اضطهاد المفهوم نفسه، لأن الإيراني ليس علامة قومية فارقة، إنما جغرافية مترامية الأطراف، وتتضمن أكثر من لسان أو لغة، بينما الفارسي فهو القائم في الموقع السيادي، وعليه فإن ما يحفّز النظام الإيراني هو كيفية توسيع المفهوم "الإيراني" في مسعى للتمويه على ما هو فارسي، ولتكون العقيدة ذاتها الوجه المتقدم تجاوباً مع الاستراتيجية الكبرى للنظام الذي يعرّف بنفسه– حتى – متعدّي حدوده الجغرافية.

أن يكون إقليم كوردستان محل اعتبار وحفاوة بصورة ما، فهو لا يعدو أن يكون تحولاً في بنية المأثور السياسي، وإحداث تغيير في الجرعة التي تقوّي الجسد السياسي هذا: جسد السلطة ونوعية الذاكرة المطلوبة والمدوّن الأنسب، حيث إن ثمة إرهاباً لا يسمّى باسم واحد، وهذا ما تنبهت وتتنبه إليه إيران "الفارسية والمتشيعة"، وأن المصلحة بدورها لا تنفك تتحرك على أكثر من عجلة وبحسب الأرضية والجهة والقوة المؤثرة، ولا بد أن إقليم كوردستان لا يمكن إغفال النظر عن أي نوع من الإرهاب الذي يتربص به

---

[1] عندما يصرّح الرئيس الإيراني حسن روحاني في كلمة له ألقاها في الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك وبتاريخ ٢٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤ بأنه لو لم تغزُ أميركا العراق سنة ٢٠٠٣، لما كنا رأينا ما يجري الآن فيه، فإنه لا يخفي نوعية السياسة المعتمدَة لدى ساسة إيران من رجالات الدين قبل كل شيء، وأبعاد كلمة من هذا القبيل .

ويمكن أن يحيله إلى طُعْم في مواجهة إرهاب آخر، أو لقمة سائغة في وقت محدد، وأي نوع من المصلحة، وهذه مصالح، وكلها لا تخفي قواها المحلية والإقليمية والدولية، ولعل قابليته أو أهليته في ضوء تجارب التاريخ وما ادخره من طاقة تبصر للحالات الطارئة والمخيفة في ذاكرته الكوردستانية العامة والخاصة، ربما يكون أقدر في إبقائه يقظاً، لا يوقَع به بسهولة، وإن تعرَّض لصدمة، فيكون متهيأً، كما الحال مع القادم من جهة الشرق.

صورة كوردستان في المرآة التركية :

لا يحتاج أي متابع لمجريات الأحداث في المنطقة في المضمار الزمكاني، إلى شرح يخص الموقف التركي منها !

هذا يستوقف المهتم بالشأن التركي، وعلاقة الدولة التركية، وقبلها: الدولة العثمانية بعموم الشعوب التي كانت تخضع لها باعتبارها امبراطورية مترامية الأطراف "تمثّل أراضي ثلاث قارات"، وليكون الكورد الشعب الأكثر بروزاً من بين الشعوب التي بقيت دون هوية خاصة بها وحدود سياسية تعنيها، حتى بعد نيل الكثير من الشعوب تلك التي كانت تقع تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية لاستقلالها، لتكون الدولة التركية هي ما تبقّى من الإرث الجغرافي والسياسي العثماني، في طورها الأحدث في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين، وفي الوقت نفسه، ليكون الكورد الذين تم تقاسمهم بين أربع دول ذكِرت سابقاً، وفي نطاق كبرى المفارقات التاريخية السياسية، على وقع تردد أصداء الحرية وقائمة الاستقلالات لشعوب وأمم أو دول على أعقاب الحرب العالمية الأولى، كما لو أن الاحتفاظ بالكورد ليظلوا شعباً ما دون الشعب، وهوية ما دون الهوية عبر حالة البعثرة للجغرافيا "كوردستان"، والقومية "الكوردية"، دول تتجاور، بقدر ما بقيت تتحاور بصور مختلفة في الشأن السياسي وتعنى ببعضها بعضاً فوق أي اعتبار: بقاء الحدود كما أقرَّت واعترَف بها دولياً.

وأن يكون هناك نصف المساحة الجغرافيا لكوردستان ضمن الأراضي التركية، وكذلك نصف الشعب الكوردي، فهذا يفسّر على أكثر من صعيد حالة الحساسية المضاعفة لدى الدولة التركية منذ ظهور "الجمهورية التركية

١٩٢٣"، وعبر الأنظمة المتعاقبة، وباعتماد المزيد من القوانين الضاربة القوة والموجهة على وجه التخصيص إلى الكورد للحيلولة دون أي تمرد على النظام التركي، أو تعريض أمن الدولة التركية "أو الأتاتوركية" الطابع لعدم الاستقرار.

نعم، الدول الأربع، قبل كل شيء، متعاونة فيما بينها لرفض أي تغيير في حدودها، وحصراً بالنسبة للجغرافيا الكوردية، سوى أن ما يمكن قوله هو أنه إذا كان النظام التركي ينطلق صباحاً لردع الكورد وكبح جماحهم القومي، يأتي النظام الإيراني المتفرنس لهذا الغرض ظهراً، ويبرز النظامان: العراقي أولاً، ومن ثم السوري للقيام بهذا الغرض، مع فارق نوعية القوة المستخدمة، ومساحة العنف التي يجتاحها، والضحايا التي تكون في المحصلة، ويعني ذلك أن المساحة الجغرافية إلى جانب الموقع والديموغرافيا تترك بصمتها في بنية السياسة الدولتية المحلية والإقليمية، إلى جانب طبيعة الاستعدادات التي تقوم بها الدولة والكلَف المسخَّرة لذلك، وكذلك الخسائر البشرية التي تتقدم بها بمثابة أكباش فداء لأي عملية جزئية أو واسعة النطاق حتى عبر حدودية بالاتفاق المباشر أو المباشر ضد الكورد طبعاً.

كل ذلك يستشرف بنا السياسة التركية ذات الطابع العسكري والأمني والاستخباراتي التي تقوم بها حتى اللحظة في الجوار الحدودي، وفي المحافل الدولية، وفي إطار الاتفاقيات الدولية وأحلافها "تركيا باعتبارها عضواً في حلف الناتو منذ عام ١٩٥١"، وبصورة لافتة، أكثر من إيران بالذات، بما أنها تجاور كلاً من إيران والعراق وسوريا، وتتحسب لأي طارىء يتهدد مصالحها القومية الاعتبار، وتجتاح الحدود البرية إلى جانب انتهاك حرمة

الأجواء لكل من العراق، قبل كل شيء، وسوريا، أكثر من إيران، ودون أن يكون هناك إعلام ما بذلك، وتنال رضى الدولتيين الأخريين، ولا تدخر إيران جهداً في هذا المقام عند اللزوم، ليكون العراق وسوريا الأضعف في التعامل والتحرك خارج الحدود المرسومة لها، دون أن يحصل أي تجاوز/ خرق حدودي لأراضي تلك الدولتين إلا في حالات نادرة وضمن نطاق ضيق، من منظور القوة الفعلية وبنيتها، ولا بد أن تركيا في مساعيها الحثيثة لجعل زمام المبادرة بيدها، والقيام بدور المبارز المباشر، تعي الدور الذي تقوم به، مثلما أنه دور معطى لها في النطاق الدولي كثيراً، إلى جانب المبادرات الذاتية الخاصة بها وما هي مدركة لأبعاده في الجوار الإقليمي، وما هو موزع بينها وبين قوى قائمة على الأرض محلياً ودولياً، في التعامل مع الكورد تحديداً، وبالنسبة لإقليم كوردستان بالذات طالما أنه يمثّل جزءاً من كوردستان، وأن أي إجراء يخصه ينعكس على بقية الكورد وهم في عهدة دول الجوار.

ذلك لا يحتاج إلى مزيد من المتابعة للإحاطة بتاريخ تركيا كنظام وكعلاقة مع الكورد وضمناً مع الإقليم، وبدءاً منذ الغزو الداعشي المسمى في تاريخه، استناداً إلى الوضع غير الآمن والمقلق لها كما تجلى في تحفظها على الجاري[1].

---

[1] يستحيل هنا حصر الدراسات أو المؤلفات ذات الصلة بالموضوع، أي في علاقة تركيا بالكورد، وحتى بإقليم كوردستان بالذات خصوصاً، وعبره دولياً، ومن باب الإضاءة، يمكن الإحالة إلى العناوين التالية:

تاريخ كوردستان، للازاريف وآخرين، المصدر المذكور، وفي أمكنة مختلفة، وأكراد تركيا، لابراهيم الداقوقي، دار آراس، أربيل، ط٢، ٢٠٠٨، ف٢، ص٧٥، وما بعد، والحركة الكوردية التركية في المنفى، لجوردي ==

إن إقليم كوردستان الذي سلّطت عليه الأضواء عالمياً، ومن قبل الدول الكبرى في تاريخه المذكور، أفصح عن تحول لافت في السياسة العالمية، لكنه

== غورغاس، ترجمة:جورج البطل، دار آراس، أربيل، ط١، ٢٠١٣، ص١٧ وما بعد، وسياسة تركيا تجاه كوردستان العراق وأمريكا ١٩٩١– ٢٠٠٣، لوهرام بتروسيان، ترجمه عن الفارسية نزار أيوب كَولي، مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق، جامعة دهوك، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٣، وما بعد، ولعل الكتاب المفيد جداً في هذا المضمار، هو: كوردستان والحدود في القرن العشرين، المصدر المذكور، وتحديداً في النقاط المتعلقة بالحدود، ومآسي الحدود، وهو في أكثر من ٦٦٠ ص من القطع الكبير، وبالصورة الموضحة والموثّقة، ويتداخل مع الأحداث الجارية راهناً...الخ.

ضمناً يمكن الرجوع إلى أحمد داود أوغلو: العمق الاستراتيجي " موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة: محمد جابر ثلجي وطارق عبدالجليل– مراجعة: بشير نافع وبرهان كوروغلو، الدار العربية للعلوم، مركز الجزيرة للدراسات، بيروت– الدوحة، ط١، ٢٠١٠، الطبعة التركية، ٢٠٠١، ص ١٧٢– ٦٤٠،و جراهام فولر "أميركي": الجمهورية التركية الجديدة "تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٩، حيث يكاد ينسخ كتاب أوغلو جهة التطابق مع وجهة نظره في تغطية السياسة التركية الرسمية من من منظورها السلطوي، ينظَر في ص٢١٢– ٢١٧– ٢٤٢..الخ، وهدى درويش، في كتابها: الاسلاميون وتركيا العلمانية، نموذج الإمام سليمان حلمي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، كما في: العمل على إحياء الاسلام وعلى بعث الدين بعد أن أزاحت الحركة الكمالية الإسلام من الدستور ومن التعامل الرسمي، ص ١١، و: باسم الاسلام لا القوميات ص ١٦٠، وفيليب و روبنس، في كتابه هو الآخر: تركيا والشرق الأوسط، ترجمة: ميخائيل نجم خوري، قرطبة، قبرص ط١، ١٩٩٣، كما في: سوريا من خلال كتاب جغرافية سوريا: بحسب الأتراك، أن مناطق أضنة، عينتاب، اورفه، ديار بكر، ماردين، أراض تركية..ص ٦٤، وفصل: أصول السياسة الخارجية وأزمة الخليج. صص٨٣–٩٢– واللافت هو ما ورد في الخلاصة، ما يخص آفاق المستقبل، الحديث عن تركيا المستقبل دون أي إشارة إلى الكورد فيها..صص ١٣٧–١٤٠، وضمناً، تبرز أهمية كتاب رفائيل باتاي: العقل العربي، ترجمة: وليد خالد أحمد حسن، مكتبة مصر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩، ف١٦،صص٥٠١–٥٠٥، أي كيفية تعلق العرب كثيراً بتركيا أكثر من الغرب نظراً للإسلام الذي تدين به..الخ.

التحول الذي لا يجب أن يعمينا عن تحول مواز يخص الحراك المصلحي، إن جاز التعبير هنا، وما يمكن أن يثيره من تساؤلات، مقابل القوى المؤثرة في الساحة تلك التي تلعب دوراً كبيراً في عملية الحراك تلك، أي ما يجعل من قوة صغيرة ومحكومة بحدود دولة، قوة جغرافية تابعة، وسلطة لا يُعتد بها، تكاد تكون خدمية، أعني بها إدارية، أكثر من كونها مستقلة بذاتها وقادرة على التصرف في إقامة علاقات دبلوماسية وبناء ذاتها، كأي دولة، طالما أنها غير مدرجة في عداد القوى المعترَف بها دولياً، كما ذكرنا، ولكن القاعدة تذكّر بمفهوم الاستثناء من جهة، وفي الآن عينه تضعنا في مواجهة الحدث الأكبر والذي ينتظر التسمية من جهة أخرى، وهو بروز ما ليس في حسبان قوى محيطية أو إقليمية، كما الحال مع تجلي موقع الإقليم وليس قوته، والنظر إليه أكثر مما كان عليه حتى لحظته، إلى درجة مباغتة المركز، ولا بد أن الدول الإقليمية تنبهت إلى ذلك، وتركيا في الواجهة للأسباب سالفة الذكر، أي حين تكون السلطة التي عزّزت بها ذات محوّل خارجي، عالمي، وهو المحوّل الذي يتعزّز في لحظة فالتة من الزمن أحياناً، ولكنها اللحظة التي تدخل التاريخ، بقدر ما تغيّر في بنية التاريخ تجاوباً مع الحراك المصلحي، وربما يأتي التغيير في لحظة غير محسوبة في بنية الجغرافيا السياسية طبعاً، إذا شاءت الدول ذات النفوذ عالمياً، وأدركت أن فعل التغيير مع الزمن يستجيب لمصلحتها، أو مصالحها، لنجد أنفسنا بين مجموعة قوى: صغيرة وكبيرة، والنسَب القائمة هي التي تلعب أدواراً في تلوين المواقع الخاصة بالدول.

وسواء كانت تركيا في صورة الحدث وما هو مستتر فيه أو لم تكن، فإن إقليم كوردستان الذي له علاقات دبلوماسية على مستواه، إلى جانب

التجارية "جهة الاعتماد الكبير على تركيا في عملية الاستيراد أكثر من إيران"، لم يثر في تركيا هذه المرة ما كان يثيره من قبل على المستوى العسكري والأمني قبل السياسي، إن راعينا نفاذ فعل العسكر فيها،ومنذ سنوات جهة العلاقات المستقرة نسْبياً، رغم تواجد مجموعة لافتة في العدد والعدة من عناصر حزب العمال الكوردستاني ضمن أراضي الإقليم "جبل قنديل وفي محيطه"، إلى جانب مجموعة كبيرة من الكورد الذين هجّروا أو هجروا من الجهة التركية إلى الإقليم في أوج الحرب الساخنة بين الجيش التركي والـ pkk، في مطلع عام ١٩٩٣، وحيث إن العمليات العسكرية التي شهدها الإقليم هذا مراراً وتكراراً جرّاء ذلك، وربما كان آخرها سنة ٢٠٠٨، لتكون علاقات مختلفة[١]، لأن هناك حسابات أخرى على وقع متحولات السياسة ومتلونات المصلحة المحلية والإقليمية، وكون تركيا شهدت فورة اقتصادية إثر توقف العمليات التي كانت تكلفها كثيراً، دون أن يتوقف قلقها، لأن زاوية النظر لا ترينا جغرافيا إقليمية محصورة في نطاق دولة "هي العراق" إنما أراضي دولة تشهد انزلاقات وتوترات وفلتان أمن، ورهانات قوى ليست مستقلة بذاتها، ورغم الاستقرار النسبي للإقليم في المجال الأمني، إلا أن قوة المؤثرات لا تخفى داخله، وتحديداً في مضمار إدارة السلطة في المركز ونسبة التمثيل الكوردي فيها، وحصة الإقليم من المداخيل، ولوجود نسبة تركمان تراهن عليهم تركيا، ليس باعتبارهم تابعين لها، بقدر ما يشكلون ورقة ضغط ما، فإن المخاوف تبقى، والحدود التركية غير محمّية، حيث القوة الكامنة وغير المستقرة لـpkk، تكون تحت المراقبة

---

[١] يُنظر حول ذلك كتاب أصليخان يلدرم السالف ذكره، صص٤١٩-٤٢٢، وبالنسبة للعمليات، صص٤٤٦-٤٦٢..الخ.

ويُخشى جانبها إلى حد كبير إذ له حضور كاريزمي في نفوس نسبة كبيرة، وبصور مختلفة، من كورد تركيا "كوردستان الشمالية"، وتحديداً في ضوء الجاري[1]، ولكن الجاري اليوم غير الجاري بالأمس بالمعيار السياسي الدولي الأميركي بالذات، وكون تركيا التي تعيش مرض الحساسية المزمن، طالما أنها تمارس هذا النوع من العلاقة شديدة التمركز والممثّلة لمصلحة اثنية مسيطِرة على البلاد لغة وثقافة وسيطرة أمن وسياسة، وهي نتيجة الحساسية تلك، وكونها هي الأخرى مرضاً يعمّق تلك الحساسية، وأميركا في معطياتها السياسية لها بوصلتها الخاصة في تحديد جهة التحرك ومن يقع في نطاق زاوية نظرها التاريخية، تستهدي بمصلحتها بأكثر من معنى، ويكون للإرهاب تصريف ظاهري وباطني تبعاً للحراك المصلحي، وتركيا تبقى في دائرة اعتبارها المصلحي[2].

---

[1] تقول وزيرة الخارجية الأميركية الأسبق: مادلين أولبريت في كتابها: الجبروت والجبار، السالف ذكره، حول ذلك (لقد زرت تركيا عدة مرات في السنوات الأخيرة. وأعرف أن الغزو الأميركي للعراق– جار تركيا– دون أخذ وجهة النظر التركية في الحسبان لن يُنسى قريباً. وتتأثر وجهة النظر هذه بشدة بعلاقة الأتراك المعقدة والشائنة بالأكراد.فتركيا تشعر بالقلق من أن الاستقلال الذاتي لكوردستان داخل العراق سيشجع الطموحات الوطنية لدى أقليتها، وهي منزعجة من الإرهابيين الأكراد احتفظوا بموطىء قدم داخل شمال العراق، كما أنها قلقة من أن أكراد العراق سيتغلبون على الأقلية التركمانية العراقية في سعيهم للسيطرة على مدينة كركوك الغنية بالنفط...ص ٢١٠) .

[2] في المصدر نفسه، والمعطيات ذاتها، نقرأ بعد المقبوس مباشرة (ليس من الضروري أن تتوافق السياسة الأميركية المستقبلية مع السياسة التركية في هذه القضايا، لكن من الحكمة تخفيف الوطء والتعاون حيث أمكن، والإصرار في الوقت نفسه على احترام حقوق الأكراد .).

إذ لا بد أن نلاحظ ثبات الموقف الأميركي تجاه الـ pkk كمنظمة إرهابية، رغم اختلاف الأحوال، بينما نجد حزباً آخر، لا يخفي توجهه العقيدي من ناحية التهديد للمصالح الأميركية بشكل ظاهري على الأقل، وهو "حزب الله" وخصوصاً في إطار انفجار الأحداث في سوريا، وامتداداته في المنطقة، لم تشمله هذه الصفة، ولا بد أن مفهوم المصلحة ينظَر إليه بعيداً عن المرئي المباشر، وفي مسارات لا تعايَن بالعين المجردة، وأن تركيا التي لم تكف عن ممارسة إرهاب دولة ضد شعب يطالب بالحد الأدنى من حقوقه السياسية "الكورد هنا"، لا بد أن تظل خارج دائرة التوصيف هذه، ليستمر مفعول التوصيف الآخر، وحيث إن الأوضاع قد تغيرت بنسبة ملحوظة مقارنة بما سبق في تركيا جهة التعامل مع الداخل "والكرد في المتن"، ولا بد أن الموقف السليي التركي من التحالف الذي تزعمته الولايات المتحدة لضرب داعش وإرهابه، بعدم المشاركة فيه بداية، وحتى في مسلكها في النظر إلى الجاري في مواجهة الإرهاب الداعشي، له تقدير خفي هو الآخر في المنظار الأميركي، حيث المصلحة قائمة، والإرهاب محوَّر، أي لا بد أن تكون هناك جائزة ترضية أميركية لها، رغم هذه السلبية في موقفها، ورغم مأساة كورد "كوباني" المنطقة الكوردية السورية وهي لصق الحدود التركية، عبر نزيف سكانها "أكثر من مائة وخمسين ألفاً" إلى الداخل التركي "سروجي: بيرسوس بالتركية"، وموقع داعش في الحسابات السياسية والأمنية التركية منذ تشكله قبل سنتين، وصلة كل ذلك بمتغيرات الأحوال والأوضاع في إقليم كوردستان.

وبين حالة التأرجح بين التخوف من الإرهاب الذي تسمّيه تركيا وتعرض المنطقة وتركيا ضمناً لعدم الاستقرار، الإرهاب الذي يشار إليه

خارج جملة ممارساتها السياسية، والمصلحة التي تشدد عليها بدءاً مما يسمى بـ"المصلحة القومية العليا" وانتهاء بأمن أي مواطن تركي بمعاييرها الخاصة، وخاصية المصلحة الموجهة هنا، تكبر المساحة الجغرافيا، بقدر ما تضيق، مثلما أن رؤية الواقع ومستجداته تتراوح بين أقصى الزاوية الحادة، لحظة أخذ مصالحها الممهورة بعلامتها شديدة التمركز بعين الاعتبار، وأقصى الزاوية الكاملة، لحظة مكاشفة بوصفها إرهاباً يشمل كل من يهدد مصالحها للخطر، لا تستثنى رقعة أو بقعة تركية من هذا التحديد والمراقبة، بقدر ما يكون ذلك فرصة ثمية لتحري المستجدات ومراميها.

ذلك ما ينحصر من جهة أخرى بين رهاب الآخر: الكوردي، إن استرجعنا علاقة النظام التركي به، والتنكيل الذي مورس فيه على مدى عقود زمنية في الداخل التركي وخارجه، كما لو أن التموضع في مشهد تأريخي وتذكري، يري تالياً ردة الفعل المجذَّرة والانتقام الكوردي جرّاء الحاصل، فيكون هناك المزيد من التهديد والمزيد من الالتفاف والمراوغة، ومخاوف الكورد من استمرارية النظام في التخطيط للمزيد من المؤامرات وتفخيخ جغرافيتهم والحيلولة دون تحقيق حلمهم، ولو في الحد الأدنى، كما لو أن هذا "الحد" بمثابة الإمساك بالخيط من رأسه، وبصورة خاصة إن تمعنا ما جرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى ومدى مساندة الكورد للأتراك، ومع أتاتورك تحديداً، وكيف ديست آمالهم بوتائر عنف مضاعفة، على الأقل بدءاً من مطلع العقد الثالث، وحتى نهاية العقد الرابع من عشرينيات

القرن الماضي وكتم أنفاس الكورد عبر حروب فولكلورية شملت وجودهم ولغتهم وذاكرتهم، وتشويه تاريخهم والعبث بمصيرهم طويلاً[1].

إن لجوء النظام التركي إلى اعتماد لعبة الأقنعة، والتداخل بين ما هو قومي وديني، ومن ثم بين الخصوصية المحلية ذات الصلة بالتوضع الجغرافي، وما هو عمومي لا يقيها من متغيرات الإقليم بالمعنى العام، وبصورة خاصة جهة التعامل مع الكورد، كما في التزام حياد ما يثير الشبهات كثيراً جرّاء الوقع المستجد في إقليم كوردستان العراق، وردود الأفعال في الطرف المقابل "روجآفا كوردستان: الجهة الجغرافية المسماة التي تستفزها وترعبها كذلك باسمها" إذ يعني ذلك أن ثمة في الحال امتداداً جغرافياً قيد الانتظار والضم إلى الجسد الجغرافي الكامل، كما لو أن أسلوب المراوغة سعي إلى نوع من استدراج الآخر إلى اللعبة المعتادة، وتقديم تنازلات أو ضمانات بعدم المس بما كان، وأن أميركا ذاتها ليست بريئة من اللعبة الجارية هذه التي تظهِر داعش الذي يتحرك على مرأى من أعين الساسة الترك وعسكرييه في الجوار الحدودي، لا بد ولا يكفون عن التدفق من جهتهم،

---

(1) حول ذلك يمكن النظر في كتاب قادر سليم شو: موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية ١٩١٩-١٩٢٢، دار سبيريز، أربيل،٢٠٠٨، بدءاً من الفصل الثاني، ص ٤٣، وما بعد، وحميد بوزرسلان في كتابه المهم جداً: تاريخ تركيا المعاصر، ترجمة: حسين عمر، دار كلمة- المركز الثقافي العربي، أبو ظبي- بيروت، ط١، ٢٠٠٩، كما في: بدءاً من ١٩٣١ بدىء بأسطرة التاريخ التركي ومد أصوله إلى ميزوبوتاميا وربط كل اللغات باللغة التركية: الشمس..ص ٥٦ – ولاحقاً: بدءاً من ١٩٧٥، وحتى ١٩٨٠، عاشت تركيا في الواقع جحيماً حقيقياً. ص ٩١- ومن ثم: إثر انقلاب ١٩٨٠ العسكري، كان هناك أزمة اقتصادية غير مسبوقة في تركيا.ص ٩٤- وأخيراً وليس آخراً: في الواقع لا يسعنا إلا أن نسلّم بأن فكرة الأمة التركية المدرَكة كجسم عضوي، والتي سيرتبط بقاؤها بالتطهير المستمر " لخلاياها الخائنة": مجموعة لغوية وطائفية وسياسية أخرى...ص ١٥٣..

كما لو أن المعركة هي معركة داعش بالوكالة ضد الكورد، وأن أميركا التي لا تكف عن ممارسة شد الحبل وإرخائه تبعاً للجهة والطرف الداخل في اللعبة، بما أنها تستمرىء اللعبة هي ومن معها تجاوباً مع مخططات موضوعة، مهما أفصح الكورد عن تصورهم الجديد للقادم من الأيام، أو تحرك الإقليم على المكشوف بحسن النوايا، إذ المهم هو ما يفكّر فيه الطرف الآخر، لأن هذا الموقع الجلي كوردياً لا يريح الأتراك، وفي هذا الإقرار الذاتي بالمخاوف، والبقاء في النفق الذي يخفي ملامح الوجه، ويأتي التحرك بمأثور أهوائي أو استهوائي وبشكل أحادي الجانب غالباً، إنما ربما يحفّزهم على السير على أكثر من حبل داخلاً وخارجاً، وما يترجمه هذا التحرك المرئي من وضعية تخبط، واعتراف بالمأزق المفهومي للهوية والتاريخ والجغرافيا: الثالوث الذي اعتمِد على مدى عقود زمنية طويلة، وبالمقابل، تصريح بليغ ببلوغ المنعطف الحاد والخطر للراهن والمهدّد لتركيا، ولعل ذلك حصيلة لما كان ولما هو قائم، عبر وسائل تفكير لا تفارق الجوهر في السياسة التركية بوصفها تعني تركيا كما يراد لها أن تكون أتاتوركية بامتياز، ولأنها عاشت وكما تعيش طويلاً نزعة الشك تجاه الآخرين، وبتعبير متابع لذلك (تكاد تنفرد تركيا، من بين دول العالم، بعلاقات جوار غير حميمة، وغالباً عدائية مع معظم جيرانها.)[1]، وكان عليه أن يضع في المتن سريعاً: الكورد الذين يتوزعون داخلاً وخارجاً.

---

[1] نورالدين، محمد: تركيا في الزمن المتحول"قلق الهوية وصراع الخيارات"، دار الريس، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٢٤٢ .

إقليم كوردستان وانفجار الأوضاع في سوريا :

ما يعيشه إقليم كوردستان من تحديات، يكون لانفجار الأوضاع في سوريا التأثير الأول وحتى إشعار آخر غير معلوم.

بالمقابل، فإن من العوامل النافذة المفعول في توجهات السياسة السورية عموماً، وفي تشكيل مشاعر الكورد في سوريا هو هذا التحول الهائل في العراق إثر غزو أميركا ومعها دول التحالف له، وبصورة خاصة بعد بروز إقليم كوردستان متمتعاً بتلك الاستقلالية المحروسة منذ عام ١٩٩١، وتعمقت الاستقلالية هذه بعد ٢٠٠٣، وليجد الكورد في سوريا متنفساً لهم، أعني من ناحية رفد مشاعرهم أو توجهاتهم القومية، وليكون الإقليم بأكثر من معنى "قِبلتهم" أكثر من جهة كوردستانية أخرى استناداً إلى صفة الاستقلالية رغم أن هذه بقيت محصورة داخل حدود دولة لم تشهد استقراراً سياسياً البتة من ناحية، وكون الاستقلالية من ناحية أخرى لفت أنظار دول الجوار والإقليم الجغرافي الأبعد عربياً وأبعد منه دولياً من خلال تمثيلات دبلوماسية وسعيه إلى تمتين حدوده في الحيلولة دون انتقال أخطار التمزقات والتصادمات العراقية إلى داخله، وتمكين هذه الحدود وتقوية القاعدة الاقتصادية في المجال الخدمي والعقاري والنفطي والتجاري..الخ، وخصوصاً في السنوات الأخيرة، والمضي قدماً في هذا المضمار رغم حدوث واستمرار مشاكل جانبية وعالقة بينه وبين حكومة المركز، سوى أن ذلك لم يحل دون سطوع نجمه كأمثولة قومية وقاعدة انطلاقة في الاستقطاب السياسي والثقافي كوردستانياً، كما لوحظ من خلال فورة الأنشطة الثقافية، في المطبوعات والصحف والميديا، والأهم هو تنامي سيرورة الزيارات المختلفة لوفود حزبية

بالدرجة الأولى وغير حزبية من الداخل السوري كوردياً إليه، ولا أدل على ذلك أن الأحداث التي شهدتها سوريا في نهاية الربع الأول من عام ٢٠١١ كانت وراء جملة من الرهانات في سوريا بين الأحزاب الكوردية وحتى في التعبير جهاراً عن المطامح والرغبات التي ما كانت تعرَف بالوتيرة تلك أو حتى بنسبة قليلة منها، وأعني بها على صعيد التباري في التسميات القومية: روجآفا كوردستان، أو غربي كوردستان، أو كوردستان الصغرى، وما شهدته أوجه التباري التحزبية والقوموية بالذات من تنافسات وحتى حساسيات وحتى تصادمات، كان من نتيجتها الانقسام الملحوظ حتى بالنسبة للإنسان العادي بين جملة القوى السياسية وبتوجهها التنظيمي الحزبي والمرتبطة بتنظيم الـ pkk، حيث مقره في شمال كوردستان "في تركيا"، وقائمة من الأحزاب الكبيرة والصغيرة وتلك التي فقستها الأحداث نفسها، جرّاء صراعات تحزبية، وترجمة فعلية للحساسيات التحزبية وتجاوباً مع مكاسب شخصية كان الإقليم ساحة واسعة لها في زيارات ودعوات دورية لم تتوقف، إلى درجة شهود تفاقم الأوضاع سلبية وفي أكثر من اتجاه.

سوى أن المهم تاريخياً، هو عدم تجاهل الموقف السوري الرسمي مما يجري في تركيا والعراق، ولو أننا استعرضنا ولو من خلال عناوين سريعة تلك اللائحة من المشاكل الحدودية وذات المضامين السياسية والقومية والحزبية بين سوريا والدولتين المذكورتين، وللعراق سهم نافذ في ذلك لما تمكنا من حصرها تناسباً مع الموضوع بالذات، وهذا يحتّم على الباحث في التاريخ الجغرافي والسياسي والثقافي تلمس الحكمة الجارحة وذات الصدى السليي لـ"سايكس – بيكس"، أي إن رسم حدود سوريا بالطريقة التي عرِفت بها حديثاً، واعترِف بها دولياً، كان مدفوعاً بجملة من الاعترافات البعيدة المدى:

السياسات الاستراتيجية، وأن الحالة الكوردية: جغرافياً وديموغرافياً مؤثرة هنا، لتأكيد صيرورة المصالح التي تهتم بها الدول الكبرى والدول التي تدور في فلكها أو تتبع لها بصورة ما أو بأخرى، وما يعزّز بقاءها، وبالمقابل، ما يبقي نقاط توتر بمفهومها البركاني النشِط دورياً، في حسبان هذه الدول والصراعات التي تستولدها أو تحف بها، أو ما بات يعرَف بطبعته الحديثة وبشكل جلي بـ"الإرهاب" والذي يسمي طرفاً أو أكثر، أو يذكّي جهة أو أكثر عند اللزوم، تناسباً مع خاصية ما بعد العولمة ومتغيرات السياسات العالمية، ولا بد أن لإقليم كوردستان موقعه في هذه المتحولات.

وإن أردنا الدقة، أمكن القول أن السعي إلى تشتيت الكورد جغرافياً يترافق مع تبديد قواهم سياسياً وحزبياً، بقدر ما يتجاوب مع لعبة الدول الكبرى والصغرى، كما لو أن الكورد بجغرافيتهم المجزأة وديموغرافيتهم أوجِدوا لإبقاء الصدام الإقليمي وتسخينه دولياً قائماً، وفي الوقت نفسه لتخفيف حدة الصدام "على طريقة امتصاص الصدمة"، حيث إن تواجدهم الحدودي من منظور الدول المتقاسمة لكوردستان وليس لأنهم حدوديون طبعاً، بما أن أنظمة الدول هذه لم تدخر جهداً في جعْل تهجيرهم وترحيلهم ونفيهم إلى الداخل أو إلى الخارج، يسهم من ناحية في تعريضهم لسياسات استغلال وعنف، ومن ناحية أخرى لإكساب هذه الأنظمة خبرات ذاتية ومشتركة، ومن ناحية ثالثة، يؤدي ذلك إلى فائض عنفي لا تستطيع هذه الأنظمة بالذات على تطويعه أو كتمه والتنفيس عنه، فيكون هناك مجال لتدخلات إقليمية ودولية، وفي الوقت الذي نجد كيف أن العقلية التخومية السلطوية والأمنية لكل نظام تسهم في انفجار الأوضاع جرّاء سياسات تصفوية أو تفكيكية للتداخل تحت وطأة شعارات زعاماتية وغيرها، تكون

الجماهير أو شعوب المنطقة وقوداً لها، والكورد لم يتوقفوا يوماً عن الدخول الاضطراري في لعبة سلطوية أو الدفع بهم هنا وهناك لأن يكونوا أداة ليكونوا ضحايا بعد أن كانوا في موقع المدافعين عن أمن البلد ووحدته كذلك، وبناء على ذلك كانت أنظارهم تترقب أي تحول للتمرد على الوقع القائم[1].

إن ذلك يمثّل علامة فارقة تسِم الكورد عموماً من جهة استحالة أن يتنفسوا ما هو قومي، دون أن يلفتوا أنظار الآخرين: داخلاً وخارجاً، بما أن

---

[1] ربما كان كتاب الدكتور عقل سعيد محفوض: سوريا وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، مفيداً في هذا المنحى، فهو عندما يورد قولاً للرئيس السوري بشار الأسد سنة ٢٠٠٤، بأن تقسيم العراق خط أحمر ليس لتركيا وسوريا فحسب، بل لكل دول المنطقة.ص١٥٥،وأن **المستقبل السياسي للعراق "يشكل "أحد محددات السياسة الإقليمية في الشرق الأوسط والمنطقة العربية وواحداً من موضوعاتها الدائمة، وربما كان هو "قانون التحريك" الرئيس للسياسة الإقليمية في السنوات الأخيرة، وسبباً لاصطفافات بين حدين أو مستويين، بين "ضبط" تطلعاته الإقليمية، وبين إعادة تشكيله من ثم إدماجه في المنطقة. ص ٢٨٦**...الخ، يكون لما تقدم طابع الشاهد المؤُثر بشهادته التأريخية بمعان شتى، ومدى بقاء الحدود شديدة السخونة وملغمة باستمرار، وقابلة لأن تحوَّر جهة التغطية الإعلامية لكل ما يستجد عليها، من باب استباقي، كما سعت تركيا مثلاً إلى إظهار جنودها مقابل كوباني بتاريخ ٥تشرين الأول ٢٠١٤، وخلفهم بلدة "سروجي: بيرسوس"، في حالة تأهب في مواجهة داعش، وأشيرَ إلى ذلك في الصحافة الرسمية "صحيفة آقشام، مثلاً"، والمشهد كان لعبة إعلامية مفخخة بدورها، إذ تبعاً لمراسل قناة "روداو" في تركيا، وصباح ٦ تشرين الثاني، أعلَم عن تركيا صورت المشهد عن طريق صحفيين معتمدين لديها، في تسويقها الإعلامي للعالم وحتى للاستهلاك المحلي، إنباء عن أنها في مواجهة الإرهاب الداعشي هنا، ولتعيد إلى الأذهان ما كانت تقوم به أثناء الهجرة المليونية من كورد اللاإقليم سنة ١٩٩١، تبعاً لتنويه المراسل التلفزيوني نفسه، وما أشبه اليوم بالأمس، إنما يمكن القول على طريقة أحدهم، إذا كان الذي جرى مأساة فإن ما يجري راهناً مهزلة ! ؟

التجزئة التي طالت بلادهم تترافق مباشرة مع السعي المستمر إلى التهديد المستمر لأي محاولة تصب في هذا الاتجاه: الرهان الكوردي على القومية، وما يترتب على ذلك مما يمكن تسميته بإشعال النار في الزيت وضخ الزيت شديد الاشتعال على النار، باعتماد جملة أساليب لمحاصرة الكورد وتأليب المحطين عليهم، وهم محاصَرون بهم من المحليين: من أبناء القوميات الأخرى تلك السائدة في هذه الجهة أو تلك، أو أبناء الاثنيات الأخرى حيث الإيحاء أو الإشارة المستمرة إلى أن ذلك يتهدد وجودهم، من خلال مفهوم المؤامرة وربطها مباشرة أيضاً بعمالة خارجية: اسرائيلية في المتن، وهو ما بات معروفاً في أكثر من سياق "وفي إقليم كوردستان العراق بالذات"، إلى جانب السعي المرافق والذي يستند إلى الحرب المستمرة على الذاكرة الجمعية وتشويه القائم، وحتى إطلاق أوصاف واستثمارها: إرهابية المضمون لاستثارة الآخرين في الجهات الأربع، وبصورة أخص لحظة التشديد على أن أمن البلاد في خطر، وأن الكورد لهم ضلع في ذلك، وهذا يعني أن المسألة الكوردية ليست مركزية ومحسوبة في العراق وحده وإنما في الجهات الأربع، وأن إقليم كوردستان فيما حقّقه وتحقق له يمثّل في عملية الاستقطاب لمشاعر مجمل الكورد ولو بتفاوت ما يكونه فعل الدوامة النهرية ذات القوة الجاذبة إلى الأسفل، تلك القوة التي تفتن بقدر ما تهدد بالموت بالمقابل حيث النهر جارٍ.

وحسب المرء والدارس للموضوع أو المهتم بهذه العلاقة أن يلاحظ أهمية الإقليم للكورد خارجاً، وفي سوريا كمفهوم دولتي وبالنسبة لكوردها أو ما بات يعرَف بروجآفا والأخطار التي تتمثل في هذه التسمية وأبعادها كما هو ملاحظ راهناً، وفي المتن تلك الرهانات السياسية والتحزبية التي

تصل بين الأطراف الحزبية وحتى الفئوية ومعلَمها الاجتماعي وحتى العشائري الذي لا يُخفى وهي موزعة بين تزكية هذا الاتجاه الحزبي في الإقليم أو سواه: الـ "بدك- أوك"، وما تعنيه العلاقة بالبارزاني وصفة البارزانيزم كمفهوم استقطابي أو حتى كاريزمي بالنسبة لكورد روجآفا ودور ذلك في تعميق الخلافات أكثر من خلق التوازنات والتحرك صوب وعي قومي كوردستاني وليس كوردياً واحداً، بما أن الأساس المشكِّل أو المنصوب لذلك ليس معمولاً بتلك الجهوزية التي تفعّل عامل الوحدة الجغرافية وبناء التاريخ المشترك، لأن ثمة مصالح جانبية، وبالمقابل تبادل اتهامات ومحسوبيات طرفية تؤدي سريعاً إلى تهديد الحد الأدنى من الوعي القومي المشترك، وللإقليم دوره في هذه العملية جهة الرهان على ما هو قومي وأمثولي" اعتباره ساعياً إلى أن يكون استقطابياً "، إلى جانب أن القوى الموجودة على الأرض، وهي تخص الدول المتقاسمة لكوردستان وذات التأريخ الملحوظ في التكاتف والتحالف الخاصين، وتلك الإقليمية بجوارها، والكبرى كذلك، لا تقف على الحياد، لا بل تكون متابعة لأي إجراء في هذا السياق، وهذا ما يمكن تبينه بصورة جلية[1].

---

[1] من السهل، ومن خلال وفرة المواد التي تسهم في إضاءة هذه النقطة، الرجوع إلى مواقع انترنتية كثيرة لها صلة مباشرة بالأحزاب الكوردية في سوريا والعوامل المؤثرة في تكوينها "بدءاً من ١٩٥٧" ولاحقاً، ومفهوم "المركز" في عملية التكوين والتلوين من خلال الإقليم وفي كوردستان الشمالية طبعاً، إلى جانب قراءة مجمل ما كتب ونشر من مقالات أو مؤلفات للكتاب الكورد: نورالدين زازا، جكرخوين، أوصمان صبري...الخ، وكتابات نيكيتين ولازاريف وديفيد مكدول، ومارتن فارن برونسن، وينظَر أيضاً في: سورية بين عهدين "قضايا المرحلة الانتقالية: بيانات ووثائق، حوارات وسجالات، مقالات"، تقديم وإعداد: محمد جمال باروت- شمس الدين كيلاني، دار سندباد، عمان، ٢٠٠٣، كما في باب "محاضرات"، ص٤٦٣، وما بعد،و:القبيلة الضائعة "الأكراد في الأدبيات العربية- الاسلامية، لابراهيم==

ومما لا شك فيه أن الاحتضان التاريخي اللافت للإقليم لمئات الألوف من الكورد الذين نزحوا من سوريا جرّاء الأحداث التي شهدتها ولما تزل قائمة في التاريخ المذكور" أعني بدءاً من أواسط آذار ٢٠١١ "، أكثر من الجهات الكوردستانية الأخرى، يؤخَذ في الحسبان ليس في نطاق الصحوة القومية أو وحدة الشعور القومي الكوردية، فهذا الفعل ملموس، وإنما في سياق سطوع نجم الإقليم المحلي والإقليمي والدولي، إنما بالمقابل أيضاً، ما يترتب على كل ذلك من مضاعفات، بما أننا نتحدث عن المصلحة وثمنها: المصلحة القومية الكوردية والتي تكون تحت الأضواء وهي مراقَبة، وحساب النتائج التي لا تقتصر تداعياتها على ردود أفعال محلية "ضمن الإقليم وحده" إنما تكون إقليمية "في النطاق الذي أفصحنا عنه حتى الآن" ودولية، حيث يستحيل تجاهل المستجد بالتأكيد، والتحديات التي يشكل فعل الاحتضان أو الإيواء على مستوى الكلف والرهانات الإيديولوجية والضغوط التي يثيرها هذا الإجراء على مستوى المكوّن الاجتماعي والثقافي

== محمود، منشورات رياض الريس، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ف ٦، ص٢٥٥ وما بعد، و: الأكراد واللغة والسياسة" دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية، لعقيل سعيد محفوض، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٣، وفي صفحات مختلفة على أتم علاقة بالموضوع المثار، إلى جانب العمل الضخم والموسوم بـ: التكون التاريخي الحديث للجزيرة السورية "أسئلة وإشكاليات التحول من البدونة إلى العمران الحضري، لمحمد جمال باروت، منشورات المركز السالف ذكره، بيروت، ط١، ٢٠١٣، والذي يتعرض لخاصية التكون الموسومة، وبغضّ النظر عن سياقه التاريخي والمنهجي وهدفه، إذ الموضوع له صلة بوجهات النظر المطلوبة لتحري السائد والقائم، إذ إن الذي أودعه كل من فالح عبدالجبار– هشام داود، في الكتاب الذي أشرفا على تحريره، وهو: الاثنية والدولة :الأكراد في العراق وإيران وتركيا، ترجمة: عبدالإله النعيمي، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط١/٢٠٠٦. مقالات لكتاب وباحثين أجانب أيضاً، يؤخَذ بعين الاعتبار في هذا المضمار، جهة الذهنية الفاعلة والمعتمدة بتاريخيتها واجتماعيتها كوردياً..الخ.

والسياسي الكوردي المحلي تماماً، حيث كل خطوة في هذا الاتجاه تترجَم إيديولوجياً لحظة الاستناد إلى الموجود على أرض الواقع فعلياً، وكيفية التعاطي مع ما هو قومي، والتجاذبات السياسية وأبعادها مستقبلاً، والثمن غال جداً، جهة الرصد الإقليمي والدولي، وتحديداً عندما يعايَن الجاري في نطاق جملة من الصراعات المحلية والإقليمية والدولية، وما يمكن للدول الكبرى قبل كل شيء أن تخطط له وأن تباغت الآخرين به في النتائج الصادمة، بالنسبة للقوى التي تتحرك على الساحة بيقين أنها ذاتية الدفع والتشكيل، وهي ضمن ملعب القوى هذه بنسبة مؤثرة في سير النتائج، في نطاق العلاقة بين المصالح الكبرى العائدة إلى دولها ومآلها، وقائمة الاتهامات التي تحفّزها الآن لأن تتحرك في أكثر من اتجاه في مواجهة ما بات أشهر من نار على علم: الإرهاب، والذي يتخوف منه كثيرون، بقدر ما يخشون جانبه "فيما لو اتهِموا به" شخصاً أو طرفاً أو حتى دولة، لأن ثمة نوعاً من الاتحاد العالمي، وربما العولمي، يتولى عملية الحرب على الإرهاب، وهي عملية لا تخفي وجهها الآخر: المصلحة، ولا بد أن قوى أخرى أقل حضوراً في بنية التشكيل والتلوين وحساب النتائج قائمة في ساحة لعبة الدول الكبرى، ليس في وسع ممثليها إطلاقاً توقع ما يمكن أن يحصل، حتى لو كان الجاري مشجعاً على الانخراط في هذه اللعبة، إلى جانب لاعبين مخضرمين، ومحكّمين دوليين، بمعاييرهم الدولتية الخاصة طبعاً، وتقويمات وكذلك حالات توقيف وطرد أو إخراج من اللعبة أو تسمية الاحتياط "إلى آخر المفردات ذات الصلة بما هو رياضي لها دلالته اللافتة والمثمرة جهة الجاري هنا"، ولا بد أن إقليم كوردستان يعيش لحظته التاريخية الاستثنائية وهو محتفى به داخل الملعب والقائم بدور الهجوم المشجَّع عليه، لكنه الملعب المفتوح، حيث إقليم

كوردستان جزء من إقليم أكبر متصرَّف به خارج تسميته ليكون توقُّع ما يمكن أن يخطَّط له سلباً في مستوى ما يبهج الكوردي عن قرب[1]، واللعبة غير مقدرة أو محددة، والطاقات التي تسمى هنا أيضاً غير معينة، وكون الإقليم يمتد خارج حدوده المعتبَرة بقوى إسناد خارجية، بات من اللزوم التحفظ على أي نتيجة مرحلية أو أي شعور يستدعي فرحاً في جانبه الكوردي تجاه المحقق إذاً، طالما أن اللعبة ساخنة، وأن الكورد الذين ينتشرون على أرض الملعب في أكثر من جهة، وفي مواجهة داعش القوة الباطشة ظاهراً، والتنظيم المتحرك في أكثر من اتجاه وهو يؤدي مهامه أو يمارس لعبته بقواعد تبدو ذاتية، ولكنها هي الأخرى ى تنفصل عما هو محلي وإقليمي ودولي، ليكون الممكن الوحيد قوله هو كيفية الحفاظ على توازن ما، وتوقع ما عاشه الكورد وفي الإقليم ضمناً من مآس تاريخية وحتى الأمس القريب، ليس لأن ذلك يدعو إلى الاستسلام لهذا التخوف، وعدم الاستمرار في اللعبة، بما أن الكورد فيما هم عليه ليس في وسعهم تحديد البداية أو التوقف حتى لالتقاط الأنفاس، أو حساب كعكة النهاية أو

---

[1] لعل أخطر مقال وأكثره تحذيراً للمعنيين من الكورد بالشأن الكوردي هو ما أثاره الباحث الكوردي الدكتور محمود عباس، والمقيم في "أميركا" منذ سنوات، في: الخطة السرّية لتدمير كوردستان، في موقع "ولاتي مه" الالكتروني، بتاريخ ١١ تشرين الأول ٢٠١٤، حيث إن الجاري في المنطقة عموماً وما يخص الكورد خصوصاً، يمثل تخطيطاً للانقضاض على الحلم الكوردي المتعلق باستقلاله حتى ولو كان ذاتياً، وبالاتفاق بين الدول المتقاسمة لدوردستان ودول أخرى، وفي الواجهة كما هو متوقع: أميركا وروسيا، وبغض النظر عن مسحة جلية من التشاؤم في بنية المقال، إلا أن الممكن قوله، وكما أثرتُ، هو أن كل ما يتهدد الكورد عمومهم، وفي أي جهة كوردية خصوصاً، في حضورهم الاثني متوقع، وهذا ما يمنح المقال المقال واقعية لا تخفى، مهما كانت حدة الواقعية هذه و"رعبها"!

الخروج من اللعبة كذلك، بما أن الملعب في بعض جلي منه ملعبهم، وأنهم أنفسهم امتداد لهذا الملعب حتى لو كانوا لاعبين مهرة، إنما لأن ذلك يتطلب مزيداً من ضبط النفس والحرص على البقاء بوعي أكثر عمقاً على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، بقدر ما يستوجب ذلك حرصاً مضاعفاً على وحدة الداخل ومدنيته المنشودة، أعني من خلال تجنب التحرك في نطاق ما أسمّيه بـ"الكهنوت القومي": حيث تحال القومية كفكرة وممارسة إلى احتكار حيازي غيبي مؤمَّن عليه ومحروس باسم مجموعة معينة نخبوية "تكنوقراط سلطوي تراتبي مستدام"، والحيلولة ما أمكن دون غلبة التبعية التحزبية أو الفئوية أو الجماعية بأصولها العشائرية والمحسوبية الخاصة على الألمعية في نسَبها المجتمعي العام في الثقافة والمهارات المهنية وقيم الإبداع الملموسة بنتائجها، واللااستهواء بأهداف تثير اللعاب بالمفهوم القومي والسيادي المنشود، مثلما أنه حب معين بالسلامة، والاستعداد لما هو محبَط رغم قوة صدمته المتوقعة أيضاً، وهو يتحرك بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة، ودون ذلك، كما أرى، وكما تابعت ذلك، ما يخص جدل الداخل والخارج وتلك المسالك والممرات الواصلة بينهما، دون ذلك يستحيل استشراف العالم بكل تعقيداته ومباغتاته ومستجداته المستمرة.

القسم الثاني

موقع إقليم كوردستان في التحالف الدولي ضد الإرهاب

من باب التقديم

لعل قول أحد المتصوفة يقرّبنا من موضوعنا كثيراً، نظراً لتشعب مكوناته، وهو "**كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة**"، والرؤية تتسع كون الموضوع: مجال البحث أعمق وأوسع مما يحاط به وهو في قابليته اللافتة للتحولات، والعبارة إزاء ذلك تضيق، كحصيلة لاتساع الرؤية والكم الهائل من المؤثرات، ولا بد أن إقامةً في متن العلاقة بين الوضعيتين تفرض علينا مزيداً من ضبط الصورة وتهذيب الكلام، لأن الحديث عما هو قائم في الإقليم وفي الجوار الإقليمي ومكانة الإقليم دولياً، كما يتردد هنا وهناك، يكون كل وارد هنا ربما حتى دون ما نقرأه ونسمعه في المجمل، بمفهومه الإعلامي، وموضوعنا يتحداه بحثياً، ومن هنا نبدأ:

في لقاء من قبَل مراسل قناة "روداو" التلفزيونية الكوردية مع صالح مسلم رئيس حزب الاتحاد الديمقراطيالكوردي pyd، في إقليم كوردستان[1] عن رأيه في عملية إرسال السلاح من إقليم كوردستان إلى

---

[1] كان ذلك على إثر زيارته لإقليم كوردستان بدعوة من رئيس حكومة الإقليم مسعود بارزاني لحضور اجتماع اللجنتين الكورديتين من روجآفا ENKS، وpyd، بغية الدخول في تحالف كوردي مشارك ضد التحديات وخصوصاً الغزو الداعشي للكورد، وما قاله جاء على خلفية زياراته لبرلمان إقليم كوردستان بتاريخ ٢١ تشرين الأول ٢٠١٤ .

كوباني لمواجهة إرهاب داعش، ثمّن دور من هم وراء ذلك في الإقليم، ولفت نظري ما قاله: هذا السلاح سلاح الكورد، ومن أجل الكورد ومرسَل إلى الكورد، وكذلك قوله: بالنسبة إلينا نمد أيدينا إلى كل من يدعمنا، ونحتاج إلى المزيد.

قوله هذا أعادني إلى الراحل ملا مصطفى البارزاني حين رد على الانتقادات التي وجّهت إليه من قبل وفد من النساء الفلسطينيات بسبب علاقاته مع اسرائيل قائلاً (أنا مثل الشحاذ الأعمى الواقف عند باب الجامع الكبير في مدينة السليمانية، والعاجز عن رؤية من يضع في يده الممدودة، قطعة نقدية)[1]، مع بقاء الفارق التاريخي الكبير جداً بين المشهدين: في المشهد الأخير، حيث كان الرمز الكوردي الكبير الراحل يعيش الويلات ويناشد أي جهة في سبيل تخفيف الظلم عن شعبه الكوردي، ويرد طلبه كثيرون في الخارج حتى دون مقابلته هو، أو من يمثّله، بينما في المشهد الأول، فنجد أن المسئول الكوردي يثني على حكومة الإقليم على ما تقدَّم، وعن طريقها طبعاً بصورة رئيسة، حيث سارعت دول كبرى في العالم: أميركا وأهم الدول الأوربية إلى مد الإقليم بالسلاح والخبرات العسكرية، ليس هذا فحسب، وإنما مع زيارات مسبقة من قبل كبار مسؤليها، لمواجهة الغزو الداعشي والذي تعرَّض له مطلع آب هذا العام "٢٠١٤"، مع ثناء متكرر على دور الكرد في عملية المجابهة لداعش ولما يمثله من إرهاب مستطير !

---

[1] ورد هذا القول في كتاب الصحفي الأميركي جوناثان راندل: أمَّة في شقاق "دروب كوردستان كما سلكتها"، ترجمة: فادي حمّود، دار النهار، بيروت، ط٢، ص٢٥١.

هذا يضعنا في مواجهة أمثلة لا تحصى عما كان عليه وضع الإقليم وكيف كان ينتقل من مأساة إلى أخرى دون أي اهتمام دولي يستحق التذكير، وتحديداً من جهة أميركا في سبعينيات القرن الماضي "حين كان هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية"، ولاحقاً إثر حرب الخليج الثانية ١٩٩١، والهجرة المليونية، وتزويد تركيا حليفتها وعضو الناتو معها "بكميات ضخمة من الأسلحة"[١]، وحتى بالنسبة لعملياتها العسكرية عبر الحدود ضد الإقليم والتي استمرت حتى سنة ٢٠٠٨[٢]، وما قاله – مثلاً– وزير خارجية فرنسا رولان دوما سنة ١٩٩١ في رده على سؤال يتعلق بما ينتظره الكرد من (النظام العالمي الجديد) والذي تلخص في عبارة (إن الشعب الكوردي شعب بائس..)[٣]، والأكثر بلاغة ودلالة، لحظة إعلان رئيس إقليم كوردستان إثر الغزو الداعشي للموصل في العاشر من حزيران ٢٠١٤، ودخول البيشمركة إلى كركوك، عن أنه سيسعى إلى الإستقلال بإقليمه، كان أول من اعترض على ذلك هو الرئيس أوباما، وليكون الأول من يعلن وبصوت مسموع دولياً إثر غزو داعش لحدود الإقليم ولشنكال ضمناً، بأن إقليم كوردستان "خط أحمر"، والتقدم بخطوة لافتة على مستوى عالمي كان لها صداها المدوي في المنطقة وفي دول حلف الأطلسي "الناتو": بتقديم السلاح للبيشمركة للدفاع عن الإقليم.

---

[١] المصدر نفسه، ص ٣٦٢ .

[٢] يُنظر حول ذلك، كتاب أصليخان يلدرم: كوردستان والحدود في القرن العشرين، منشورات آزاد، لندن، ط١، ٢٠١٣، ص٤٤٦، باللغة الكوردية.

[٣] الأشقر، جلبير: الشرق الملتهب "الشرق الأوسط في المنظور الماركسي، ترجمة: سعيد العظم، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٦٩ .

ولكي نكون أكثر مقاربة لهذا التحول الانعطافي، لا بد من الإشارة إلى التالي:

تحوُّلُ الإقليم من إقليم محلي يتبع مركزاً هو بغداد العاصمة، وفي الحد الأدنى من التسليح وربما التهميش، إلى إقليم يكاد يتجاوز نطاق العاصمة: المركز على مستوى الاهتمام ويعطى صلاحيات تتجاوز نطاق المركز بالذات، في الإمداد بالسلاح، ولاحقاً بإرسال البيشمركة إلى كوباني محملة بالأسلحة الثقيلة، ودون الرجوع إليه أيضاً، أو رغم وجود اعتراض على هذا "الخرق" !

تحولُ الأنظار إلى الإقليم حتى من داخل العاصمة والمحيط الإقليمي، وضمناً: المحيط العربي، جرّاء هذا الاهتمام العالمي، استناداً إلى أن مستجداً لا بد أن يُحسَب له حساب من جهة أكبر قوة ضغط عالمية هي أميركا، حتى وإن لم تعرَف بنية المستجد وحقيقته، بعد أن كان الإقليم يستجدي المركز وينشد القوى العظمى للنظر في وضعه تحسباً للأخطار التي تتهدده داخلاً وخارجاً.

بروز دور الإقليم وتناميه، بعد امتداد الخطر الداعشي وانتشاره بكثافة مع استفحال خطره في أكثر من جهة، وهو يسعى، كما هو معروف، إلى اقتحام "كوباني" في روجافا كوردستان لصْق الحدود التركية الرسمية مقابل "سروجي: بيرسوس" بدءاً من ١٥ أيلول ٢٠١٤، ومناشدة المعنيين بأمن روجآفا من الكرد وفي كوباني، ونزوح مئات الألوف إلى تركيا، ومنها نزوح البعض إلى الإقليم، والصمت الدولي تجاه انتهاكات الغزوة الداعشية الإرهابية والإقليمية اعتباراً، ولتستجيب قوى دولية لنداء كوباني، إنما عن

طريق حكومة الإقليم قبل كل شيء، بقصف مواقع داعش في سوريا وفي كوباني، وتبعاً لتقديرات دول التحالف.

بروز انعطافة أكبر في الاهتمام العالمي بكوباني من خلال تقديم السلاح للمقاتلين الكرد في كوباني، وتحديداً على خلفية من اجتماع اللجنتين الحزبيتين في روجآفا كوردستان ENKS و PYD، وبدءاً من ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٤،حيث استمرت لأكثر من أسبوع، رغم كل مظاهر الاحتجاج من دول الجوار: تركيا بالذات.

سوى أن الأهم في ذلك أيضاً، هو أن تركيا، وبعد محاولاتها المستميتة في عدم مد العون إلى كوباني إلا بطريقتها الخاصة والتي رُفضت من ممثلي الكرد في روجآفا أساساً، والتصعيد بموقفها السلبي والمعتاد مما يجري في المناطق الكوردية في سوريا، والأنكى من ذلك الربط بين داعش وpkk باعتبارهما ارهابيين "من قبل أردوغان بالذات"، وتالياً التوحيد بين pkk و pyd، على الصعيد الإرهابي لتبرير موقفها مما يجري على الأرض "أردوغان رئيس الجمهورية وأحمد داود أوغلو رئيس حكومته، باعتبارهما وجهين لعملة واحدة جمعت بين أعلى التطرف القومي التركي وأعلى التعامل الإسلاموي المطبوع واقعاً بما هو عثمانلي تركي، نموذجان حيّان هنا" فيها، إلى جانب تقديم مبرّرات لمسلكها واتهام قوى حزبية كوردية لديها أيضاً "HDP" من خلال صلاح الدين دمرتاش، والسعي إلى مراقبة حدودها مع روجآفا، اضطرت إلى الموافقة على ضرب قواعد داعش "المدعَّم من قبلها أصلاً" في كوباني ومحيطها وما هو أبعد من قبل دول التحالف فحسب، وإنما إلى السماح لعبور البيشمركة ومعها السلاح الثقيل لأراضيها ومن ثم دخول كوباني ومحاربة داعش إلى جانب المقاتلين الكورد هناك، رغم

صيحات مسئولين أتراك آخرين، ولا بد أن أردوغان وأوغلو في الواجهة، بأن ذلك تمهيد متخوَّف من مآله وهو الشروع في بناء كوردستان، وهي المرة الأولى في التاريخ حيث نجد تحولاً غير مسبوق من هذا النوع، وانطلاقاً من إقليم غير معترف به إلا بصورة خجولة وكجهة جغرافية غالباً "شمال العراق" ضمن نطاق دولة موحَّدة أراضيها، وحدودها طبعاً، إلى إقليم يُعطى الضوء الأخضر ومن دولة عظمى وتلك التي معها، لعبور أرض كانت تركيا تعتبر مجرد رؤية كوردي بلباس كوردي أو وهو يتكلم الكوردية حتى وهو في عِداد "مواطنيها" تعدّياً على أمنها القومي فيحاكَم في الحال حتى الأمس القريب جداً، لتصبح مكتوفة اليدين، كما يقال، وهي تعلم كل العلم أن ثمة ما يتهددها في الصميم.

والمحصّلة والتي لا تعرَف بنهايتها حتى الآن، هي أنه إذا كان الإقليم قد استقطب أنظار قوى عظمى بصورة فاعلة، في نطاق دولة، فإن كوباني قد هيَّأت لمد جسور مقطوعة بين أجزاء من كوردستان مقطعة الأوصال منذ آلاف السنين حقاً، بمعنى أن وثبة الإقليم ارتبطت مع قيامة كوباني وصرختها، وتجلّي وعي قومي وتمهيد عملي كوردستاني المنشأ، خارج مألوف السياسة الدولية المعتادة، ليكون المستجد نفسه حصيلة تفاعلات قوى دولية بالذات عبر التعامل مع الإرهاب متعدّي الحقوق، كما لو أن هذا الإرهاب الذي أثار رعباً على مستوى عالمي، واضطراباً، ربما يصعب على الكثيرين، حتى من متتبعي السياسة العالمية في ضوء متغيرات ما بعد العولمة، التقاط منطق مطمئِن للجاري، يقرّبنا كثيراً من فهم الموقع المتقدّم للإقليم والذي يبرز، كما لو أنه القوة المغفلَة من الاسم والمدرَكة في لعبة "**الاتجاه المعاكس**" لمواقع القوى، ويعني بالتالي، فيما هو ممكن قوله: كما أن

تاريخ كوردستان مدوَّن من الخارج، وأن كوردستان قسّمت بتدبير من الخارج، يبدو أنه سيعاد تدوينه من الخارج في ضوء المستجدات، وبقوة مؤثرة من "فوق"، وأن كوردستان بمفهومها الجغرافي والاثني معرَّضة للتحول في هذا السياق، واستناداً إلى لعبة القوى العالمية، تلك القوى التي تعلمّنا بالتالي: تكون السياسة في علاقتها بالجغرافيا وفي الأزمات الكبرى بمثابة القابلة القانونية لها.

هذا يحفّز على طرح السؤال لاستيعاب اللعبة هذه: ماالذي تغيَّر بزاوية كاملة؟ هل تغيَّر "النظام العالمي الجديد"، أم ثمة اختلال توازن في مواقع القوى العظمى وخاصيتها السيادية ؟

ما يمكن القول هو أن الإرهاب الذي تمثَّل في داعش وإيديولوجيا داعش في الغزو المهدّد لمصالح الدول الكبرى قبل غيرها، ربما يمثّل الجواب الأكثر دقّة وشفافية لمعرفة هذه الانعطافة التاريخية، والدخول في عهدة نظام عالمي جديد آخر.

وقبل البدء، آمل أن يتم الربط بين الإرهاب في متحوَّله الجديد وبمنحاه العالمي، رغم طابعه الإسلاموي، ومفهوم السيادة ذات النشأة الدولية الغربية أساساً والمعرضة للتزعزع، وما في ذلك من تحفيز لا بد منه، لإعادة النظر في النظام المعتبَر دولياً، والقانون وفحواه دولياً أيضاً، وانعكاس كل ذلك على حياة المجتمع ذي التوجه الليبرالي، وهو المميَّز بحساسية شديدة تجاه هذا الاختلال بالسيادة التي تعني أولي أمره مباشرة!

مواقع القوى العالمية وموقع الإقليم:

المسافة الفاصلة بين الحقيقة والخطأ، هي ذاتها تلك القائمة بين القوة والضعف، إنها غير قابلة للقياس، إنما تتدخل الظروف والمتغيرات فيها، وهي تعني أشخاصاً وجماعات شعوباً وأمماً، وعلينا أن نكون أكثر تحديداً، فنقول: إنها التي تسميها أنظمة بقواها المتفاوتة !

هذه القوى هي ذاتها مواقع، والمواقع هي التي تعرّف بقوة كل طرف أو جماعة أو دولة، وما يرسم حدود هذه العلاقات هو التحديات، بحيث يتشكل موقع ما من اتحاد مجموعة مواقع، لا تعدو أن تكون تحالفات، كما في "الاتحاد الأوربي"وفي "مجلس التعاون الخليجي"، استناداً إلى الأخطار التي تتهدد سيادة هذه الدولة أو تلك وفق علاقات تنتظم فيما بينها، وكما صار يعرَف بـ"منطقة اليورو"، وحتى بالنسبة لدولة واحدة قد تكون حصيلة مجموعة قوى: مواقع قوى لتكون أقدر في البقاء، وثمة أمثلة كثيرة: الولايات المتحدة الأميركية، سويسرا، الاتحاد السوفيتي سابقاً، الإمارات العربية المتحدة..الخ ومن هنا فإن (توازن القوى كنظام متعدد الأقطاب يدين بالفضل لمبدأ الأحلاف. والأحلاف ترتيبات رسمية أو غير رسمية تدخلها الدول ذات السيادة مع بعضها البعض لضمان الأمن المتبادل..)[1].

ولا بد أن تكون القوى هذه والتي تمثّل أنظمة، بالنسبة لمجموعة دول، وخصوصاً منذ ثلث قرن، إثر صعود نجم "ابن لادن" والذي حمل معه ما بات يعرَف عالمياً بالإرهاب وذلك بدءاً من أفغانستان، بغية الدفاع عن

---

[1] إحسان، محمد: الصراعات الدولية في القرن العشرين "دراسة تحليلية"، دار آراس، أربيل، ٢٠٠٠، ص٨٢ .

نفسها، لا بد أنها تخضع لمؤثرات تبقيها في حالة من اللااستقرار، لا بل واختلال التوازن في العمق، الأمر الذي يدفع بها إلى تغيير سياستها داخلاً وخارجاً معاً، كما الحال راهناً بامتياز، من خلال مفهوم "الإرهاب" والذي بات ما يشبه الكابوس إثر أحداث "١١" أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، كما هو معلوم، والذي قال فيها أحد الباحثين العرب (أعتقد شخصياً أن "١١" سبتمبر أقوى من سقوط جدار برلين والشيوعية على الأقل من الناحية الشكلية. إنه حدث صاعق لكل ما للكلمة من معنى.)، وليوضح هذا التقييم أكثر بمقبوس يخص مفكراً فرنسياً (لكن لنعد إلى المغزى الفلسفي لـ"١١" سبتمبر. في رأي المفكر الفرنسي بيير هاسنر فإننا انتقلنا بعد "١١" سبتمبر من عالم إلى عالم آخر مختلف تماماً. لقد انتقلنا من عالم تسيطر عليه فلسفة جون لوك الانكليزي وإيمانويل كانط الألماني، إلى عالم يسيطر عليه هوبز ونيتشه وماركس.)[١].

يعني ذلك تحولاً ليس في موازين القوى وعلى مستوى عالمي فحسب، وإنما تحولاً في النظرة إلى العالم بالذات وانزياحه الخطير من وضع إلى آخر أكثر خطورة، إلى درجة التأثير الكيفي في مفهوم معيار القوة داخل الدولة الواحدة وبالنسبة لمجموعة دول أيضاً، ويرتد ذلك إلى الإرهاب الذي كان يمكن تحديده نوعاً وجنساً ضمن مساحة جغرافية وجماعية ومذهبية معينة حتى الأمس القريب، وبدءاً من ظهور القاعدة الممثَّلة في شخصية "اسامة بن لادن"، إلى الإرهاب الذي تجاوز حدوداً ودولاً، وتأهل ليكون متحدياً لدول كبرى في عقر دارها دون ميعاد، وليتحدد الإرهاب بأكثر من معنى

---

[١] صالح، هاشم: الانسداد التاريخي: لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي؟ دار الساقي، رابطة العقلانيين العرب، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص ٧٥– ٨٢ .

بوصفه معادلاً للإسلام، وهو لم يكن كذلك بالأمس القريب إذ إن (الإرهاب، وهو وليد السبعينات، ليس ابتكاراً إسلامياً. إلا أننا فقدنا المرجعية المشتركة أي الترجمة الماركسية العالمثالثية المعتمدة، التي كانت تتيح للبعض أن يتفهم أعمال عصبة بادر–ماينهوف أو الألوية الحمراء، لا بل خاطفي الطائرات من الفلسطينيين، ولكن لا تتيح فهم محتجزي الرهائن من عناصر حزب الله.)[1]، ولتغدو العملية معقدة، حيث الاختلاف قائم على أشده كون الإرهاب متعدد الأوجه والتعاريف، ويرتبط بالطرف موضوع الإرهاب ومن ينظر إليه كمجسّد للإرهاب، أي ما ينحصر في شخص أو أكثر، وما يرتبط بدولة بالكامل، وهو ما يوجهنا صوب "الإرهاب من تحت"، و"الإرهاب من فوق"، فيكون شاغلاً لتاريخ البشرية بالكامل، كما لو أن كلاً منا حامل للإرهاب ومعرَّض لأن يكون محموله من خلال العنف ورد العنف، كما هو الممكن تلمسه في مواقع القوة والعلاقات غير المستقرة بينها، أي كأن الإرهاب يشكل علامة فارقة بقوة في التاريخ، تبعاً لمفهوم "الإرهاب المقدس" بتعبير تيري إيغلتون، و"الإرهاب غير المقدس" بتعبير مغاير للأول وهو لبرنار لويس، وما يكون وسطاً بين الحالتين، بتعبير ديفيد كين، وكذلك، ما يضعنا إزاء صعوبة في التحديد لمفهوم الإرهاب، استناداً إلى ارتباط الإرهاب بالمصالح: الشخصية والجماعية والدولية، وفي سياق التاريخ ومتغيراته، لدى فريد هاليداي، والأكثر غرابة ومجابهة لما هو متداول هنا وهناك، بحيث يعاد استخدام الإرهاب عبر تأجيج مفهومه إلى الغرب

---

[1] أوليفيه روا "باحث فرنسي في الإسلاميات": تجربة الإسلام السياسي، ترجمة: نصير مروة، دار الساقي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، الطبعة الفرنسية ١٩٩٢، ص ١٥ .

وأميركا بالذات، ومن خلال التصعيد الإعلامي السوبرماني، إن جاز التعبير، لدى جان بودريار.....الخ[1].

ولعل جانب الحذر المطلوب هنا، ونحن نقتبس من هذا المصدر أو ذاك، أو نحيل عليه، هو أن الذي نعيشه ولا نعرف مآله بالشكل الذي يمكّننا بصورة أكثر وضوحاً وقابلية للأخذ بمردوده أو المستخلَص منه فكرياً، يتحدى قائمة المصادر والمراجع المقدمة، باعتبارها ترتد إلى سنوات سالفة، والفضيلة القائمة والمسماة هنا، هي أنها تفيدنا في إضاءة جوانب مما يشغلنا وليس في التعرف عليه في مختلف مكوناته من ناحية، وحيث إن الذي ننشغل به وهو يتحدانا جغرافياً وتاريخياً، في طور التكوين من ناحية ثانية، وتحديداً في ظل القوى الكبرى وتشابك مصالحها الراهنة والمستقبلية، والذي يذكّرنا

---

(1) إنها مجموعة مواقف/ رؤى: يمكن النظر فيها، بوصف كل موقف، أو رؤية سياسية وتاريخية وتترجم مصلحة معينة بمعنييها الواسع والضيق، وبالتسلسل تبعاً للأسماء الواردة في النص:

تيري إيغلتون: الإرهاب المقدس، ترجمة: أسامة إسبر، دار بدايات، جبلة، سورية، ط١، ٢٠٠٧، ص٦-٨٥-١٤٥..الخ.

برنار لويس: أزمة الإسلام "الحرب المقدسة والإرهاب غير المقدس"، ترجمة: عمار أحمد حامد، سلسلة الرضا للمعلومات، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٠٥- ١٢٠.

ديفيد كين: حرب بلا نهاية!! "وظائف خفية للحرب على الإرهاب"، نقله إلى العربية: معين الإمام، دار العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٨، الطبعة الأجنبية، ٢٠٠٦ ،ص ١٢- ٩٠-٣٢٩..

فريد هاليداي: الأمَّة والدين في الشرق الأوسط، ترجمة: عبدالإله النعيمي، دار الساقي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، صص ٧٣-٩٠.

جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ترجمة: جوزيف عبدالله، مراجعة: د. سعود المولى، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١،٢٠٠٨، ص ١٠٥-١٥٥.

كل ذلك بالمثل الشعبي المتداول "كلما كثر الطباخون احترقت الطبخة"، وهذا ينطبق على الجاري بعمق، حتى إذا كانت أميركا في مقام الطباخ الأكبر كون ذلك لا ينفي اختلاف الأمزجة والتذوقات وعلاقة كل "طباخ" بالمطبوخ ونوعه قليلاً أو كثيراً.

وتحديداً، حين نجد أنفسنا على أعتاب قرن جديد ظهر متوتراً وملتهباً، وهو يعيش توترات تشغل العالم أجمع، إن انطلقنا من الحرب العالمية الأولى يوليو/ تموز١٩١٤، وانتهت بعد أربع سنوات، والجاري في سوريا وهي في انفجارات أحداثها الداخلية في عمرها الرابع، وتداعياتها المحلية والإقليمية والدولية، ونبْت داعش السام بإرهابه في تفاعلاته الكوكبية، وكأنه يعلن حرباً عالمية ثالثة من نوع مغاير، والبدء في الشرق الأوسط هذه المرة، وليس في أوربا، رغم أن الشروع المصغّر إنما المروّع وشديد الدلالة كان مع ضرب البرجين العالميين في نيويورك ١١ أيلول سبتمبر ٢٠٠١، وينسف كل مفهوم سيادي للحدود...الخ.

وهذا يفرض علينا درجة هائلة من المرونة لتلقي الحدث وما يتجاوز حدود الحدث، إذ ليس الحدث وحده ما يمكّننا من تتبع حقيقة الجاري أو ما يقرّبنا حتى من هذه الحقيقة بالذات، إنما ثمة ما يبقى خفياً، أو في وضعية التخفي والانزياح أو المواربة أو الغموض استناداً إلى المساحة الهائلة للمخاطر التي تلوح في الأفق العالمي، رغم التفاوت بين بقعة جغرافية وأخرى، ورغم أن ثمة من يعيش أتون الإرهاب والحرب على الإرهاب ومجابهة الإرهاب، كما في حال الكورد بصورة رئيسة، وثمة من يحارب الإرهاب بطريقة تترك مسافة معينة بينه وبين الإرهاب كما في حال الدول التي تسمى بدول التحالف حديثاً ضد إرهاب داعش، وثمة من يعيش تحت

وطأة الخوف الداعشي أو الإرهاب الذي يحمل بصمته أساساً، كما في الدول التي تقف على مبعدة معينة من المناطق الملتهبة بإرهاب داعشي وكل التنظيمات الإرهابية في المنطقة: أنصار بيت المقدس في مصر، وأنصار الشريعة في ليبيا، وبوكو حرام في نيجيريا..الخ، وليظهر العالم في مجموعه في معرض الإرهاب المباشر أو إرهاب الصورة والصوت الداعشيين من خلال وسائل الإعلام التي تسخَّر كثيراً في خدمتهما.

ولعل البحث في مفهوم مواقع القوة المؤثرة في سرديات الإرهاب والإرهاب الداعشي وما يعادله، يبقينا على مسافة قريبة من الموقع الأكثر تأثيراً في بقية المواقع، أي: الولايات المتحدة الأمريكية، إذ رغم كل التنوع في المواقف المختلفة من السياسة الأمريكية، جهة التأييد: برنار لويس، فوكوياما، هنتنغتون، أو الرفض: نعوم تشومسكي، باربر بنجامين، مايكل شوير، أندرو باسيفيتش...الخ[1]، فإن أميركا تتصدر المواقع مجتمعة جهة

---

[1] ينظَر حول ذلك:

في جانب التأييد:

برنار لويس: في مصدره المذكور، المعطيات ذاتها.

فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ترجمة: د. فؤاد شاهين وآخرين، الإشراف والمراجعة والتقديم: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٣٧-١٥٢.

صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، نقله إلى العربية: د. مالك عبيد أبو شهيوة- د. محمود محمد خلف، الدار الجماهيرية، ليبيا، ص١٩٩٩، ص ١٥٦-١٩٩.

في جانب المعارِض:

نعوم تشومسكي:

باربر بنجامين ر: إمبراطورية الخوف " الحرب والإرهاب والديمقراطية، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت،٢٠٠٥. الطبعة الأجنبية ٢٠٠٤، ١٣-٤٢-٤٨ ..==

التأثير والاستقطاب، وليس اعتباطاً إطلاقاً التوحيد بين كل من الولايات المتحدة الأميركية كدولة، وأميركا كقارة، وكأن الأولى هي الثانية وبالعكس، رغم الفارق المعروف بينهما، ولعل ما يشير إليه المفكر البلغاري الفرنسي الأصل تزفيتان تودوروف يفصح عما تقدَّم، رغم النقد الحاد الموجَّه إلى أميركا وسياستها الخارجية (يمكن لأحداث أيلول ٢٠٠١ أن تعد

== مايكل شوير: القومية الامبريالية الأميركية، لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب؟ ترجمة: سمة محمد عبدربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٢٠-٣٥٨ ..

أندرو باسيفيتش: الإمبراطورية الأميركية "حقائق وعواقب الدبلوماسية الأميركية"، ترجمة: مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢١-٥٢-١٠٩-١٩٧..الخ.

وفي مثال لافت، يتمثل في اينياسيو رامونيه: حروب القرن الحادي والعشرين" مخاوف وأخطار جديدة" ترجمة: خليل كلفت،الهيئة المصرية العامة، القاهرة،٢٠٠٦، حيث يقول، مثلاً، (والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على العالم كما لم تفعل أي امبراطورية مطلقاً من قبل.ص٩)، وكذلك (وقد عرفنا بالفعل، منذ ديسمبر ١٩٩١، واختفاء الاتحاد السوفييتي، أن الولايات المتحدة تظل القوة الفائقة الوحيدة، طوعاً أو كرهاً nolens volens. ص ٥٨) ..الخ .

لكن الذي يجدر التنويه إليه هو أن هؤلاء الذين ينتقدون أميركا، ومقابلهم من ينتقدون مجتمعاتهم الأوربية وأنظمتها، لا يظنن أحد "من المجتمعات الشرقية خصوصاً"، أنهم ينتقدونها رفضاً لها، وتوقاً إلى مجتمعات مغايرة، كما ينجرف في نهر الوهم هذا جمع غفير من الكتاب العرب وسواهم "في العالم الإسلامي" إذ لا يكفّون عن استشهاد بهؤلاء المنتقدين الأميركان والأوربيين، من موقع أنهم رافضون لها، وليس لأنهم يحثون على تحقيق الأمثل ديمقراطياً، وهذا من شأنه، من جهة هؤلاء المأخوذين بالوهم من الكتاب، أن يقدموا فائدة لا تقدر بثمن لأنظمتهم التي يعبّرون عن نقمتهم عليها، كما لو أنهم بطريقتهم يشجعون أبناء مجتمعاتهم على لزوم الالتفاف حول حكامهم، وعدم التفكير بالغرب و"فضائحه"، والمفارقة، حين نجد رموز دين وفكر وحركات دينية وغيرها عاشوا في الغرب وبعد رجوعهم إلى "أوطانهم " بدأوا بذمها "الخميني نموذجاً" وهو الذي كان في باريس، وكما في حال سيد قطب الذي درس في أميركا..الخ .

إعلاناً للحرب من قبل الإرهاب الإسلامي. لقد كان الهدف هو الولايات المتحدة، لكن يجب ألا تهدهدنا الأوهام. إن الغرب بأكمله– أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية هو المستهدف. فالأصوليون المسلمون يصرّحون قائلين: "من ليس معنا فهو ضدنا"...)[1].

يمكن اعتبار أميركا هذه، وهي في موقع القوة والاعتداد بنفسها وطابعها السيادي العالمي بأكثر من معنى: السفينة تيتانيك ذات الصيت سينمائياً، والتي عرِفت حينها ،قبل قرن من الزمان، بالسفينة التي لا تقهَر، وقد كان مصيرها كارثياً في المحيط، ولا بد أن صدمة أميركا تيتانيك بالإرهاب في أحدث تجلياته بخطورة الجبل الجليدي العائم الذي صدم السفينة أو ارتطمت هذه به، فكانت المأساة، وأميركا بمفهومها الهوليودي، لا تخفي المبادرة الاستباقية من موقع السيادة الفائقة، للحيلولة دون بلوغ مصير تيتانيك، خصوصاً وأن الإرهاب متعدي حدود الدول الآن !

هذا يطرح علينا تحدّياً في نطاق التعامل مع الحدث وما يؤثّر في الحدث دون إمكان الكشف عن نوعه وبنيته، وما يوجّهنا صوب الآتي حصيلة لما جرى ويجري وتكون له تداعياته ومضاعفاته على أصعدة مختلفة مستقبلاً، أي كيف يمكن لمجموعة مواقع موحدة في موقع واحد: الاتحاد الأوروبي، أن تتداخل أو تتفاعل مع موقع هائل التاثير بسلطته في النفوذ العالمي وإدارة الحدث عالمياً، وما يُخفى ضمناً وهو موقع الولايات المتحدة الأميركية، إذ

---

[1] تودوروف، تزفيتان:: اللانظام العالمي الجديد "تأملات مواطن أوروبي"، ترجمة: د. علي أسعد، دار المرساة، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٠٤، ولعل تودوروف ينطلق من حساباته الأوربية، أما عند التوجه خارجاً، كما هي ساحة الإرهاب الكبرى في المنطقة، فالقول معلّق لاعتبارات سياسية مختلفة.

كانت هي البادئة إلى طرح فكرة التحالف الدولي في حرب الخليج الثانية ١٩٩١، وذاق الكورد، وفي الإقليم بالذات المرارة الكبرى،وليكون المقدَّم للكورد إثر تحالف آخر في الحرب على نظام صدام حسين وإسقاطه سنة ٢٠٠٣، دون المطلوب، وإثر ولادة تحالَف "ثالث" أعلِن عنه في "١١ أيلول/ سبتمبر٢٠١٤، وربما أمكن اعتبار التاريخ نفسه ذا دلالة عبر استرجاع التحالف الدولي المتشكل على خلفية أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، وكأن هناك بعداً قياماتياً للإرهاب يتهدد الدول مجتمعة وليس أميركا وحدها.."، ولتكون هذه البادئة في تسمية الجاري في المنطقة بالمقابل.

وضمن هذه التشكيلة الواسعة واللافتة من القوى الموحدة والمتنوعة والفاعلة في المجمل عالمياً، يُطرح إقليم كوردستان، ولأول مرة في التاريخ بمثل هذا البروز الاستقطابي، ليس باعتباره داخلاً في نطاق دول التحالف: الغربية وبعض الدول العربية تحديداً، إنما بوصفه معرَّضاً للغزو الداعشي وإرهابه، وكونه الأكثر إسهاماً في شن الحرب عليه على الأرض، إلى جانب أنه تجلى في موقع الحامي عن مجموعة تعني دول التحالف الغربية وأميركا ضمناً من خلال التصدي للإرهاب الداعشي الذي لا حصر لحدود أخطاره المعلنة، وهنا يتحدد موقع الإقليم الاستقطابي دولياً.

إنه الموقع الذي بات يُطرح في الواجهة الإعلامية والسياسية العالمية في ظل التغيرات الانعطافية، ودون هذه التغيرات والتي لما تزل قيد التشكيل والتبلور، من الصعب إن لم يكن مستحيلاً مقاربة هذا الموقع للإقليم، وما إذا كان سيثبت به إلى أجل غير مسمى على الأقل، أو أنه يرتبط بالفترة المقدرة للقضاء على إرهاب داعش في المنطقة، كما لو أن ذلك مهمة تستهلك زمناً معيناً يختفي بعدها، ويجري تحجيمه.

ومن جهة أخرى، لأنه من خلال هذه الفسحة الجغرافية "**قاعدة انطلاق**"، كما يظهر، والمتمثلة في الإقليم كان الإعلان عن تشكيل دول التحالف ضد الإرهاب، وهذه تسجَّل تاريخياً باسم إقليم كوردستان، ومنه يعاد النظر في جملة من القضايا ذات التأثير الفاعل في السياسة العالمية بالذات، والتي تتحدى الأجهزة المخابراتية، وخبراء السياسة وساسة الدول إلى جانب الباحثين والمفكرين وحتى العلماء بالنظر في هذا المتحوَّل العنفي ذي المردود العلمي وآفاقه غير المرئية:

على صعيد الإقليم، عبر جرس إنذار أوباما الأميركي، بأن إقليم كوردستان خط أحمر، وبعده الدولي اللافت، وفي الوقت الذي برز الإقليم كان الذي يطبَّق في نطاق جغرافيته أكثر من غيره "مأساة شنكال المتعددة الأشكال والمروّعة" وباعتبارها جغرافيا كوردية، وامتدادها غرباً، صوب كوباني بالذات، مورس عنف لا مثيل له حديثاً، لكنه يتجاوب مع المستهدَف إرهابياً بالنسبة لموقع الكورد وفي الإقليم بالذات، ولتكون مشهديات الرؤوس المقطوعة وسبي النساء وقتل الرجال الكورد الإيزيديين، إلى جانب نهب الممتلكات وحرق البيوت والمزارع استعادة للعقوبة الجماعية القديمة، وترددها في مراحل تاريخية مختلفة: دينية وغيرها، كما لو أن الأرض بما عليها ملوَّثة، بله ومدنسة ويجب تطهيرها، وهذا يعرض كل المتعلق بمفهوم القانون الدولي ودور الأمم المتحدة وعصبتها..الخ، ليس للخطر فحسب، وإنما لمساءلة جدوى استمرارها.

هذا يصلنا بأميركا مجدداً، وموقعها الاستقطابي، إذ إن الذي يجب التذكير به، هو ما يمكن أن يصدم البعض أو الكثيرين من المهتمين بالسياسة الدولية وتاريخ الدبلوماسية في العالم وتوضع القوى، إذ في ضوء الجاري هو

أن أغلبية دول المنطقة: الشرق الأوسط: العربية وتركيا، والجوار الإيراني ضمناً، لما تزل خاضعة لآلية سلطة "**سايكس– بيكو**" بصورة ما، فالمنطقة التي قسّمت من خلال فرنسا– بريطانيا، كوجهين استعماريين، والحدود التي رسِمت وسمّيت بموجب الاتفاقية ما تزال قائمة، ويعني ذلك أنها محكومة بعلامتها الفارقة أو سريان فعلها الرمزي أوربياً، وكوردستان "الضمير المستتر" أو "المضمر" مؤثّر ولو دون تسمية في عملية اقتسامها إقليمياً، لنصل إلى مستوى آخر مما هو سلطوي أو استقطابي، وهو أن أوربا المدَينة لأميركا عبر مشروع "مارشال" وجبروتها على خلفية الحرب العالمية الثانية المنتهية، لما تزل تحتفظ بهذه المأثرة الأميركية "بجميلها"، أي ثمة تبعية معينة لها، ولهذا، أظن أنه ليس مبالغة إذا قلت: **إن رنين الجرس الأميركي بخصوص أي قضية، سرعان ما يتردد صداه في السماء الأوربية** في الحال، قبل غيرها.

ذلك ما يطرح مفهوم السيادة في مواجهة الإرهاب بتراتبية معينة: من جهة قوتها وسلطتها وحجم المصلحة العائد إليها: أميركيا، كونها تنطق الأميركية، وتالياً، تأتي السيادة بمفهومها الأوربي، وهي المجاورة للأولى في إدارة الأزمات أو التعامل معها، وثالثاً: السيادة المسماة سيادة تجاوزاً، لحظة النظر في خاصية قوتها على الأرض، حتى إن تحدثنا عن تركيا، إذ إنها ذات نسب عثمانلي إسلامي، وهي التي جزّئت أوربياً، هي التي انتصرت بتدبير أوربي على اليونان سنة ١٩٢١، وهي التي أصبحت عضوا في حلف الناتو لا حباً فيها، وإنما في موقع داعم لسلطة الناتو، أي لجملة المصالح الخاصة بسيادة الدول الكبرى: الاتحاد الأوربي، وأميركا في الصدارة، والصراع قائم هنا بجلاء، من خلال التغيير في موازين القوى، وكون تركيا تسعى لأن تكون نداً لدول الاتحاد، وربما ذات وزن على مقياسها مع أميركا، وهذا هو

المعبر السرّي والذي بات ينكشف أمره والذي من شأنه أن يمهّد لسطوع النجم الكوردي ومن الإقليم بالذات.

ولعل ذلك يصلنا بمفهوم "الدبلوماسية" وتعدد دلالاتها، وإن شئت فبنيتها الفعلية، باعتبارها تتبادل الأدوار كثيراً مع السياسة.

الدبلوماسية مصطلحاً يونانية الأصل، وتعني "الوثيقة المطوية" نسبة إلى الاسم اليوناني القديم diploma، وإثر الانتقال إلى اللاتينية كان هناك معنيان لهذا المصطلح: معنى الشهادة أو الوثيقة التي يتبادلها الملوك في علاقاتهم الدبلوماسية، وتمنح حاملها امتيازاً، ولزوم حسن استقباله، ولتصبح كلمة diploma الفرنسية بمعنى الشهادة العالية للدارس. والمعنى الثاني، يخص الرومان، وهو يشير إلى طباع المبعوث الدبلوماسية، ومقتضى الصفة هذه، من أدب ومودة مصطنعة، ومن هناك كان المعنى الروماني للمفردة يشير إلى الرجل المنافق ذي الوجهين، وفي الفرنسية جاءت depliorae، لتعني المخادع، وحتى أنه في اللغة الاسبانية جاءت كلمة "سفير" اشتقاقاً من التعبير الكنسي dilomacy، بمعنى المخادع، ولاحقاً يمكن تعريف الدبلوماسية بأنها (علم وفن تمثيل مواقف الأشخاص القانونية الدولية في علاقاتها الخارجية عبر أجهزة مخصصة يُطلق عليها "البعثات الدائمة أو المؤقتة")[1].

---

[1] ينظَر حول ذلك كتاب: الدبلوماسية بين النظرية والتطبيق، للدكتور حسين الفتلاوي، دار الثقافة، عمّان، ط١، ٢٠٠٥، صص ٩٠-٩٢.

وكذلك كتاب د. ثامر كامل محمد: الدبلوماسية المعاصرة واستراتيجية إدارة المفاوضات، عمّان، ط١، ٢٠٠٠، الفصل الأول، صص١٩-٥٥، إنما في سياق آخر ينتفي فيه معنى" الخداع " وما يرادفه .

إن ما تقدم يقرّبنا من محتوى موضوعنا، كما أعتقد، لأن السياسة التي هي بمثابة النخاع الشوكي في الجسد، هي التي تسمّي العلاقات بين الدول وعلى أعلى مستوى، أي بالنسبة للمواقع ونِسَب القوة التي تعطى لكل موقع، أو يتميّز به دون تثبيتها جرّاء المستجدات.

والسياسة في أكثر تعاريفها وأشهرها تداولاً، هي أنها "فن الممكن"، أي ما يمكن القيام به، ولكن ذلك على مستوى المرئي أو الظاهري كونها مركّبة، فثمة دائماً ما يظل خفياً، ويصدم هذا الطرف أو ذاك، ولا غرابة حين نسمع من يقول بأنها تعني "فن الكذب"، وهو التعريف الأشهر على صعيد التأثير النفسي وفي التجربة اليومية، وثمة من يستخدم مفردة "فن الحيلة، أو المراوغة" من باب التلطيف لها، سوى أن ذلك لا يقصي المعنى الشائع والشعبي بأكثر من معنى، أي من جهة الأقنعة التي يضعها السياسي على وجهه، بقدر ما تكون الوثيقة المطوية كمصطلح، إشهارية، أي تفصح عن هذا المجنب: إذ ماذا تعني أن تكون الوثيقة مطوية؟ علام تنطوي يا تُرى هنا ؟

ثمة مفاجآت في الموضوع، ولعل التنوع الهائل في المواقف والتصورات والتحليلات أو ردود الأفعال التي تتعرض لمفهوم "الإرهاب" نفسه، وفي الوضع الراهن، مصدره هذا التحول الكبير في مسار المستجدات العالمية، أو مسيرة مواقع القوى العالمية، جرّاء هذا الزلزال العالمي الداعشي العلامة، قبل كل شيء، وما يرتبط به أو ما يغذّيه سراً وعلناً، فلكل منها ما يدعم بقاءه، وفيها ما ينسف وجوده.

وقبل أن أتوقف عند إقليم كوردستان مثار البحث أساساً، أجدني مشدوداً إلى توضيح موقفين أو أكثر بصدد العلاقة بين السياسة والحرب، أو

بالعكس، وكلتاهما على صلة بالأخرى، ولمتغيرات مفهوم الإرهاب دور الخميرة في هذا التحول الانعطافي:

ما كان يشدد عليه كلوزفيتز، وقبل ستين عاماً، في كتابه "عن الحرب" من أن (السياسة ما هي إلا استمرار للحرب بوسائل أخرى)، فنجد بعد أربعين سنة من يجد قلب مأثوره تصويباً يتجاوب ومتحولات العصر، أي (الحرب ما هي إلا استمرار للسياسة بوسائل أخرى)، والقائل هنا هو الفرنسي ميشيل فوكو، الذي يعتبر السلطة في ذاتها، قبل كل شيء، حصيلة قوة، وهذه تعرَف من خلال خوض المعركة والحرب، ولتكون السلطة حرباً تالياً (هي الحرب بوسائل أخرى)، عكساً لمأثور كلوزفيتز، لأن لها (علاقة بالقوة في لحظة زمنية وتاريخية محددة، هذه العلاقة قائمة على الحرب وبالحرب.)، و يرى أنه في قلب مأثوره ثانياً، داخل المسمى بـ"السلْم المدني": توجد الصراعات السياسية والمواجهات في السلطة وخارج السلطة ومن أجل السلطة وتحولات في علاقات القوة، لا يمكن تأويله إلا باستمرار الحرب..، لهذا لا نكتب إطلاقاً إلا تاريخ هذه الحرب حتى في حال كتابتنا لتاريخ السلْم ومؤسساته، ويعني القلب شيئاً ثالثاً هو إن القرار النهائي لا يأتي إلا من الحرب،بمعنى أن آخر معركة، وفي نهاية المطاف، ممارسة السلطة بوصفها حرباً مستمرة.[1].

واللافت، وبعد مقاربة نقدية وأركيولوجية، على طريقته، يُظهِر فوكو، كما يعتقد، أن كلوزفيتز هو الذي عكس الأطروحة أصلاً "السياسة هي الحرب المستمرة بوسائل أخرى"، كان مبدأ سابقاً على كلوزفيتز الذي قام

---

[1] ينظَر بتوسع، ميشيل فوكو: يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة وتقديم وتعليق: د. الزواوي بغوره، دار الطليعة، بيروت،ط١، ٢٠٠٣، صص٤٣– ٤٦ .

بعكس الأطروحة التي كانت ذائعة ومنتشرة منذ القرن السابع عشر– الثامن عشر)[1].

تكون الحرب هي الفاعلة والمقرّرة لمصائر الشعوب والدول والأنظمة...الخ، وربما قابلة التاريخ جرياً على متخيَّل فوكو ومقاربته لبنية القانون واقعاً، كما لو أنها القانون هذا، وفي موقع السلطة التنفيذية للسياسة في أكثر تجلياتها قوة ومجابهة مع الخارج أو اختلال توازن القوى، والحرب تذكّر بالقانون، كما لو أن القانون وليد الحرب ورضيع القوة في الأوج، وبتعبير فوكو (فلقد ولد القانون من الدم ووحل المعارك)، ولاحقاً بصدد مولد القانون أكثر (وإنما يولد القانون في خضم المعارك الواقعية والحقيقية، إنه يولد من الانتصارات والمجازر، ومن الغزوات التي لها تاريخها وأبطالها المرعبون، يولد القانون من المدن المدمرة والأراضي المحترقة، يولد مع الأبرياء المشهورين الذين يحتضرون عندما يطلع النهار..)[2].

أما الموقف الآخر، فيخص فرنسياً آخر ومن أصل بلغاري وهو المفكر تزفيتان تودوروف، حيث اشتغل في الآونة الأخيرة على القضايا الثقافية ومصير المجتمعات البشرية ومشاكل التواصل الاجتماعي والسياسي والتحديات المشتركة، حيث يشدّد على صواب فكرة كلوزفيتز بالكامل (لا شك أنه يمكننا القبول بأن الحرب هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى، طالما أن الأمر يتعلق دائماً بالدفاع عن المصلحة الوطنية. لكن العكس ليس صحيحاً على الإطلاق. فالسياسة ليست قناعاً تلبسه الحرب. "الوسائل

---

[1] المصدر نفسه، ص ٦٩ .

[2] المصدر نفسه، ص ٧١، وكذلك، ص١٧٢..الخ.

الأخرى" تدل على نهاية السياسي: الحرب هي اعتراف بالفشل ومؤشر بأن كل الطرق السياسية قد استنفدت...)[1].

ربما كان هذا الاختلاف عائداً إلى الفترة الزمنية التي عاش فيها كل منهما، دون نسيان قانون الاختلاف بينهما، لأن فوكو توفي قبل ثلث قرن تقريباً، بينما تودورف، فلا زال حياً يُرزق، وكتابه مسور على خلفية أحداث سبتمبر وغيرها من الأحداث العاصفية: السياسية والبيئية وغيرها، ولكل منهما رؤيته!

لعل كلوزفيتز عاش أهوال الحرب وشعر أن خطرها كامن وقيد الانفجار في أي لحظة، بحيث تكون السياسة بمثابة "فرصة تنفيس" أو "استراحة في المكان" والسلاح بيد بصورة ما أو بأخرى، بينما رأى فوكو الذي يعتمد قراءة ابستمولوجية خاصة به: أركيولوجية، تقوم على الفصل بين مرحلة وأخرى، جهة الفصل بين الذهنيات وطرق التفكر ومعالجة الوقائع بسبب الأحداث العاصفة في العالم، كما هو التاريخ بالذات، ومن خلال الثورات العلمية، لتكون السياسة بتحولاتها وعنف مأثورها وكأن ممثليها محاربون داخلاً وخارجاً، وأنهم في كل ما يقومون به إنما يسعون إلى تأجيل الحرب، دون أن يكفوا عن التفكير فيها، بما أن السلطة تجمع بين الاثنتين، بينما تودوروف القريب بمسافة معينة من فوكو، فيرى ما هو مغاير، مستعيداً الأول، حيث باتت السياسة شاهد عيان على بؤس ممثلها، بقدر ما تكون إشهاراً بخواء المعنى، في ضمن المخاطر التي تتهدد العالم وتجتاح حدود الدول.

---

[1] تودوروف، تزفيتان: في مصدره المذكور،ص ٦٥ .

ولعلي أجد في الموقفين "وراهناً" ما يبقيهما معاً: فالسياسي، وبوصفه دبلوماسياً، يسعى جاهداً إلى طمأنة الآخر وتهدئة مشاعره، بغية الاستقرار ما أمكن، سوى أن صورة الحرب لا تفارق خياله، بقدر ما يشعر أنه يعيش جاهزية كاملة للانخراط في الحرب، وينحّي السياسة جانباً، إنما يؤاسي نفسه، بقدر ما يستخدم وسائل شتى سياسية لتجنب الحرب نظراً لويلاتها، وعلى سبيل المثال، كأوضح ترجمة وأكثرها دقة، تبعاً لما هو ملحوظ، في كوباني التي تُعتبَر الآن رمزاً بطولياً كوردياً، وصيت عالمي، لا تعدو أن تكون في الجانب الآخر مجرد طُعْم بالنسبة لأميركا أكثر من غيرها، وهي تكون دولة محارِبة من "فوق" وصاحبة سياسة على الأرض عبر إدارة علاقات مختلفة، جامعة بين حركة الذئب المهاجم ومراوغة الثعلب، حيث الإرهاب الذي أكسِب بعداً عالمياً يتجاوب مع توجهات الدبلوماسية الأميركية أساساً، والكورد في خضم اللعبة.

الحرب هذه التي تكون دائماً على طريقة "واحد باليد" بالمفهوم الحسابي، يتردد صداها في مناخ الإرهاب، كون الإرهاب حرباً، إنما دون رسم الحدود الفاصلة، ورؤية مصدره بدقة، فيصل إلى حد الرعب أحياناً في تصعيده كما هو راهناً، لأن الحرب ذاتها حروب، فثمة حرب انفجارية بركانية وأخرى زلزالية..الخ.

نعم، (الإرهاب هو أداة استراتيجية تضع بعض الدول تحت التهديد. والهدف ليس الانتصار بالمعنى المصطلح عليه أو الغزو، وإنما دفع هذه الدول إلى انتهاج سياسة مختلفة عن تلك التي كانت تتبعها.)، وهو نفسه التعريف الذي يقرّبنا من تعريف الاتفاقية العربية لمقاومة الإرهاب:، وذلك في ٢٢ نيسان ١٩٩٨ (كل عمل عنيف، أو تهديد باستخدام العنف أيا كانت

بواعث وأهداف الذي يرتكب، فردياً أو جماعياً، مشروعاً إجرامياً هادفاً إلى زرع الرعب بين السكان ومعرضاً حياتهم، وحريتهم وأمنهم إلى الخطر، أو التسبب في خسائر للبيئة والأبنية التحتية والممتلكات العامة والخاصة، أو احتلالها والاستيلاء عليها أو تعرض أحد المصادر القومية للخطر.)[1]..

الإرهاب يهدد ويتوعد، وهو لا يكون تجريداً، إنما يوغل في التشعب والتجذر على قدر نفاذ فعله، فيمس كل دولة ذات سيادة، وضمناً حيوات الأشخاص وعلاقاتهم وما ينتظمها سياسياً، كما لو أن الإرهاب جائحة، تطوّح بالتاريخ والذاكرة الجمعية معاً، وتعيدهم إلى وضعية بدائية للناس في مواجهة بعضهم بعضاً، حيث تندفع كل سلطة إلى الظهور وكأنها بريئة من كل لوثة إرهاب، وهي المستهدفة، تبعاً لنفوذها الاجتماعي والسياسي،

---

(1) باسكال بونيفاس: الحرب العالمية الرابعة؟ ترجمة وتقديم: أحمد الشيخ، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٠٠-١٠٢، ولعلي، حين أعيد التركيز على الإرهاب كتعريف مجدداً، إنما أصله بما تقدَّم، وفي سياق الفكرة موضوع البحث هنا بالذات، لتضاف من ناحية إلى ما سبق، ومن ناحية ثانية، إثراء للفكرة المتعلقة بمفهوم الإرهاب الغاية في التركيب.

يُنظر أيضاً، للتوسع أكثر هنا: د. نبيل لوقا بباوي، في كتابه: الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البباوي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٥٧.

وما يلفت النظر، وجرّاء زلزال التعريف وأصدائه، فقد جاء هذا الكتاب ذا بعد دعائي للغاية، حيث حمل على غلافه الخارجي: التالي"وافق عليه الأزهر الشريف وأوصى بترجمته إلى كل لغات العالم وقرّر في تقريره أن هذا الكتاب سيسجل في صحائف التاريخ التي تخلد العظماء من الكتاب المؤرخين"، وفي الأسفل "هذا الكتاب أحد أسباب ترشيح مجمع البحوث الإسلامية للمؤلف لجائزة الدولة التقديرية"، ثم لاحقاً: قدم له ثمانية من المعنيين بالشأن الثقافي والديني والسياسي في مصر..وهذه سابقة، لا بد أنها تزجم مأزق الظاهرة، ورد الفعل على ما يجري باسم الإسلام، وما يحفّز " أولي أمره " به، لأن يخرجوا كتاباً كهذا، وبالطريقة هذه .

حرصاً على سيادتها باعتبارها ركيزتها في فرض هيبتها وسريان فعل قانونها ونقاء صورتها.

ذلك يشكّل تحدياً قانونياً وعملياً للسيادة، وخصوصاً بالنسبة للدول التي تعتبر نفسها محمية ضده، ولكي نكون أكثر استيعاباً للعلاقة بينهما، وموقع المصلحة في صلب العلاقة، لا بد من التعرف إلى السيادة أكثر. ما هي السيادة هذه التي نسمع بها هنا وهناك ؟

(السيادة مصطلح يشير إلى القدرة القانونية على سكان معينين وأرض معينة..)، ثم (و سيادة الدولة تنشأ في تفاعلاتها مع الدول الأخرى، والجهات القوية التي ليست بدول.. واليوم تبدو سيادة كثير من الدول مهددة بالعولمة، وبالتأثير العالمي للولايات المتحدة، واليابان، والتأثير الإقليمي للقوى الأصغر، وبسلطة الاتحاد الأوروبي على الدول الأعضاء فيه...الخ.)[1].

لكن ثمة توضيحاً آخر لها، باعتبارها نظرية، ومن لدن ميشيل فوكو وهي تشمل دوائر ثلاث مترابطة (دائرة من الذات إلى الذات، دائرة من السلطة إلى السلطات، دائرة من الشرعية إلى القانون.)، بمعنى متمم وموضح (هناك إذن ثلاثية أولية (تلك المتعلقة بالذات الخاضعة، وتلك المتعلقة بالسلطة المؤسسة، وتلك المتعلقة بالشرعية الواجب احترامها، أي الذات ووحدة السلطة والقانون..)، حيث نجد غالباً بروز فرويد في الأولى، ماركس في الثانية، نيتشه في الثالثة، سوى أن خلطة ثقافية تجمعهم معاً، وبقوة ضاغطة كبرى.

---

[1] ينظَر كتاب، مفاتيح اصطلاحية جديدة "معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع"، لطوني بينيت وآخرين، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٤٠٨-٤١١.

ويرى فوكو من خلال تتبعه للسيادة تاريخياُ (إن التاريخ حتى وبشكل متأخر في مجتمعاتنا، كان تاريخ السيادة، يمتد وينتشر في بعد ووظيفة السيادة..)، إنما لمن تكون السيادة؟ (إنها تسلّم بأن تاريخ الأقوياء يتعدى على تاريخ الضعفاء)[1].

---

[1] فوكو، ميشيل: في مصدره المذكور، ص٦٦-٨٧-٨٨.

وربما يظهر هذا الجنوح في القوة وباسم السيادة إلى حد، ليس إلغاء الآخر بتنحيته جانباً، إنما محوه عند اللزوم، أو حيازته وتغييب نوعه تحديداً، كما في فعل العنصرية، كما يقول، بعد متابعة (إذن، العنصرية مرتبطة بعمل الدولة التي تكون مجبرة على استخدام العرق، والقضاء على الأوراق وتطهيرها، من أجل أن تمارس سلطتها بسيادة .ص ٢٤٨)، ولا بد أن الإرهاب يجد منافذ له من خلال هذه التوترات، أي بقدر ما تلجأ السلطة في دولة النظام الشمولي على طريقة ترشيد الطاقة عبر ترشيد للعنف ما أمكن، وانفجاره جرّاء التضخم في خزّان المكبوت السياسي، يلجأ الإرهاب إلى التسلل إلى الداخل، أو يغوي من هو مهيأ لذلك، بتعديه لكل الحدود، مثال ذلك، وبتاريخ ٢٦ تشرين الأول، انتقد نوري المالكي عملية إرسال البيشمركة إلى كوباني بزعم عدم أخذ الموافقة من المركز كما ينص الدستور، والتذكير، بأنه كان على البيشمركة الإسراع إلى الدفاع عن الموصل عندما تعرضت للغزو الداعشي "طبعاً في١٠ حزيران ٢٠١٤"، ويندرج موقفه هذا في نطاق"عملية حق يُراد بها باطل"، لأن قوات المالكي، وبتدبير من المالكي نفسه، تخلت عن مواقعها وسلاحها لداعش ومن مع داعش وعملية استقدامه، كما لو أن حماية العراق في المجمل مسئولية الإقليم الكوردي حصراً، وهذا الإجراء ترجمة لخاصية السيادة في انقسامها وشراستها بنيّة البقاء.

إن ذلك يذكّر بما قام به ادوارد سعيد، في الربط بين المعرفة والقوة: السلطة، والإنشاء، في "الاستشراق"، متأثراً به، ولكنه برز متأثراً به بالمقابل في كتابه "تغطية الإسلام" ترجمة: د. محمد عناني، دار رؤية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥،كما في قوله (إن كل كلام عن الإسلام يسعى لتحقيق درجة ما من السلطة أو القوة. ولكنني، من ناحية أخرى، لا أقصد أن أقول إن جميع الدراسات أو الكتابات عن الإسلام لا نفع لها، فالعكس هو الصحيح، وهي أقرب قطعاً إلى النفع بما تميط عنه اللثام باعتبارها دليلاً يشير إلى "المصلحة" التي تسعى لتحقيقها. ص٤١ .)، أي تكون المصلحة هي المحك في بنية السيادة وصلتها بالسلطة والقانون، مع فارق أن ادوارد يسعى جاهداً إلى نوع من الانتقام الضمني من "غربه" تأكيد انتماء إلى "شرقه" .

ولعل قراءة فوكو، رغم أنها الأقدم، سوى أنها في بعدها الثقافي والسبْري لبنية السلطة وعلاقتها بالسيادة، وهذه بالأشخاص والقانون وأنماط تطور مجتمعات كثيرة من حوله وفي التاريخ، تجعله أكثر قرباً مما نحن عليه، وهذا ما يمكن تلمسه فيما ذهب إليه باحث فرنسي آخر، مختص بالقانون، وفي كتاب ذي دلالة، هو "الإنسان القانوني"، بقوله (لقد كتِب على "البعد الاجتماعي للعولمة"، أن يظل شعاراً ما دامت التدابير المؤسسة المعدة لذلك لا تسمح مستقبلاً لدول الجنوب بأن تعترض على دول الشمال باعتماد تأويلها الخاص للحقوق الأساسية..)، أي يكون المطلوب من قبله هو (تعميم التأويل بالتشارك حول القيم)[1].

هذا من شأنه في النطاق الأوسع وغير الممكن تحديده تغيير زاوية النظر، بما أن المستجد فائق الوصف، من خلال علامته الفارقة على المستوى العالمي، وتحديداً، بالنسبة لما هو ديني، أي الإسلام السياسي، وما يرتبط به في هذا المنحى"الإرهابي"، حيث بتنا نعيش حقاً "زمنية الإسلام السياسي الرابعة"، هي اللحظة الزمنية التي برز فيها الإرهاب بنوعية مجابهة للعالم أجمع وبعنف غير مسبوق[2].

---

(١) سوبيو، آلان: الإنسان القانوني، ترجمة: عادل بن نصر، مراجعة: جمال شحيّد، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت،ط١، ٢٠١٢، ص ٣٥٣-٣٥٦.

(٢) هذه الوصفة استخدمتُها قياساً إلى ما انطلق منه الباحث الفرنسي: فرانسوا بورغا، في كتابه الإسلام السياسي في زمن القاعدة: إعادة أسلمة، تحديث، راديكالية، ترجمة: د.سحر سعيد، دار قدمس، دمشق، ط١، ٢٠٠٦، حيث يؤرخ لحقب: زمنيات الإسلام السياسي:

(خلال زمنية الإسلام الأولى، عُبّئت مصادر الثقافة الدينية محلية المنشأ بالتدريج لتغذّي المقاومة السياسية لهيمنة المستعمر الغربي المباشرة. ص ٥١- تمتد الزمنية الثانية للإسلام السياسي من فترة الاستقلال حتى بداية التسعينيات. وهي==

لقد اختلط هنا، وفي إطار ما هو عولمي: الزمن الديني بالزمن العلمي، وضمناً: الرؤى الدينية بالرؤى العلمية، الحاكمية بالحُكمية، ولنقل السوبر ديني بالسوبر دنيوي في ضوء المتحصّل راهناً، بقدر ما أصبحت السيادة بمفهومها الدولي منقسمة على نفسها، وهي تسعى إلى الثبات في موقعها والتشديد على سلطتها، واستهداف كل من تعتبره باسم المعني بها، حيث يكون الموت، وحصاد الأجساد، وما في ذلك من بلبلة وتعريض بمفهوم الأمن العالمي للخطر، وحيث الكورد في الواجهة، سواء من خلال الإقليم وموقعه المفصَح عنه، أو نقاط التوتر الكوردية وتعرضها لأخطار جمة غير محسوبة بعد، كما لو أن الكورد وهم في وضعية ما دون "السوبر" أسباب تاريخية، تنتظر مرحلة توسطية على الأقل للارتقاء بموقعهم، أو في انتظار قوة داعم سيادية مرهوبة الجانب تنتقل بهم، كما هي الطفرة، إلى ما هو مأمول سيادياً في معترَفه الدولي:

إذ كان المعتبَر: المعسكر الاشتراكي حتى الأمس القريب يحمل علامة فارقة "إلحادية" وفي مواجهة الغرب، وهو يحمل بصمة إيمانية "مسيحية"، وبعد انهياره، وتفكك الاتحاد السوفيتي، صار الغرب معسكراً قائماً بذاته، متهماً بالكفر ومشكّل الخطر على الإسلام، كما هي قنوات الدعاية

== زمنية تأكيد الأنموذج السياسي للنخب المحلية التي وصلت للسلطة. وهي أيضاً زمنية المعارضة الناشئة لهذه النخب.ص٥٦- تبدأ زمنية الإسلام السياسي الثالثة، التي تم خلالها تبلور نفوذ القاعدة، في بداية التسعينيات. وهي ترسخ نوعاً من النقلة في المشهد العالمي، أو بالأحرى "عودة" إلى الدولي، لحركات الكفاح المعارضة في الوطن العربي. في نظر جيل سياسي، أصبحت القوى الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة التي فرضت نفسها، ثانية وبالتدريج، الخصم الأساس الذي كانته خلال الحقبة الاستعمارية.ص٥٩).

بالنسبة للإسلام السياسي في مده الأصولي، ليكون الكورد موزعين بين جملة خطوط ونهباً لها.

كان الاتحاد السوفيتي ذات يوم، يفصل بين العالم الإسلامي والعربي بتوجهه الإسلامي طبعاً غالباً، والغرب، وهو هدف الجهتين، بقدر ما كانت تركيا معتمدة سياسة الحزم، كما هو الدرس الغربي في إحداثية قوتها، بدءاً من ١٩٢٣، بالتناظر مع بدء صعود نجم ستالين في الاتحاد السوفيتي، لتكون تركيا هذه رهان الغرب في المنطقة إلى جانب اسرائيل المتشكلة حديثاً، وفي الوقت نفسه، لتكون بميسم آخر، هو وجهها الإسلامي السنّي المقبول في مواجهة التشيع الفارسي "وهذا التقابل يتكرر في النص"، وربما في مواجهة الاتحاد السوفيتي، وقبول الغرب، رغم أنها سعت إلى أن تكون غربية، ولكنها لم تخف تلك العلمانية التي تقرّبها من الاتحاد السوفيتي كذلك، بقدر ما سعت إلى كسب ود العالم الإسلامي من خلال موقعها الاستراتيجي، لتكون أكثر قدرة على إبراز عثمانليتها في المتن، وتحمي نفسها من التفكك وتحديداً في مواجهة الكورد.

ولعل الكورد كانوا على مر تاريخهم، حتى وهم في أوج قوتهم ضحايا الآخرين، في المجمل"[1]، سواء من خلالهم، عبر متّكأ ديني: إسلامي، أو

---

[1] يُنظر حول ذلك، كتاب بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة وتقديم وتعليق:د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ١٤٨.

أقول ذلك، منوهاً إلى لزوم عدم محاولة إعلام الآخرين دائماً، على أنهم "أي الكورد" كانوا ولا زالوا الضحايا الأكثر طلباً عليهم، لأن ذلك من شأنه عكْس الصورة وإثارة رد فعل تدع الضحية الواحدة ذاتها في خانة المساءلة، بقدر ما تعفي الكوردي من أي نوع من أنواع المسئولية حيث إن السيادة تنتمي إلى الذات والحفاظ على الذات بوعيها أساساً، وأنا أحيل مجدداً إلى ما قاله البلغاري تودوروف حول هذا النقطة، وكان تودوروف نفسه مضطهداً في خروجه من بلغاريا، كما لو أنه عنى من يعرّف البلغار هكذا.

لعنف الضغوط عليهم المتعدد المصادر، وكونهم ضحايا نياتهم وهم مع الآخرين، أيام احتلال المنطقة من قبل الاستعمار كثيراً، ليكونوا ضحايا مصالح الجميع.

الكورد لم ينعموا بسيادة معينة، لأن موقعهم جرى تفتيته وتشتيت قواهم، وما هم عليه، أكثر استشرافاً لمخاطر لا تحصى وتوصف بدقة:

هذا التصعيد في الموقف بين عالمين بات على أشده راهناً، عالم ديني المقام "الإسلام"، رغم أن هذا الفصل غير دقيق، لوجود انقسام متفاوت من جهة إلى أخرى حتى في هذا العالم، بين من بات يميل إلى الإسلام باعتباره الحل الأمثل وهو في تشدده، ومن بات يتخوف منه ويسعى جاهداً إلى تجنب الاحتكاك به، وفي الجانب الآخر إلى الحذر منه، وثمة من يستمر في الضرب بين هذا وذاك، رغم أن مسار المجابهة يستمر تدريجياً صوب الانقسام الحدّي، أو منطق إما – أو، وعالم آخر، هو الغرب، وأميركا امتداد له، رغم وجود نسبة معلومة، وبتفاوت أيضاً من المسلمين في الدول التي تنتمي إليه، وفي الوقت ذاته، حضور أعداد ممن انخرطوا في لعبة التنظيم الإرهابي !

دول مختلفة تناور داخلاً كما تناور خارجاً، بالنسبة للعالم الإسلاميّ الطابع، لتذهب فكرة السيادة في مسار التحدي للذات على مستوى السلطة، تبعاً لنوعية النظام القائم، أساليب تعامله مع الخارج، والمفارقات القائمة أيضاً، كما في انضمام كل من السعودية والإمارات وقطر والبحرين إلى دول التحالف ضد الإرهاب، والفارق القائم بين دولة وأخرى "دول الخليج"، ونجد مثلاً، كيف أن دولة تتعرض لضغوط من قبل داعش أو التنظيمات الإسلامية الراديكالية بالذات، هي الأردن، تضم نسبة كبيرة من

أفراد النظام العراقي السابق، وحتى معارضي النظام الحالي، إلى جانب وجود مجموعة كبيرة من النازحين السوريين على أراضيه.

ولتركيا مجدداً مجموعة من المحاولات التي لا تتوقف في كيفية استخدام كل السبل أو طرق الالتفاف المكيافيلية لامتصاص صدمة الداخل من ناحية، وفي الحد من تنامي المد القومي الكوردي حتى في مدنها الكبرى، من ناحية أخرى، وعدم تشويه صورتها لدى دول التحالف من الأوربيين وأميركا، وتحديداً في حلف "الناتو" من ناحية ثالثة، وفق تصور معين يستجيب لتأريخ سيادي قديم تريد الحرص عليه.

هذا الانقسام الفالقي في المفهوم السيادي خلط الأوراق ما بعضها بعضاً، في مجابهة الحاكمية والحكَم، أي بين التلويح بالراية الإسلامية التي لا تعلوها راية أخرى وفق علامة مشدَّد عليها: حاكمية الطابع، واعتبارها هي حقيقة "الشورى"، والدفاع عن الديمقراطية بمفهومها الغربي، وكأننا بالطريقة هذه صراعاً مصيرياً اعتماداً على منطق "الغالب والمغلوب".

من المؤكد أن ثمة من ينبري في الدفاع عما هو إسلامي، وينخرط تدريجياً في الجهادية إلى درجة نسيان أنه في مجتمع محكوم بالحداثة شاء أم أبى، لأن كل ما هو في متناوله يصله بالحداثة هذه في التقنيات الحديثة والعلاقات بين الدول، وحتى في إبراز التأييد لداعش بالذات من خلال الميديا "وسائل الإعلام التلفزيونية والصحفية"، استجابة للسلطة القائمة، وكون الكورد في الواجهة، ولينبري العالم الآخر في صراع ذاتي في الداخل بالنسبة لانقسام اجتماعي وثقافي واعتقادي، داخله، ولو أنه لا يُعتد به بحساباتنا "الشرقية"، ولكنه بالنسبة إليه غاية في الخطورة، بما للفرد من قيمة اعتبارية لديه، وكون السيادة تنطلق من الفرد في مجتمعه الليبرالي "التذكير بعدة مئات من

الملتحقين بداعش في السويد وفي ألمانيا وضعف ذلك في فرنسا وبرطانيا، مثلاً فاعل في تغيير موازين القوى داخلاً"، لأن مشاهد قطع الرؤوس للأجانب تحد غير مسبوق، وإنذار يحفّز على إعلان الجاهزية الكاملة على مستوى المجتمع ومن باب استباقي كذلك، ولتبرز دولة، هي تركيا، وحرصاً على سلطتها الأتاتوركية في اللعب على المفارقات حتى اللحظة، ولا يُخفى هنا ما للصراع القائم بين كلا العالمين، وداخل العالم الواحد، جرّاء هذا التحول الانعطافي في مفهوم السيادة بالذات، بسبب الإرهاب الفائق وأبعاده.

نعم، بالنسبة للبلاد العربية، ومن خلال هذا الانقسام اللافت في الإرهاب والحرب على الإرهاب نجد (أن مبدأ الحرب على الإرهاب الذي دفعت إليه السلطات العربية بعد ١١ سبتمبر دفعاً، هو مبدأ بسيط ومطاطي ويمكن تطبيقه على كل وضع مناهض لتلك السلطات، بل ويمكن خلع وتلبيس صفة الإرهابي بحسب ما تمليه المصالح.)[١]، لكن ذلك يعطي دفعاً للتنظيمات الجهادية، أو تلك التي تشدّد على تيمة "الجهاد" إسلامياً، تكون الساحة مفتوحة أمامها أكثر، من خلال التحديات التي تواجهها على مستوى أنظمتها، وهي التي تلوّح بخاصية السيادة والفراغ الذي يحيط بها جرّاء أزمات مستعصية، تحثها على التحصن بما هو ديني، كما في زيادة نسبة البرامج الدينية وحتى المسلسلات التي تمثل سباقاً في هذا المنحى إلى جانب الترويج لثقافة مأخوذة بغواية الأسلمة والمظاهر المرافقة، وهي في مجموعها

---

[١] سعيد، الصافي: خريف العرب "الحرب الدامية بين العروبة والإسلام": البئر والصومعة والجنرال، دار بيسان، بيروت، ط١، ط١، ٢٠٠٥، ص٤٤٦.

تكون لصالح الحركات والتنظيمات الإسلامية الأكثر أصولية أو تطرفاً أو عنفاً، واستثمارها للتراثي"[1].

والتباري لا يتوقف عند حدود المناظرة أو محاولة مساءلة مفهوم السيادة لدى كل طرف من قبل الآخر، وإنما عبر مساع قائمة في العالم المعتبَر إسلامياً إلى التنديد بمركزية الآخر "الغربي"، وطغيان مفهوم السيادة فيه باعتباره لسان حال السيطرة الامبريالية المعولم، وطرح مفهوم الشورى في

---

[1] يُنظر حول ذلك، البرت حوراني، في: البرت حوراني: الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلية– نوفل، بيروت، ١٩٩٤ .، ص١٧، والمؤثر هنا هو قوله (ليس هناك عمل مرجعي حيادي تماماً. ص٢٠٥.)، وهو يذكّرنا بقول لالتوسير بعدم وجود نص بريء،، وادوارد سعيد، في: تغطية الإسلام، المصدر المذكور، فقرة "الإسلام والغرب" بشكل لافت، صص٦٨–١١٧، وخلاصة كتابه "المعرفة والتفسير" ص٣١٩ وما بعد، ود. توفيق محمد الشاوي، في: مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي١٩٤٥–١٩٩٥، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص٤٥١، ودليب هيرو، في: الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمال، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣، وفرنسوا بورجا، في: الإسلام السياسي "صوت الجنوب": قراءة للحركة الإسلامية في شمال أفريقيا، ترجمة: د. لورين فوزي ذكري، مراجعة وتقديم نصر حامد أبو زيد، دار العالم الثالث، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١، ص ١٩، وبرتران بادي، في: الدولتان "الدولة والمجتمع في الغرب وفي دار الإسلام"، ترجمة: نخلة فريفر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ف٨، ص٢٥٩، وما بعد، د. سعيد اللاوندي: الإسلاموفوبيا "لماذا يخاف الغرب من الإسلام؟"، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،٢٠٠٦.ص٢٠٥، و..الخ، ولعل من المفيد حول ما تقدم أيضاً، الرجوع إلى كتاب محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني "كيف نفهم الإسلام اليوم ؟"، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠، ص١٨، وصلة قوله هنا بمستجدات الراهن.. الخ.

الساحة الصراعية الساخنة بوصفها أكثر حمولة بالقيم مقارنة بالديمقراطية، أو أكثر أهلية منها[1].

فرق شاسع واسع بين النظر إلى السيادة باعتبارها مدنية ومعيَّنة بآصرة الديمقراطية، مهما قيل حولها وفيها من كلام مختلَف عليه، وما يصلنا بالشورى، وما يبقينا في نطاق التاريخ الإسلامي وأدبياته السياسية الكبرى على مستويات مختلفة، حيث الدين علامة فارقة له[2].

---

(1) ينظَر حول ذلك: الحركات الإسلامية والديمقراطية "دراسة في الفكر والممارسة" مجموعة كتاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠١، ط١، ١٩٩٩، ص ٦١، حيث إن فهمي هويدي يجعل الشورى هي الأصل، وكذلك: د.حيدر ابراهيم علي: التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩٩، حيث يذكِّر بداريوس شايغان الذي يرى تناقضاً بينهما، ص ١٤٢، بينما ينحت حسن الترابي مفردة "مهجنة" منهما هي "الشوراقراطية"، ص ١٤٧، أما محمد حسين هيكل فيوافق بينهما ص ١٥٩، وأيضاً: د. حسن حنفي: من مانهاتن إلى بغداد، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤، وهو لافت بامتياز هنا، ومن قبل مفكر مصري مشهور، لكنه معروف بازدواجيته، حين يقول في ضوء هذه المتحولات وفي أعقاب ١١ سبتمبر٢٠٠١، ما يلي (الإسلام دين علماني في جوهره، يرفض سلطة رجال الدين، وخال من الكهنوت، ويقوم على العقل والحرية والعلم وحقوق الإنسان..ص ٤١٢ .)، أي يضفي على الشورى طابعاً من اللبرلة أو الديمقراطية، وهذه مصادرة على المطلوب تاريخياً..الخ.

(2) ينظَر مثلاً، ما يقوله قاضي القضاة "الماوردي: ت٤٥٠ هـ"، في: أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة المُلك، صححه حسن الهادي حسين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤، ص ٣، والشيزري "ت ٥٨٩ هـ"، في: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة علي عبدالله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٧، ص ٥٢٧، وابن تيمية "ت ٧٢٨ هـ"، في: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، وهو يفتي بجواز قطع الرأس بالسيف، وحتى التمثيل لوجه القصاص "ص ١٠٦"، وبناء عليه، لا تتردد التنظيمات الإسلامية الأكثر أصولية وممارسة إرهاب، كما في إقدام مبايعة==

لحظة الأخذ بهذه الميزة المفصلية في الحسبان، يتضح الفارق الكبير بين التوجه الإسلامي في الحياة وفي الرؤية إلى الكون والعالم الآخر أو العلاقات التي تقوم بين أفراد المجتمع وطبيعتها، والمشار إليه بالغرب، في نهاية المطاف، ولعل تموقع السياسي الإسلامي في نطاق الديني، منحه قدرة على الاستمرارية أكثر، من ناحية حيازة مشاعر من حوله باعتبارهم رعاياه، أعني باعتبار خاصية السيادة التي ترتد إليه تتجاوزه، وهو لا يعدو أن يكون خادماً "لنأخذ في الاعتبار هنا، مفهو: خادم الحرمين الشريفين، السابق على ولادة ملك السعودية الحالي ومن كان قبله"، وغير ذلك من الألقاب التي يراد من ورائها المضي قدماً في إحالة السلطة إليه، بحيث كان الباحث أو الكاتب الذي يفصح عن هذا المسار، داخلاً في شبكة من تلك العلاقات التي تخضعه للحاكم، وهذا من شأنه التنازل عن حق ما كان عليه التخلي عنه، هو الحق الذي يقرّبه مما هو دائر من حوله، وهو الذي جعل الطريق سالكاً أمام "غريمه/ خصمه" الغربي في أن يكون أكثر اطلاعاً على ذهنيته وملتحماً بالواقع، لا بل وقادراً أن يسمّي فيه ما هو غافل عنه جرّاء اندماجه مع محيطه بصورة مقلوبة، لصالح حاكم متحكم فيه، ولعل هادي العلوي

==الدكتورة إيمان البغالـ«داعش» وهي إبنة عالم شريعة سوريّ تركت عملها في جامعة الدمّام السعودية، كما ورد عنها في صحيفة "القدس العربي" بتاريخ ٢٤ تشرين الأول ٢٠١٤، وسواها، ولتحرّي تشابكات موضوع كهذا أيضاً، يُنظر في كتاب: د. فؤاد زكريا: الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة، دار الوفاء، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٦، كما في قوله (إن عملية الحكم عملية بشرية، أولاً وأخيراً، ومادام الذين يمارسونها بشراً فسوف يقحمون مشاعرهم وميولهم في أي نص يحكم بمقتضاه، حتى لو كان نصاً إلهياً.ص ١٣٠ ...الخ.

كان مصيباً في هذه النقطة بقوله (إن الخضوع لمبدأ القداسة في فهم تاريخنا قد أخلى الساحة للمؤرخين الغربيين كي يبحثوه على هواهم.)[1].

كل ذلك من شأنه إعمال هزّات في المنطقة في ضوء حرب المواقع العالمية، ومصدر الهزات المتتابعة والمتنقل يتمثل في هذا المسمى بالإرهاب في حلته الإسلامية المتشددة غير المسبوقة، أي ما يهيب بكل دولة وعلى مستوى عالمي أن تتنبه إلى الدور الجديد لها في هذا المنعطف التاريخي الحاد، وكيفية الحفاظ على مصالحها وهي المرتبط بسيادتها، أعني بما يثبت السيادة هذه.

ولعل إقليم كوردستان من خلال موقعه المستجد تماماً، معطى هذا الدور والذي يتراوح بين الحد الأقصى من استيعاب الدرس الدولي الجديد في كيفية محاربة الإرهاب في الحدود التي يجد نفسه فيها، والحد الأقصى من استثمار الهامش المتاح له لتأكيد موقعه الذي يكون على المحك، وما في ذلك من إمكانية القيام بمناورات، مهما بدت محدودة وملحوظة ضمن دائرة جغرافية ضيقة، مقارنة بالمساحة الجغراقبة المراقبة أرضياً والتحرك الفضائي وإظهار القوى العسكرية والرصد المعلوماتي من قبل دول التحالف "أميركا في الصدارة طبعاً"، سوى أن قابلية الإقليم لإبراز مرونة في التحرك والتفوق في المجابهة كما هو مرئي، ربما توسّع حدود تحركه، والأهم هو تعزيز مكانته حتى على مستوى عالمي، من خلال المخاوف التي يثيرها هذا الإرهاب ويتهدد عالماً بكامله، لعله بذلك يحسن تدبير نفسه من خلال وعيه لبنية هذا الدور ودلالة الموقع على قدر تصريف أعماله كقوة تطرح نفسها في ساحة

---

[1] هادي العلوي: خلاصات في السياسة والفكر السياسي في الإسلام، دار المدى،دمشق، ط٤، ٢٠٠٤ ،ص ١٥.

اللعبة الدولية، بقدر أكبر من الانفتاح على الخارج، وتمثل الواقعية الديناميكية، للحيلولة دون نفاذ فعل المؤثرات الدينية سلباً في مساره، عبر التأكيد على أن هذا الإرهاب له أرضية جغرافية وسياسية دنيوية بشكل غير مسبوق، ولا صلة لها بما هو دنيوي، والكرد مستهدَفون أكثر من غيرهم.

إن ما انطلق منه باحث هندي، وهو "سندريا فريتاج" يستحق التذكير به في هذا المضمار المفتوح، في العلاقة الواجبة بين ما هو ديني وما هو قومي (وأينما يأمرني الله.. فأنا مسلم أولاً، ومسلم ثانياً، ومسلم حتى النهاية. ولا شيء سوى أنني مسلم.. ولكن عندما يتعلق الأمر بالهند، وحتى تكون رفاهية الهند أمراها ما، فأنا هندي أولاً، وهندي ثانياً، وهندي حتى النهاية، ولا شيء سوى أنني هندي.. وأنا أنتمي إلى دائرتين متساويتين في الأهمية، ولكنهما لا يتحدان في المركز. والهند إحدى الدائرتين والأخرى دائرة العالم الإسلامي.)[1].

نعم، ذلك هو التحدي الأكبر في هذه الإعادة لتشكيل جار لنظام عالمي، ولمفهوم السيادة على مستوى عالمي، وما في ذلك من انزياح قوى وتفتت أخرى، والبدء بتدوين أنظمة معلوماتية وصياغة قانون مغاير متناسب ومتحولات هذا المتحول الفالقي بأكثر من معنى، وربما أمكن القول أن الكورد لا يملكون إلا قيودهم، باعتبارهم مقسَّمين، وهذا يمنحهم قدرة استباقية أكثر في التصرف في بعض الحالات الاستثنائية، باعتماد مبدأ تحسين المكانة، دون نسيان فعل الذاكرة في المكان والزمان، والمخبَّأ بين السطور،

---

[1] ضمن كتاب جماعي: الإسلام والسياسة والحركات الاجتماعية، تحرير إدموند بيرك وإيرا لابيدوس، ترجمة: محروس سليمان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١٩٩٩، ص١٧٩ .

كما هو فحوى الدبلوماسية للدول الكبرى ذات الشأن اعتباراً، أي حين يشار إليه الإرهاب اللاحدودي وعبر وجوه ملثّمة أو لا تظهر بسهولة، وأنشطة داعشية شديدة السرّية، تقلق العالم بأكمله كما يعلَن عنه، وكأنه شبح مستنسَخ يبث الرعب في الجهات الأربع، ويوجَّه الأنظار إليه "من فوق" غالباً، وليكون الإقليم، بقواه الدفاعية الظاهر للعيان، سوى أنه من جانب آخر ولافت، بالكاد يعترَف به سياسياً، والاعتراف تجاوز وزمني، ليكون هذا اللامعترَف به كما يجب مواجِه هذا اللامعترَف به أساساً، ولكنه معترَف به كإرهاب منفلت...، وليكون المتخوَّف منه في ضوء المعايَن هو حسر نطاق الإقليم وتحجيمه اعتبارياً، إثر زوال الآخر.

ومهما بالغ الباحث الفرنسي المعروف جاك أتالي في قوله، وهو يمهد لأحد كتبه، يبقى لمبالغته قيمة تنويرية معتبَرة بالتأكيد (سيكون القرن الواحد والعشرون، في آن واحد، قرن التفجر والبهجة والهمجية والسعادة والغرابة، والبشاعة، والتحرر، والرعب والتدين والعلمانية والحياة التي لا تطاق..) "[1].

وهذا يحفّزنا على القول بوجوب ألا نكون حكماء ونحن نعاين ما يجري بينما نحن نكتوي بناره، أو نتخوف مما يمكن أن يحصل، وهو أكثر كارثية في ضوء الجاري بالأمس القريب جداً، ألا نكون واقعيين أيضاً، فنصدر حكماً أو أحكاماً استناداً إلى مجموعة وقائع، ولا أن نكون- أخيراً وليس آخراً- رومانسيين، في الظهور عاطفيين أو متشكين مما يجري، وكأننا منفصلون عنه، لا بد من الانضباط النفسي إذاً.

---

[1] أتالي، جاك: معجم القرن الحادي والعشرين، تعريب: يوسف ضومط، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٠، ص٥ .

وما نعيشه في "زمن الإرهاب الداعشي" هو هذه التوأمة بين بذل السياسي لأقصى ما عنده من حيل ومهارات وقدرات لتجنب الحرب، أو للحيلولة دون إطالتها، ورجل الحرب: الخبير العسكري، أو الجنرال، وهو بلباسه العسكري كثيراً، لا يدَّخر جهداً لإبقاء السياسة هي العملة المتداولة بين الدول، دون أن يعني ذلك، أن ثمة حروباً تندلع، وثمة من يخوضها جماعات ودولاً، بنسَب متفاوتة، تبعاً لمواقع القوى.

ولعل المثار له صلة مباشرة بمفهوم السيادة في متحوّلها الجديد، وهو بدوره يستشرف لائحة كبرى من المستجدات التي تتخلل بنية العلاقات بين الدول، حتى في نطاق التحالفات الدولية الكبرى، لحظة التذكير بالإرهاب القائم باعتباره أكبر من إرهاب دولة، وهذا يعني الدفع بالسيادي إلى التحول بدوره، كما لو أن العالم في عهدة نظام دولي جديد، وعهدة عقد نظام سيادي بين دولة وأخرى، وداخل الدولة الواحدة استناداً إلى مفهوم الإرهاب المتحول، والذي لا يعطي لحدود معينة، بالعكس، إنه يعتبر كل حدود هدفاً له، ومن خلال من يبرزون بأزيائهم وشعاراتهم، وصمتهم الغالب، وأنشطتهم المروّعة على الأرض، وهم يساومون على موتهم، وهذا يعرّي كل نظام قائم، ويعرض بالمفهوم السيادي لأي دولة للخطر، بحيث يصعب التمكن من حصاره، كبقع الزيت المنتشرة على سطح ماء.

هنا، يمكننا أن نتوقف عند الإقليم وموقعه في التحالف الدولي في الحرب على الإرهاب عموماً، وإرهاب داعش خصوصاً ؟

ما الذي يكون في حوزة الإقليم على الصعيدين السياسي والعسكري؟ المسلكان، مع فارق التفاوت. لنقاربهما واقعاً !

إن ما يجب أن يُشدَّد عليه، وفي ضوء المنظور، أن إقليم كوردستان، مهما أعطي صلاحيات في التصرف والمبادرة الذاتية في المنحى الدبلوماسي، بصدد علاقاته بالآخرين خارج حدوده، إنما يبقى محصوراً في نطاق حدود لا تمثّله، ومحكوماً بسلطة مركز وهو مراقَب، أي ما يخص تقييد صلاحيات الإقليم في لعبة التوازنات، كما في التشديد على تسليحه في الحدود التي تعني الآخر أكثر، من خلال "نوعية الأسلحة" مثلاً، عدم تدعيمه بالسلاح الثقيل وكذلك بسلاح الجو ولو من النوع الخفيف، والذي يعطيه قوة دفع أكبر، تعبيراً عن أن ذلك أكبر من مفهوم تجاوزي لحدود تحركاته المخطّطة محلياً"، ليس هذا فحسب، إنما ثمة تاريخ من التوترات، صارخ بوقائعه المؤلمة، إلى جانب ذاكرة جمعية: شفاهية تنفتح على ماض بالغ الإيلام بالمقابل، وإذا أضيفت قائمة الشكوك والمخاوف، حتى إذا افترضناها متبادلة بين الطرفين، وسط انفجارات وتجاذبات شتى، لا تطمئن أحداً بجلاء، فإن قائمة التحديات التي يواجهها وسيواجهها تالياً، ومنها ما يثير الخوف كثيراً جداً، على خلفية الغزو الداعشي وما يخفيه من جهة، وإزاء هذا الانفتاح الدولي غير المسبوق عليه، بوصفه مالك بيضة الديك، إن جاز التعبير، من جهة ثانية، أما إذا وسّعنا دائرة التوترات والحسابات الجغرافية والتاريخية وحالات التربص الحدودية وأكثر من ذلك من دول الجوار المتقاسمة لكوردستان، يغدو من الصعب جداً النظر بعيداً دون التدقيق في أسوأ الاحتمالات كما هو درس التاريخ الرهيب، لأن استثناء التاريخ يظل تاريخاً في النهاية، إن لم يكن الاستثناء هذا بمفهومه الكوردي امتحان الكورد التاريخي حقاً!

لهذا، يمكن أن نتلمس أريحية في الحديث عن الدول الكبرى، وفي واجهتها أميركا في مناوراتها الدبلوماسية مع أوربا والدول الداخلة في

التحالف معها، وتلك المنخرطة في حلف الناتو "تركيا" ذات الموقف السلبي المتوقع مما يجري وباسم الكرد في الإقليم وفي روجآفا تالياً، لأن أميركا ممثلة الموقع الأكثر قوة ونفاذ سطوة في العالم، والقادرة على إيجاد مخارج لمعضلات كبرى، منها ما يخص في التفريق بين كل من pkk، وpyd، باعتبار pyd يحارب داعش أو يتصدى له، ولا يكون إرهابياً، بمثابة رد على الساسة الأتراك تماماً، بذريعة فتح طريق لقصف مواقع داعش والسماح بإيصال السلاح إلى مقاتلي الكرد في كوباني "نجمة" الجغرافيا العالمية راهناً، وبالاسم، وليس "عين العرب" كما يتردد ذلك هنا وهناك عربياً في الغالب، الأمر الذي لم تجد تركيا الدولة والنظام من التجاوب مع الموقف الأميركي، وغض النظر عن المشاهد الاستهلاكية لساسة تركيا وهم يطمئنون "تركهم" أو من هم طورانيون، على أن كل شيء على ما يرام، ترجمة عن مركزية سلطة شمولية من حيث المبدأ، فالسيادة بدورها لا تخفي أقنعتها.

في الحالة هذه، ليس في وسع الإقليم كموقع أن ينزل إلى ساحة اللعبة السياسية وبالمفهوم الدبلوماسي، من موقع ندّي، خشية إثارة حساسيات هي في الأساس قائمة، أي النزول بقوة غير مضمونة ومفيَّزة دولياً جغرافياً وسياسياً، وهذا يشمل من أصبحوا بمثابة الجناح المقابل للإقليم كوردستان: في روجآفا.

إن هذا يحفّز على القول بأن المرء أحياناً يعرف أموراً كثيرة عن موضوع يعنيه في الصميم، لكنه قد يتكتم عليها أو يختزلها إلى درجة إفقاده المعنى "أي الموضوع"، خوفاً من رد فعل من له صلة به، وهومعترَف به سيادياً، والسيادة عملة متداولة ومصرَّفة تبعاً لقوتها، ليس لأن المرء هذا غير متأكد من صحته أو دقته، بالعكس، لأن الموضوع هو هكذا تماماً، فلا يجهر به،

أولا يسمّيه كما هو بجلاء، انطلاقاً من سياسة القوة: قوته القائمة بجوار القوى المحيطة، وهذا ينطبق على الحكومات والدول كونها مواقع قوى، أو ربما يتم الدخول في مغامرة لا يمكن التكهن بالنتائج، وقد تكون كارثية في ضوء المعتمَد عليه سياسياً.

إن ما يمكن التأكيد عليه، ورجوعاً إلى العلاقة بين الحرب والسياسة، كما رأينا لدى كل من كلوزفيتز وفوكو وتودوروف، هو أن حضور الإقليم عبر بيشمركته على الأرض عملياتياً، وتالياً، أو في الجوار الجغرافي الكوردستاني في "كوباني" وثباته في التصدي لداعش ومن وراءه، حيث عجز الآخرون بقصد أو دونه عن مواجهة إرهاب داعش وأمثاله، تعزيز، لا بل، وتفوق لافت لموقع المرصود أو المتلفز عالمياً، كما تمت متابعة ذلك من قبل كبار ساسة الدول الكبرى، وبشكل يومي، وفي كل لقاء رسمي هنا وهناك، بمعنى: إن الخوض في حرب المجابهة وتعزيز المواقع في المعركة، ترجمة عملية للسياسة الكوردية، وتجميل يشاد به لها، بقدر ما تكون السياسة، أي دبلوماسية الإقليم في الخطاب الهادىء مع دول الجوار، بمثابة تفعيل القوة النافذة والمغيّرة في ميزان القوى بالذات.

وعلى سبيل المثال أيضاً، فإن صيحات الساسة الأتراك وحتى لغة التهديد التي يطعِمون بها خطاباتهم السياسية في الشارع التركي، إلى جانب تحميل زعماء الأحزاب الكوردية في تركيا مسئولية ما آل إليه وضع كوباني، وتهديدهم أيضاً أحياناً، تسجَّل عليهم، بما أنها تتم تحت غطاء سياسي أكبر، يخص لعبة دولية موضوعة قواعدها بعيداً عن أي استشارة تركية "حلف الناتو" فعلياً، كما لو أن موقع الإقليم يجري تمثيله بالنيابة عنه دبلوماسياً في الخارج، أما على الأرض، فالفعل الفالح له بصمة كوردية

بامتياز، وهذا من شانه: من جهة، امتصاص الصدمة التركية وسواها، لئلا تستثار لتكون ذريعة لاستدراج حدودي وغيره، ليس لصالح الإقليم، ومن جهة ثانية، للفت أنظار العالم أكثر، ضمن مفهوم "سياسة ضبط النفس"، ولنا أن نشير إلى دعوات ساسة أمريكان وذوي مكانة في المجتمع الغربي، وهم يطالبون بطرد تركيا من حلف الناتو، تأكيداً على تحولات السياسة، ومساعي الإقليم المضطردة لتقوية مكانته دولياً[1].

---

[1] يمكن التوسع في هذه النقطة المحورية والمتعلقة بتركيا، رغم الإشارة السابقة إليها، إلا أنها إحالة جديدة في ضوء المستجدات الأحدث على ساحة المجابهة السياسية الملتهبة، والحربية المستنفرة، من خلال جملة مقالات الباحث اللبناني المختص بالشئون التركية محمد نورالدين، وهي منشورة في صحيفة "الخليج" الإماراتية:

تركيا والحرب على الإرهاب، في ١٢-٩/٢٠١٤ .

داعش والحلم العثماني، في ٩١-٩/ ٢٠١٤، وفيه نوع من التعرية للسياسة التركية الموغلة في الطورانية والتخبط، كما في هذا المقبوس ("داعش" بنظر الكاتب التركي ممتازير تورکينيه تحولت إلى ما يشبه "شيطان دولي" يتحدى الجميع ويحيّر الجميع ويشكل تهديداً للجميع بما فيهم تركيا. إذا كانت الحال هكذا، فلماذا لا تشارك تركيا في الحرب ضد الإرهاب؟).

هل يذهب الأكراد إلى المواجهة مع أنقرة، في ١٧ -٢٠١٤/١٠، والمقال مؤثر بتحليله للعلاقة المتوترة بين الكرد وتركيا، ومن جهة تركيا، كما في هذا المقبوس من هذا المقال (وقد أبانت تركيا عن وجه قبيح بل عنصري من خلال التعامل بمنطق العنف والرصاص على المحتجين الأكراد في المدن التركية تجاه الموقف من كوباني، وكانت النتيجة سقوط أكثر من ٣٥ قتيلاً في صفوفهم، وهو ما يحصل للمرة الأولى على هذا النحو من منتصف التسعينات .
وفي حين كان أردوغان يحتج على طريقة تعامل السلطات المصرية مع تظاهرات الإخوان المسلمين في ميدان رابعة، كان هو يمارس القتل المتعمد ضد المتظاهرين الأكراد..).

هزيمة تاريخية لتركيا، في ٢٤-١٠/ ٢٠١٤.

لكن ذلك لا يعني البتة إلا النظر إلى الجهات الأربع بمزيد من الحذر ما أمكن، إذ رغم أن الإقليم أقل تمتعاً بحرية التصرف في المناورة، لأن موقعه المحلي والجغرافي يحدد في النهاية يحدد سقفاً معيناً للسياسة التي يجب أن يمارسها، وبالتالي، تكون الدبلوماسية محصورة في نطاق الطمأنات لدول الجوار، ومن خلال الدقة في تقدير الأشياء والحكم على الأمور ومستجداتها، من باب السلامة، فهو محكوم، بأكثر من معنى بقوى محلية وإقليمية، أي بأخطار قائمة وأخرى كامنة، والتحسب لأي مفاجأة تكون نتيجتها وخيمة من قبل الدول الكبرى بالذات بما أن الجاري بات يتهدد الإقليم والكورد عموماً، والمنطقة تشتعل ضمن مساحات واسعة، ليس من خلال سوريا والعراق، وإنما الدول المحيطة بما أنها معنية بما يجري، ومنخرطة بأكثر من طريقة في اللعبة، وليكون الخوف الأكبر الذي ينبغي التنبه إليه من خلال مجاورة هذه المواقع، هو أن تداول مفهوم الإرهاب في العالم، وفي إطار "فوبيا داعش" أكثر من غيره، كما أسلفنا، يعد سابقة خطيرة حتى بالنسبة للدول الكبرى، لأنه من ناحية لم يعد ينحصر ضمن حدود دولة معينة، وأن صفة "تنظيم دولة" هي اعتبارية وغاية في الخطورة والتهديد بالمقابل، بما هذه الدولة منتشرة، وتعتمد على سياسة الاحتواء والالتفاف على الخصم، من ناحية أخرى، وتجد دائماً من هم في انتظار أفرادها أينما وصلت، بمعنى أنهم يعملون في خفاء، إلى جانب تصاعد أعداد الذين يسعون إلى الانضمام إلى هذه "الدولة" التي تتعدى الحدود، وتعتبر كل الجهات مفتوحة أمامها، محلياً وإقليمياً، من ناحية ثالثة، وتستفيد من تناقضات خصومها، أو من يعانون من مشاكل اجتماعية وسياسية، ليكون جائزاً اعتبار أن داعش بات يمتلك الصفة الكاريزمية من خلال الالتفاتة حوله بما أنه يستجيب لأكثر من هدف

سياسي واجتماعي ونفسي، وخصوصاً من العرب الأكثر حضوراً فيه، والأكثر انخراطاً فيه، فهم بذلك ينتقمون لرمز سياسي لازال كاريزمياً، وهو صدام حسين، وما يمثله من دلالات على مستوى قوموي عروبوي وفي منحى مذهبي كذلك، وخصوصاً حين نعلم أن نسبة ملحوظة من عتاة البعثيين: عناصر مدربة من الضباط وخبرات عسكرية، وطواقم تحسن تدبير مناورات سياسية وإعلامية واستقطابية مادياً ومعنوياً، من ناحية رابعة، وفي اعتماد أسلوب العنف والانتقام من الآخرين" قطع الرأس في الواجهة " ثمة ما يصلنا بالبعد النفسي وتشوهاته وكيف أنه يجد صدى لدى هؤلاء وبنوع من التباهي وبطابعه الديني عبر صيحة "الله أكبر"، واعتبار المذبوح أو المنهوب يستحق هذه العقوبة، لأن إعلاماً مركّزاً وذا فعالية نافذة يسخَّر لهذا الغرض، من ناحية خامسة، ودون نسيان انضمام أجانب، ومن جنسيات مختلفة: أوربية وعلى مستوى ملحوظ من الوعي والخبرات العملية، شباباً وبناتاً بالمقابل في نطاق "الجهاد النكاحي"، وهذا يضفي تعقيداً على اللعبة بالذات، ويتحدى ساسة الدول الكبرى ومن هم في مراكز القرار، وحتى على مستوى ثقافي نفسي، لأن ما يجري غير مألوف، وليكون كل تخطيط لمواجهة الإرهاب غير مأمون العواقب من ناحية سادسة.

هذا الإرهاب الذي يستقطب "المزيد" وفقاً لبعض المصادر أن عدد المنضمين إلى داعش يبلغ ١٢٠ ألفاً[١] وتالياً هناك إحصائية متداولة إعلامياً بأن عدد الذين انضموا إلى التنظيمات المتطرفة والإرهابية ومنها داعش في سوريا، بلغ ١٥ ألف شخصاً، ومن ثمانين دولة، حتى لو اُعتبر مبالغاً فيه،

[١] نقلاً عن صحيفة "القدس العربي" بتاريخ ١٩/ ١٠/ ٢٠١٤.

فإنه يجب التوقع زيادة مضطردة في ضوء المستجدات في الدول العربية والتي تشهد اضطرابات، وظهور أنشطة تشير إلى "داعش" والذي يعلنون انتماءهم إليه، ومن باب التحدي لأنظمتها والدخول في رهانات بغية تحقيق مكاسب سياسية وغيرها، الأمر الذي يحفّزنا على الانتقال إلى ما هو ضروري للنظر فيه، وأعني بذلك أن إرهاباً يستقطب كل هذا العدد، وبهذا التنوع، صار من الصعب حتى تسميته إرهاباً، ليتم التعامل معه بطريقة تتناسب ومتحولات المفهوم بالذات، وجرّاء هذا التركيز الإعلامي العالمي عليه، والذي يحفّز المزيد على الانضمام إليه أو التعاطف معه من جهة، وهذا هو الجانب السلبي في حمّى الإعلام على هذه الشاكلة، وليكون ذلك مسعى للقوى المضادة لأنظمتها أحياناً أن تتخذ من داعش ورقة ضغط على حكوماتها لتحسين مواقعها من جهة ثانية، ويعني ذلك أن من الخفة العقلية بمكان التعامل مع داعش باعتباره إرهاباً، واعتبار الإرهاب هذا متعلقاً بعناصر همجية مخرّبة لا تعتمد طرقاً وأساليب تجمع بين الحد الأقصى من الخبرات التقنية، وهذا يثير انتباه ذوي الفضول ومن يتعرضون لغوايتها، والحد الأقصى من العنف المتنقل واللاجغرافيا المحددة، وذلك من خلال ما يمكنني تسميته بـ"أممية الإرهاب الداعشية" قبل كل شيء، من خلال تنوع المنخرطين في "داعش" وما يشكلونه من تحد لمجتمعاتهم، سواء بعدم عودتهم إليها، أو عند التفكير في العودة، وانعكاس ذلك في الحالتين على بنية المجتمع، وهذا يجد له صدى لدى الباحثين عن أساليب تتيح لهم التعبير عن أهوائهم وميولهم أو التنفيس عن مكبوتاتهم والانتقام المتعدد المرامي أو الغايات، ومنها طريقة التنكيل بالضحية، ويكون الذبح أوج التعبير عن عنف مرئي ومصور ومروَّج له، وخصوصاً بالنسبة للدول الكبرى التي باتت

تتنبه إلى الجاري وتتخوف منه، والذي دفع برجال سياسة وخبراء عسكريين إلى إعادة النظر في حساباتهم، وطرق التعامل مع "داعش" بوصفه أكثر من تنظيم "إرهابي" من باب الاستخفاف به "أوباما، ومن خلال مخابراته اعترف بهذا الخلل في التقدير"، وأكثر من ذلك، حين ينقلب هذا الاستخفاف إلى استخفاف مضاد داخل المجتمع بالذات، بما أن الخوض في اللعبة يستمر، والخطر لا ينفك يستفحل، إذاً، فالتقدير في غير محله، وهذا يسبب بلبلة ويثير ردود أفعالاً جانبية "هنا تستعاد بعض الأخطاء القاتلة لسياسة الأميركان في العراق وفشلهم في ضبط الأمن"، وما يؤكد ذلك، أن القصف القائم لمراكز داعش، وهو متقطع، وأحياناً لا يؤكد فعاليته، ومنذ الأسبوع الثاني من آب ٢٠١٤ على حدود إقليم كوردستان، ومنذ أواسط تشرين الأول من هذا العام بالنسبة لكوباني، أي ليس كما هو مأمول، لأن داعش لا يكف عن تكثيف الغارات، وهذا يستدعي تغييراً في استراتيجية التعامل مع داعش الفعلي ومن معه، حتى من القوى المحلية: العراقية والإقليمية وغيرها، وليبقى موقع الإقليم الأكثر تعرضاً للخطورة، بقدر ما تطول مدة المجابهة، بما أن كل مجابهة عسكرية تثير بالمقابل مجابهة سياسية وتلويناً في الدبلوماسية الشغالة على جبهاتها المحلية والإقليمية والدولية بالمقابل، وما من شأنه تفعيل جينات مغايرة بمؤثراتها سياسياً وقيمياً، ما من شأنه اعتبار أي حديث عن الحدود لاحقاً، وفي القريب العاجل أكثر **رومانسي** الطابع كثيراً، أي يصبح كل متمسك بالحدود في خانة الأصولي الذي لا يحسن النظر إلى ضمن جغرافيا رقَعية، وتعبيراً عن ضحالة معلوماتية ومحدودية قوة في تأكيد الذات بالمعنى السيادي الأمّي "على مستوى الأمة– الدولة"، لحظة تلمس تنامي سطوة سيادة من نوع آخر، ما بعد امبريالي، ليكون للمرء أكثر من

جنسية وانتماء، ويصبح للقوة تصريف مختلف يتناسب والعولمة المستحدثة، ولتبقى المسافة بين دول ذات سطوى في العمق، وأخرى تتباهى بسطوتها عن قرب، سطوة لا يُعتد بها، وتلك لعبة أخرى من نتاج أحدث طراز للدبلوماسية الدولية!

هذا يرجعنا إلى حدود الإقليم، وما يمكنه القيام به ثانيةً، وهو في مسعى حثيث للمحافظة على مسافة بينه وبين بقية المواقع، لأن البحث عن الإرهاب وكيفية مقاومته أو القضاء عليه من قبل الدول الكبرى، قبل كل شيء، له تصريف لا يتطابق مع تصريف الإقليم بالذات، نظراً لاختلاف الموقع قيمة أو اعتباراً في المنظور السياسي، كون المجتمعات الغربية لها مقامها المغاير، وهذا يستدعي التحدث عن العدالة كإنصاف، إذ (إن حس المواطنين بالعدالة، وبالنظر إلى خُلقهم ومصالحهم كما تشكلت في حياتهم في ظل بنية أساسية عادلة، هو من القوة بحيث يقاوم الميول العادية نحو الظلم)[1]، ولا بد من مراعاة الفارق الزماني والمكاني، السياسي والاجتماعي والقيمي بين ما هو عليه الغرب كموقع جغرافي وسياسي تاريخي، وما هو عليه الإقليم الذي يعلَن عن اسمه في نطاق موقع تجاوزاً حرصاً، ليس على المسافة القائمة فحسب، وإنما على سلامة الإقليم وهو ضمن حدود معرضة للاختراق أو الاجتياح من قبل قوى محلية وإقليمية مجاورة بمبررات وضمن اتفاقات تكشَف لاحقاً، ومعرَّض هو نفسه لمخاطر تتهدد كل ما تمكن من تدشينه حتى تاريخه، وهو ما يحفّزه على التنبه إلى حساسية الجاري، واليقظة تجاه

---

[1] رولز، جون: العدالة كإنصاف "إعادة صياغة"، ترجمة: د. حيدر حاج اسماعيل، مراجعة: ربيع شلهوب، منشورات المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٣٧٣ .

الداخل بعيداً ما أمكن عن اعتماد لغة الشعارات الجانبية، أي التهيؤ لوقوع أي محظور.

وهذا يذكّرنا بمساعي الإقليم لأن يكون في موقع متقدم على الصعيد الاقتصادي، الأمر الذي يستدعي تنبهاً، وهو أن ليس في مقدوره أن يكون هونغ كونغاً أو "أبوظبياً"، جهة استقطاب الآخرين لاستثمار رؤوس أموالهم، إذ لا يمكن للجغرافيا وحدها، ولا حتى رؤوس الأموال بذاتها، أن تحقق فورة اقتصادية، وتضفي على موقع الإقليم قيمة اعتبارية دولية. ثمة نقص هنا: السيادة المفوَّضة !

الإقليم محصور بين الرصد الشيعي المتفرس، والرصد الأكثر توثباً، وكما هو ملحوظ ومقارَب من قبل تركيا بسنّيتها المولِّفة.

والناظر في مفهوم السيادة في راهنها، كما رأينا، وفي ظل فورة الاهتمامات بالإرهاب منذ عدة عقود من الزمن، وبصورة لافتة منذ شهر حزيران ٢٠١٤، والبعد اللاحدودي لداعش كنموذج حي ومهدّد لكل كيان سيادي دولتي، يتلمس هذا التخوف من انهيار كل النظريات ذات الصلة بالسيادة، والإيذان بدخول عصر مغاير تماماً، ولا بد أنه آن أو مخطط له، وصادم لمواقع لم تحسب حسابها الكافي للنتائج ومصيرها السيادي بالتأكيد، وما يترتب عليه من مساع حثيثة لنشوء كيانات دولتية تحالفية تتناسب والمستجد الخطير، والذي تجري ترجمة خطورته بتصرفه تبعاً لنوعية التعامل، ومن خلال مفهوم المصلحة وحدودها، وموقع الدولة الجغرافي، ويترك الباب مفتوحاً على مصراعيه، وكل منا داخل في اللعبة ذات الأشواط والمتعددة الجبهات بالذات، ويختلط فيها السياسي بالأخلاقي.

نعم، إن استخدام مفردات لها وقعها الأخلاقي أو الوجداني وتحقيق العدالة، لا يمكن الاطمئنان إلى مفعوله في ظل تفاوت المواقع، وما يخطط له كل موقع، أو جملة مواقع تجاه موقع آخر أو أكثر، وأعني بذلك تحديداً "دول التحالف ضد الإرهاب"، كون الإقليم ليس دولة منضمة إلى هذا التحالف بالمعنى الفعلي للكلمة، سوى أن له اعتباره الزمني كقوة عسكرية تتصدى لداعش، قوة تنتظر اعترافاً بها أكثر رسمية على الأرض، ككيان سياسي كوردي، ولو مصغَّر، وسط رهانات دولية وإقليمية قائمة، وتسمية ضحايا للدخول في مساومات، كان الكورد على مر التاريخ "والتاريخ الحديث حتى الأمس القريب" كانوا في موقع الضحية الكبرى لمصالح قوى قائمة على الأرض، وهذا يرجعنا إلى مفهوم العدالة مجدداً (أما فيما يتعلق بحالات العدالة، مُدركة بوصفها ممارسة قضائية، فليس يغيب عن أذهاننا أنها جزء لا يتجزأ من النشاط التواصلي: فنحن أمام العدالة حينما تكون هيئة عليا مدعوة إلى الحسم بين ادعاءات "claims" أطراف ذوي مصالح أو ذوي حقوق متعارضة..)[1]، ومسوّغ ذلك هو المتعلق بمفهوم العدالة ومدى الانقسام فيها، لأنها تسمي مجتمعاً وثقافاً وأناساً يعيشونها وثمة من يحرصون عليها أو يهتمون بها: رجال قانون وساسة ومفكرين ونقاداً بالمقابل، ويعني ذلك في سياق ما تقدم، أن كل ما يفصح عنها إنما يؤرشف لها في نطاقها الزماني والمكاني، وكل إخراج لها خارج حدود مجتمعها، يضفي عليها قيمة

---

[1] ريكور، بول: الحب والعدالة، ترجمة وتقديم وتعليق: حسن الطالب، مراجعة تقديم: د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠١٣، والطبعة الأجنبية للكتاب ٢٠٠٨، ومن المعلوم أن ريكور يتوقف عن كتاب جون رولز سالف الذكر، مؤكداً أهميته الكبرى رغم انتقاده له، لأنه جعل من مؤلفه لحظة صدوره في سبعينيات القرن الماضي نجماً فلسفياً وسياسياً .

مختلفة، فكيف الحال مع عالم متغير "في الشرق" وأكثر مغايرة، حيث يكون الكورد معنيين بالعدالة، إنما ضمن تصورات سياسية، لم يكتسبوا بعد تلك الصفة التي تموقعهم على الأرض، أي تمنح أرضهم التي هم عليها على أنها أرضهم، ككيان سياسي، ولعل التجاذبات الكبرى وما هو في الخفاء بين الدول الكبرى وتلك الإقليمية، وتحديات المغيرات المتتالية على الأرض: ساحة المجابهة مع داعش، والإرهاب عموماً، والمصلحة التي تسمّى بالمقابل، وإن لم تلفَظ باسمها تماماً، لعلها من المداميك شديدة الفعالية في تحديد مصائر توضع تحت طاولة السياسة، أو في أروقة خاصة بالدبلوماسية، وهذا هو جوهر العدالة كإنصاف، كون الإنصاف بالذات يسمّي العدالة ولا يغطيها، لأنها مفهوم مطاط، إن هذا الإنصاف قريب من الإحسان، والإحسان من تجليات الشفقة، وهذا مخيف، لحظة النظر في اختلاف المواقع، وكيفية التعامل بين الدول، وخصوصاً في الأزمات العاصفة وحالات الهيجان الشعبي، ولو أنه المتقطع من خلال التركيز على بؤر التوتر القائمة، وهذا يحتّم على الإقليم وهو في موقع محتفى به دولياً النظر إلى نفسه بوصفه إقليماً دون التوقف عن الطموح في أن يكون أكثر من إقليم، إذ إن التصادم بين المصالح وهو ملحوظ هنا وهناك، قد يجد مخرجاً له، من خلال تضحيات أو تنازلات، وهنا نشير إلى الكورد مجدداً.

(إن لتدخل الأمم المتحدة منافع ومضار ولن بالنسبة للذين يبغون استقرار المنطقة فإن منافع هذا التدخل هو أكثر من ضررها، إنه تحد للكورد وللمجتمع الدولي أيضاً)[1].

---

[1] ماكدووال، ديفيد: الكورد "شعب أُنكِر عليه وجوده"، ترجمة: عبدالسلام النقشبندي، دار آراس، أربيل،ط١، ٢٠١٢ .

هذا التحدي المزدوج الذي يفرض على الإقليم بالمقابل تحدياً مزدوجاً، بالنسبة إليه على الصعيد الداخلي، وكيفية الارتقاء إلى مستوى مؤسساتي أكثر نجاعة وتفعيل قيم انفتاح على الحداثة بالذات، وهنا أتحدث عما هو مدني، عما يشير إلى معايشة الديمقراطية بوصفها الأرضية الداعمة لحس المواطنة ووعي الانتماء إلى المكان والثقافة، وتحديداً بالنسبة للعلاقة مع الغرب دون الانقطاع عن ثقافته التي يعيشها وتعميقها، حيث يكمن هنا تحد مزدوج هو الآخر: الثقافة التي تسمّي الكوردية وتلك المتجذرة في الذاكرة الجمعية وكيفية تطويعها في خدمة الأولى: الإسلامية، إنه التحدي المراقب من قبل الآخرين: في الشرق والغرب، وفي تركيا النموذج الأقرب: أي كيف يبقي العلمانية ببعدها الأتاتوركي البراغماتيكي في الواجهة، ويروّج لما هو ديني إسلامي، إلى درجة الشعور بأن تركيا باتت تعيش إسلاماً كما لو أنها دخلته لأول مرة، وغواية هذا الترويج، وما فيه من جانب احتوائي للآخرين "الكورد" وتعبير عن مصلحتها القومية في الصميم مع "العالم الإسلامي"، دون أن تتنازل عن وجهها الغرباوي، وليكون "حلف الناتو" قناعاً آخر من أقنعتها، وهي في تمزقها[1]، وبصورة خاصة لحظة التذكير ببروز تيارات وحتى أحزاب إسلامية وسواها، إلى جانب تنامي مظاهر إسلامية وسلوكيات تستحق تركيز عالي المستوي عليها، باعتبارها ترجمة لاختلالات اجتماعية ومؤسساتية مسماة في الصميم، والصراع الصامت والصريح هنا وهناك، وخصوصاً لحظة أخذ العلم بأن الإقليم واقع بين فكي كماشة جغرافيين سياسيين مذهبيين: إيران بشيعيتها المتفرسة، وتركيا بسنّيتها المتركة، وفي الوسط ثمة تجاذب آخر ما هو شيعي وسنّي، وهذا يقود إلى التحدي الآخر: كيفية تأكيد ميزته ككيان يستحق الاهتمام من قبل الغرب،

---

[1] حسب تعبير صموئيل هنتنغتون، في كتابه سالف الذكر، ص٢٦٢.

وأميركا في المتن، يرتقي إلى مستوى الدعم السياسي باضطراد، ويؤمّن عليه بانتظار المنشود كوردستانياً، فيكون متعدد الجبهات، لا بل في وضعية حرب، حتى وهو في حالة سلم، وهذا يعيدنا مجدداً إلى فعالية: السياسة استمرار للحرب وبوسائل أخرى، والحرب استمرار للسياسة وبوسائل أخرى، ولا يمكن الجزم بالمدى الزمني لصلاحيتهما زمنياً، لأننا نعيش مخاض المستجدات، وحيث إننا، وكما أرى من خلال رصد هذه العقود الزمنية المتتابعة "من ثمانينيات القرن الآفل بجلاء"، أجد أننا في إطار ما يمكنني اعتباره منطقياً من ناحية انفجار المنفجر، عبر مضاعفات الأزمات التي تعصف بالعالمين: العربي والإسلامي، دون تبرئة الغرب وأميركا في الواجهة مما يجري، على الأقل، وأنا أشدّد على أننا عندما كنا نتعرض للآثار المروّعة لوحشية صدام النظام ومن كان معه سياسيين ومثقفين في العالم العربي، باعتباره رمز التحدي الأسطوري للغرب ولأميركا بداية، وحشية سلطة مأزومة (كشفت عن أزمة عميقة الجذور داخل الثقافة العربية الإسلامية) كما يذكر كنعان مكية في كتابه المعروف "القسوة والصمت"[1]، ها نحنذا نتعرض لوحشية داعش كما لو أنها الوليد العملاق والمسخ والخارج من رحم النظام ذاك، وفي رقعة جغرافية أوسع، وفي تحدي العالم أجمع تحت شعارات ممغنطة، تعبيراً – هذه المرة– عن أزمة مركّبة وانفجارية ببصمتها السلطوية العربية والإسلامية بالذات، وعلينا تبين ذلك !

أقول ذلك، وأنا أستعيد إلى الذاكرة رواية الأميركي أرنست همنغواي "الشيخ والبحر" وذلك الشيخ الهرم والمملوء بالتحدي صاحب السمكة الضخمة التي اصطادها، سوى أن حظه الحاثر تمثَّل في الهجوم المباغت

---

[1] كنعان مكية: القسوة والصمت "الحرب والطغيان والانتفاضة في العالم العربي"، منشورات دار الجمل، كولونيا، ألمانيا، ٢٠٠٥، ص٢٧٩–٢٨٠.

"والمتوقع طبعاً" من قبل سمك القرش، وهو ينهش فيها رغم ضراوة المقاومة، ليصل إلى الشاطىء، فلا يبقى منها سوى الهيكل العظمي، لكنه شاهد إثبات على مدى قوته، وتأكيده على ما انتهى إليه و"الحرب" لم تنته، أي إمكان العودة والمجابهة: ليس المهم أن تقهَر، المهم ألا تُهزَم! ولعله درس أميركي محض، لكنه يحتفظ بقدرة تجاوز حدود أميركا للاستفادة منه: أن يكون الإقليم أكثر تميزاً بالذكاء والمناورة، وإن تقهقر، فلديه احتياطيه في معاودة المجابهة، كما في المثال الأقرب إلى زخَم المعنى "يوم كوباني" في الأول من تشرين الثاني ٢٠١٤ على مستوى عالمي، باعتباره يوم كوردستان، يوم الكورد بأقل قدْر مما هو شعاراتي طبعاً، إذ إن تعبير العالمي، يتطلب الارتقاء إلى دلالته، بمعايير معتمَدة في المجمل كقوة لافتة عالمياً.

فهل سنشهد ولادة دول أخرى في هذا المنعطف التاريخي السيْلي، وضمناً دولة كوردية؟ [1]

هل نشهد تحولاً انعطافياً قريباً في سياق التعاطي الدبلوماسي وبالنسبة لمواقع القوى، وإزاء المستجدات الفاعلة في السياسة الدولية، وما تمكن الإقليم من القيام به بداية "مواجهة إرهاب داعش، واحتضان مئات الألوف من اللاجئين عرباً ومسيحيين وكورداً"، وما صار إليه وضع الكورد فيما من

---

[1] في كتاب جاك أتالي سالف الذكر، ورد أن ثمة قابلية لازدياد الأمم "في الوقت الذي يفقد هذا المفهوم" أي الأمم "معناه"، فقد تم الاعتراف بـ٤٤ أمة فقط، في العام ١٨٥٠.. وأصبح العدد١٤٤ في العام ١٩٨٣، و١٩٣ في العام ١٩٩٨. ص٢٦ "، وفي فقرة "تركيا" يشير المؤلف نفسه إلى ثلاثة احتمالات مستقبلية أمامها، الثالث: كوردي، ليوضح أن هذا (قد يؤدي، إذا لم تتوافر له إدارة متناغمة، إلى فوضى عارمة في منطقة تتجمع فيها أكثر من نصف مصادر الطاقة المتحجرة على الكرة الأرضية. ص٥٨). إن ذلك يعني عنف التحدي المحلي والإقليمي والدولي، ومدى تعقيد الوضع بالنسبة للكورد جهة غنى جغرافيتهم كثيراً .

حالات نزوح والتصدي المشترك لإرهاب داعش ومن وراء هذا الإرهاب في كوباني وغيرها؟

هل يمكن للإقليم أن يبصر ولادة سياسية منتظَرة انتظار الكوردي لحلمه الكوردي في التحقق، وأبعد منه بالمفهوم الكوردستاني، أم إن هناك ما هو خفي يتجاوز المتهيَّأ له، في عالمنا الذي يبدو مسطَّحاً ؟[1].

هل يمكن للدبلوماسية الدولية أن تشهد ولادة جديدة على مستوى النظر إلى العالم والأخطار التي تتهدده: سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وبيئياً، ومن خلال الدول الكبرى، وأميركا في الواجهة، ويكون الكورد أول من يخرجون من وضعية التهميش إلى وضعية الموقع الثابت ككيان سياسي معين، وهم أكثر توحداً وحفاظاً على الأمن في المنطقة، أم إن هذه الدبلوماسية ستكون كما هي الأفعى التي تخدعنا بأنها تنتقل إلى هيئة جديدة، بينما تبدل عنها قشرتها القديمة وتظهر بالجديدة لتعيد نشاطها المعتاد بوصفها أفعى طبعاً؟

---

[1] أشير هنا إلى كتاب الصحافي الأميركي الشهير توماس فريدمان "العالم مسطَّح: تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين"، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٦، في ٥٠٠ص من القطع الكبير ونيّف، إذ يقدّم صورة سينمائية هوليودية للعالم الذي ينتظرنا في الغد، لا تخفي بصمتها الأميركية، إنما ما يشدنا إليها من خلال ما نعيشه هنا وهناك، حيث يتنامى عالم البرمجيات، وهندسة الفضاء، والتغلغل الأخطبوطي للشركات في العالم، ولعبة الاقتصاديات الكبرى، تمثّل التحدي الأكبر لمفهوم السيادة للدول مجتمعة، إنما الدول الصغرى في الواجهة، وتلك الكيانات السياسية والصغيرة الناشئة حديثاً، حيث لا تعود للحدود السياسية التقليدية أهمية تُذكر، وفي إطار التنافس بين القوى العظمى كما هي الشاشة المسطحة التي ترينا كل شي، سوى أن الذي يغيَّب هو الموجّه لقوة الشاشة وما يعرَض عليها وفخاخ المجتمع المشهدي فيها...الخ: (أجل إن المنافسة في العالم المسطح ستكون أكثر تكافؤاً وشدة.ص٥١٠).

السيرة الذاتية للكاتب

- إبراهيم محمود
- باحث ومفكر كوردي سوري
- تولد ١٩٥٦.
- إجازة "بكالوريوس" في الفلسفة من كلية الآداب، قسم الفلسفة، جامعة دمشق/١٩٨١.
- شارك في ندوات أدبية وثقافية مختلفة داخل المحافظة وخارجها، وخارج سوريا.
- ألقى محاضرات في مدن أوربية بين أعوام ٢٠٠٥-٢٠٠٦-٢٠٠٩..
- الآن لاجيء في إقليم كوردستان، ويعمل في مركز الأبحاث والدراسات الكوردية في دهوك.
- حيث شارك في أنشطة أدبية وثقافية في دهوك- هولير- كلاويژ.. الأخير
- ونشر عدة كتب في فترة تواجده في الإقليم منذ أول آذار ٢٠١٣.
- نشر الكثير من المقالات والأبحاث الفكرية والأدبية في كبريات المجلات والصحف العربية، مثل: المسيرة، الآداب، عالم الفكر، الوحدة، دراسات عربية، المستقبل العربي، الفكر العربي، الموقف الأدبي، النهج، الطريق، كتابات معاصرة، الفكر العربي المعاصر، الاجتهاد، الناقد، النقاد، النقد،

السفير، أخبار الأدب، الغاوون،جسد، البيان، أوان، الثورة، تشرين، الصوت الآخر، مجلة الأكاديمية الكوردية، مجلة كلاويژ ...الخ، عدا النشر في مواقع الكترونية مختلفة.

- مؤلفاته: نشر أكثر من خمسين كتاباً في حقول نقدية: فكرية وتاريخية وأدبية مختلفة ويركّز بصورة خاصة على الجانب الانتروبولوجي في دراساته، وفيما يخص الجسد، عدا مشاركاته في كتب جماعية، ومقدماته وشروحاته لكتب مترجمة عن الفرنسية (لجاك دريدا خصوصاً)، ومنها:
- مغامرة المنطق البنيوي (البنيوية كما هي)، مركز الدراسات والأبحاث الاشتراكية في العالم العربي، دمشق/ ١٩٩١.
- صورة الأكراد عربياً بعد حرب الخليج، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ط١/ ١٩٩٢.
- الجنس في القرآن، شركة رياض الريس، لندن،ط١ ١٩٩٤/ط٢/٢٠٠٠.
- البنيوية وتجلياتها في الفكر العربي المعاصر، دار الينابيع، دمشق، ط١/ ١٩٩٤.
- الهجرة إلى الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط١/ ١٩٩٥.
- الكرد في مهب التاريخ، كرد برس، بيروت، ط١/ ١٩٩٥.
- أئمة وسحرة"البحث عن مسيلمة الكذاب وعبدالله بن سبأ في التاريخ"، شركة رياض الريس،لندن، ط١/ ١٩٩٦.
- جغرافية الملذات "الجنس في الجنة"، شركة رياض الريس،بيروت، ط١/ ١٩٩٨.
- الفتنة المقدسة "عقلية التخاصم في الدولة العربية الاسلامية"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/ ١٩٩٩.
- المتعة المحظورة "الشذوذ الجنسي في تاريخ العرب"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/٢٠٠٠.

- إيقاعات مدينة "فصول من سيرة مدينة القامشلي"، دار الينابيع، دمشق ط١/ ٢٠٠٠.
- صدع النص وارتحالات المعنى، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١/ ٢٠٠٠.
- تقديس الشهوة "الرموز الفلكية في النص القرآني"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/ ٢٠٠٠.
- أقنعة المجتمع الدمائية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا،ط١/ ٢٠٠١.
- الحنين إلى الاستعمار، دار الينابيع، دمشق، ط١/ ٢٠٠١.
- جماليات الصمت "في أصل المخفي والمكبوت" مركز الإنماء الحضاري، حلب،ط١/ ٢٠٠٢.
- قراءة معاصرة في الإعجاز القرآني، دار الحوار، اللاذقية، ط١/ ٢٠٠٢.
- الشبق المحرم "أنطولوجيا النصوص الممنوعة"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/ ٢٠٠٢.
- أرواح اليوم الثامن، دار الينابيع، دمشق، ط١/ ٢٠٠٢.
- في الثقافة العربية المعاصرة "صراع الإحداثيات والمواقع"، دار الحوار، اللاذقية،ط١/ ٢٠٠٣.
- صائد الوهم "الطبري في تفسيره"، دار كتابات، بيروت، ط١/ ٢٠٠٣.
- الضلع الأعوج "المرأة وهويتها الجنسية الضائعة"، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/ ٢٠٠٤.
- وعي الذات الكوردية، الشركة العربية الأوربية، بيروت، ط١/ ٢٠٠٤.
- نقد وحشي"رؤية لنص مختلف"، دار الحوار، اللاذقية،ط١/ ٢٠٠٥.
- الموسيقى "عتبات المقدس والمدنس"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١/ ٢٠٠٥.

- مجالس الورد والشوك "بين ذاكرة القرية وأرشيف المدينة"، دار الينابيع، دمشق/٢٠٠٥.
- الباحثون عن ظلالهم "العبور إلى فيينا" دار الينابيع، دمشق، ط١/٢٠٠٥.
- قتل الأب في الأدب "سليم بركات نموذجاً"، دار الينابيع، دمشق،ط١/ ٢٠٠٧.
- النقد والرغبة في القول الفلسفي المعاصر، دار الحوار، اللاذقية، ط١/ ٢٠٠٧.
- القبيلة الضائعة "الأكراد في الأدبيات العربية الإسلامية"، شركة رياض الريس، بيروت/٢٠٠٧.
- وإنما أجسادنا..الخ "ديالكتيك الجسد والجليد"، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط١/ ٢٠٠٧.
- أحدهم يتغزل بزوجتي "رواية"، دار الينابيع، دمشق، ط١/ ٢٠٠٨.
- المنغولي أو مجهول الريح "رواية"، دار الينابيع، دمشق، ط١/ ٢٠٠٩.
- الأنثى المهدورة "لعبة المتخيَّل الذكوري في صناعة الأنثى"، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١/ ٢٠٠٩.
- الجسد المخلوع بين هز البطن وهز البدن، شركة رياض الريس، بيروت، ط١/ ٢٠٠٩.
- جنازة المؤخرة "في مائة وواحد وعشرين نصاً"، الدار العربية للعلوم، بيروت،ط١/ ٢٠١٠.
- الصائد الخفي "جدل الصامت في حوارات نبيل سليمان"، دار الحوار، اللاذقية، ط١/ ٢٠١٠.
- النص– الجسد– الهاوية" قراءات في ظلال المعاني"، دار تموز، دمشق،ط١/٢٠١١.
- زئبق شهريار "جماليات الجسد المحظور في الرواية النسوية العربية"، دار الحوار، اللاذقية، ط١/ ٢٠١٢.

- قراءة في رواية يوم الدين، دار الجديد، بيروت، ط١/٢٠١٢.
- نصوص أفستا وقراءة في النص الأفستاني، دار تموز، دمشق، ط١/ ٢٠١٣.
- الإسلام: مدخل جنسي – دراسة– شركة رياض الريس– بيروت، ط١/٢٠١٣.
- لا قمامة في هذه المدينة، عن اتحاد الأدباء الكورد– المركز العام أربيل، ط١/ ٢٠١٣
- سيرة المخلّق أرضياً "دراسة في شعر جكرخوين"، الأكاديمية الكوردية– أربيل، ط١/ ٢٠١٣.
- الجسد البغيض للمرأة– دراسة– دار الحوار– اللاذقية، ط١/ ٢٠١٣.
- الحيوانات تستعيد ذاكرتها "قصص"، كلاويژ، السليمانية، ط١/ ٢٠١٣.
- الرجل الذي كان: شيركو بيكه س: الحياة والكتابة، الكاديمية الكوردية/ ٢٠١٣.
- قتل الجياد الكوردية "عن محمد أوزون مرة أخرى": دراسة، سردم، السليمانية،٢٠١٥.
- العديد من الأعمال المشتركة حول الطفل والنهضة والمستقبل والنهضة والرواية والشعر في كل من سوريا ولبنان والمغرب..
- أما عن كتاباته بالكوردية فقد صدر له ديوان شعر تحت عنوان
- Weke çemekî ji dil derkeve-Şam-2005
- وهناك مخطوطات تنتظر النشر.
- أما عن ترجماته من الكوردية إلى العربية، فهي عديدة، ومنها: روايتا الخراب، والمتنور، للالش قاسو، والطوفان، لحسن مته..الخ.
- وله نصوص مترجمة من العربية إلى الكوردية في مواقع انترنتية مختلفة.
- أعمال أخرى قيد الصدور....الخ، من بينها:
- "الكورد والفيسبوك" دراسة

- **نهايات موسيقية "دراسة"**
- **"التأويل المتخيل للثقافة" دار الحوار، اللاذقية.**
- **"النزول إلى الجبل" محاولة تعريف بالأدب الكوردي، رياض الريس، بيروت.**
- **كوردستان والحدود في القرن العشرين، لأصليخان يلدرم، "ترجمة عن الكوردية إلى العربية" " دراسة ".**
- ...الخ.

مطبوعات وزارة الثقافة والشباب
المديرية العامة للاعلام والطباعة والنشر
مديرية الطباعة والنشر– دهوك

ژ	ناڤێ پەرتووکێ	نڤیسەر
	٢٠١١	
١–	بایولۆژیا گەردی و خانەی	و. دیان جمیل
٢–	مایکرۆبایولۆژی	و. دیان جمیل
٣–	رۆمان خوێدیکا ژیانێیە – ج١	د.عارف حیتو
٤–	شۆرشێن جەماوەرێ ئەرەب	د. فاضل عمر
٥–	رۆلێ دەقی دئاڤاکرنا درامایا کوردیدا	شڤان قاسم
٦–	تطور الاعلام الكردي	حسين صديق
٧–	الرواية التأريخية	د. جمال خضير
٨–	تاڤگە لێگەریان ل رۆناهییا پرا جینۆتیڤ	تەحسین نافشکی
٩–	هن ئالیێن جڤاکێ کوردی دکولتورێ گەلیری دا	نزار محمد سعيد
١٠–	هێنری ماتیس	فەهمی بالایی
١١–	شوونوارێن دەڤەرا دهۆکێ	عزەت فندی
١٢–	سترانێن عەمەرێ عەڤدێ ژ کانیا چراڤێ	هزرڤان عبد الله
١٣–	فن وعمارة الكورد	رنا فـتحي الأومري
١٤–	فەرهەنگا زمانێ پەرتییا / کوردی ـ پەرتی	د. فاضل عمر
١٥–	بزاڤا شانۆیێ (ل ئاکرێ، ئامێدیێ، زاخۆ)	رفعەت رجب جەمال
١٦–	**Gotinên li ber mirinê**	دیا جوان
١٧–	سالێن پەنابەریێ ژ ژیانا ئیحسان نوری پاشا	موسەدەق تۆفی
١٨–	ئالایێ کوردستانێ– ڤەکۆلینەك دیرۆکی	یوسف صبری
١٩–	جارەك ژ جارا (کورتە چیرۆکێن فلکلوری)	دیا جوان
٢٠–	زمانڤانیا تێکستی	شورشڤان عادل احمد
٢١–	جوداکرنا کارێ لێکدای ژ کارێ خودان تەواوکەر و بەرکار	دلبرین عبدالله علی
٢٢–	داداییزم دهۆزانا نویخوازا کوردیدا	ارشد حیتو
٢٣–	نێچیرا کۆلان (شانۆیا ب هەفت وێنەیان)	و. شالیکۆیێ بێکەس
٢٤–	ژ بۆ تە (هەلبەست)	دیا جوان
٢٥–	اللغة الكردية في منطقة بهدينان	ت. كريم فندی
٢٦–	تێگەهەکێ یاسایی بۆ رۆژنامەڤانیێ	هەکار عبد الكريم فندی
٢٧–	دهوك في اواسط القرن الماضی	جميل محمد مصطفى

٢٨- بەهائی (شێخ تاها عبدالرحمن مایی)	د. عبدالرحمن مزوري
٢٩- بنەماییێن دراماییێ د حیکایەتێن مەلا مەحمودێ بازیدیدا	ئارام یوسف ابراهیم
٣٠- مێژوویا ئێکەتیا قوتابیێن کوردستانێ	فرست طیب عبدالله
٣١- دێ چەوا ژ بۆ زارۆکان نڤیسی	و. هزرڤان
٣٢- جەگەر، چەند شیرەتێن دەروونی	حاجی رەمەزان بێسکی
٣٣- بابەتێن سینەمایی و فوتوگرافی	رمزی ئاکریی
٣٤- خێزانا بەختەوەر	صبرية صالح حسن
٣٥- ژیان ل ناڤ کوردان دا (مێژوویا ئێزدیان)	و. داود خديده
٣٦- سەرهاتییێن ڤەشارتی و ئاشـووپی	و. كاڤين نەجيب
٣٧- جونیکرنا گێرەکێن زمانێ کوردی	صديق حجي ولي
٣٨- پەیوەندی و گەهاندن دراگەهاندنێ دا	حسێن سەدیق
٣٩- ستوکهۆلمێ تە چ دیتیە بێژە؟	باقیێ نازیێ
٤٠- ئامیدی (العمادية) دراسة في التاريخ السياسي	رجب جميل حبيب
٤١- القصة الكردية القصيرة (قراءة مقارنة)	عبد الكريم يحيى
٤٢- زەنگینێ هێژا	و. ماجد محمد ويسى
٤٣- زانستێ جوانکاریێ دهۆزانا کوردیدا	مسعود یاسین چەلکی
٤٤- سمکۆیێ شکاك	فاخر حەسەن گولی
٤٥- هیومانیزم د هۆزانا نو یا کوردی دا	ریزان شڤان ئیسڤ
٤٦- علماء قدموا الى الموصل من الكرد ومن كوردستان	جاسم عبد شلال
٤٧- مێژوویا کوردستانێ یا کەڤن	محمد صالح طيب – رێبەر جعفر
٤٨- گەنجینە	مسعود خالد گولی
٤٩- فرهەنگا تیرمێن وێژەیی	باقیێ نازیێ
٥٠- نهێنییێن دیاردە و رەفتارێن جڤاکی	عبدالجبار عبدالرحمن
٥١- رێزمانا زمانێ کوردی	باقیێ نازیێ
٥٢- نەمانا هندەك پەیڤێن زمانێ کوردی	محمد ابراهيم ئاميدى
٥٣- دور المهارات الريادية للمديرين	دلشاد طه ميرو علي
٥٤- رێبەریێ رۆژنامەڤانییا سەربخوە	برهان يحيى حمو حاجى
٥٥- المعوقات الاجتماعية والسياسية للتسامح في المجتمع الكردي	د. محمد سعيد حسين
٥٦- سەرهلدان و وەرارا جۆرێن نوو یێن ئەدەبی	درباس مصطفى سليمان
٥٧- علماء الكورد وكوردستان	صالح شيخو الهسنيانى
٥٨- دیرۆکا دنڤەگریێ	يورگن ئۆستەر هامەل – نيلس .پێ پێتەرسون – و.ئەبدولحەميد بامەرنى
٥٩- نووچە ژ کاغەزێن بو ئەنتەرنێتێ	ئازاد نسرى
٦٠- التدخل الانسانى من قبل الامم المتحده	خدر شنگالى
٦١- اخلاقيات الاعلام الجديد	د. رحيم مزيد على

٦٢–	فصول من تاريخ يهود كوردستان	د. فرست مرعى اسماعيل
٦٣–	مدرسه قبهان	د. محمد سعيد أحمد
٦٤–	ريَبەرێ نڤيسينا ڤەكۆلينێن زانكۆيێ	أمين عبدالقادر
٦٥–	شاكارێن هەلبەستا جيهانى	أسماعيل تاهر جانگير
٦٦–	ڕۆندكێن ژ خوينێ بۆ وارى و ئەڤينێ	ئوسامه محمود هەسنى
٦٧–	مێژوويا ياسايێ	م. محمد حسن الخياط
٦٨–	Ji Stêrên Welatê Qedexe	Konê Reş
٦٩–	ڤالاكرنا دەردەسەريا	نزار محمد سعيد
٧٠–	ناسنامەيێن كوژەك	ئەمين مەعلوف و. رەشاد بێجرمانى
٧١–	هەواره (رومان)	محمد سليم سوارى
٧٢–	جمال عبد الناصر والقضية الكردية في العراق ١٩٥٢– ١٩٧٠	عبد الجليل صالح موسى
٧٣–	الشيخ احمد محمد طيب السليڤانى (حياته واسرته وشيوخه وآثاره)	جاسم عبد شلال
٧٤–	مالباتا شەمدينان	حجى رمەزان بێسكى و. رەشاد بێجرمانى
٧٥–	گولبژێرەك ژ هەلبەستا ئينگليزى	شەمال ئاكرەيى
٧٦–	لەيلا بووكا كورد	زنارێ عەدنانێ مەلّەيى
٧٧–	ڤێخستوٚكێت كوردى	سعيد دێرەشى (سعيد محمد على)
٧٨–	بومه گوتن	خالد حسين
٧٩–	خەمێ	خەليل عەبدولغەفور
٨٠–	جريدة التآخي، دراسة تأريخية في موقفها من التطورات السياسية ١٩٦٧–١٩٧٤	صبرية جرجيس عبدالرحمن
٨١–	القانون الدولي الانساني والتلوث البيئي -في العراق بشكل عام وفي كوردستان بشكل خاص-	هندرين اشرف عزت
٨٢–	شۆرشا شێخ عوبەيدوللايێ نەهرى د بەلگەنامێن قاجارى دا (افتتاح ناصرى)	على اكبرخان سرهنگ – و. مسعود خالد گولى
٨٣–	جانێ	ژاروٚ دهوٚكى
٨٤–	ل دوور رِيتمێ – حول الايقاع	و. د. عەبدى حاجى –م.مەسعود جەميل
٨٥–	كرۆنۆلۆژيا كوردستان و جيهانێ	صالح يوسف صوفى
٨٦–	رِازيكرن د گوتارا رِامياريدا	د.شێرزاد سەبرى عەلى
٨٧–	الكُرد المهرانية، دورهم السياسي والحضاري خلال القرنين (٦–٧هـ/١٢–١٣م)	كاروان عبدالعزيز دوسكى
٨٨–	ژيانەكا ساخلەم	جوان محمد امين
٨٩–	دنڤەگرى	هيلموت شمى – و.ئەبدولحەميد بامەرنى
٩٠–	Medicinal plants of kurdistn/ Iraq كيادەر ماييّن كوردستانێ / عيراق	سليم اسماعيل شهباز

٩١–	بەردانا مەرجدار	بێکەس صالح حسین
٩٢–	کەسایەتیا بارزانی و سروشتێ وی یێ خەباتێ	علی زیباری
٩٣–	سێگۆشەیا تاوانێ	حسن ابراهیم
٩٤–	للنوارس تنوح قصائدی	گلنار علی
٩٥–	من وثائق الحزب الديمقراطی الكوردستانی ١٩٥٩–١٩٦١	فرهاد محمد احمد
٩٦–	دیموکراس ل روژهلاتا ناڤین ئاستەنگا ژێر خانێ	د. فاضل عمر
٩٧–	کەنداڤ دبەلگەنامێن دێروکی ونەخشیێن جوگرافی دا	علی احمد عبدالرزاق
٩٨–	سیتاڤا تاریێ	ئۆمەر دەوران
٩٩–	گەهشتنەکا وەکی مرنێ	بەدەل گابێرکی
١٠٠–	یاسایا سزا ژمارە (١١١) یا سالا ١٩٦٩	صارية بدل محمود
١٠١–	شێخ موشەررەفێ خونۆکی و شاعرێن مالباتا وی	تحسین ابراهیم دوسکی
١٠٢–	ئەحمەدێ موخلص (نالبەند)	ماهر عبد الرحمن صديق بروارِي
١٠٣–	الاحزاب السياسية في كوردستان سورية	علی صالح میران
١٠٤–	زیندان و هەلبەست	عبدالعزیز رشید کوریّمەی
١٠٥–	صفحات من تاريخ الكرد وكردستان	حازم محمود هاجانی
١٠٦–	ژڤانەك بۆ دیماهیکا شەڤێ	ئاواز مستەفا بەروارى
١٠٧–	بەرهەنگاری ل دژی گەندەلیێ ل چارچۆڤێن یاسایی دا (وەرگێران)	وەرگێران: ناسر محیەدین ئەمین
١٠٨–	دوو مژارێن دیرۆکی	احمد بالایی
١٠٩–	پشیکێن ئاشی	خالد عەلی سلێڤانیی
١١٠–	دیوانا شێخێ مەجزووب	تەحسین دوسکی
١١١–	الجواد الاغر	بكر عبد الكريم كوڤلی
١١٢–	تصورات تدريسي جامعات إقليم كردستان لمفهوم التدريس الفعال	د. إسماعيل احمد سمو
١١٣–	جیولوجی و ئاخ و رووەك و سەقایێ پارێزگەها دهوکێ– هەرێما کوردستانا ئیراقی	وەرگێران : د. عزت فندی
١١٤–	أغنيات الطريق إلى حلبجة (رواية)	عبد الكريم يحيى الزيبارى
١١٥–	دلۆپەك ژ خەباتا پێشمەرگەی	سوبحی عوبەیدوللا رەشاڤایی
١١٦–	ئێش و ئازارێن کوردان و رایا گشتی یا جیهانی	محمد عامر (محمود فندی)
١١٧–	مینوساید	نیاز گولی
١١٨–	تێکست و شروڤەکرنێن رەخنەی	عبد الرحمن بامەرنی
١١٩–	ئاناهیتا و گەمیڤان– پێنج دەقێن شانۆیێ	هلکەت ئدریس عابد
١٢٠–	ئەڤینا وندابووی	هاشم شێروانی
١٢١–	المرشد في قواعد اللغة الكوردية	عبد القهار سلو
١٢٢–	في ظلال انثى	چلنك الأوسى
١٢٣–	ايديولوجية الانفال وجينوساید كوردستان	د.كاظم حبيب – بهزاد علي ادم
١٢٤–	بیر و بیرهاتن	مەسعود سەعید یاسین

١٢٥–	هونەرێ جەنگێ	و. حسن نوری حسین
١٢٦–	تێگەه و دستەواژەیێن شانۆیێ– مفاهیم ومصطلحات مسرحیة	د. قاسم بەیاتلی – و.حکمەت زێوەکی
١٢٧–	شروڤەکرنا یاسا بارێن کەسایەتی	و. دلگەش صادق صالح، عبدالله یعقوب ابراهیم
١٢٨–	محمد شیخو.. دەنگێ سەربلندیا کوردان	باوەر محەمەد صدیق
١٢٩–	ژوژی (چیرۆك)	زەکریا تامر – و. سامیێ حاجی
١٣٠–	Ferhenga Zimanê Kurdî Bi Zaravayê Kurmancî Û Soranî	Ehmedê Îboyê Beko
١٣١–	چختو و پختو	روژین زەرگ
١٣٢–	دەق پشیك	روژین زەرگ
١٣٣–	پیرێ و رویڤی	روژین زەرگ
١٣٤–	میرزا محەمەد و ریڤی	روژین زەرگ
١٣٥–	کچکا کەزی سور	روژین زەرگ
١٣٦–	کەر دێ چیتە زوزانا	روژین زەرگ
١٣٧–	تەیرێ سێمر	روژین زەرگ
١٣٨–	پیرهەڤوك	روژین زەرگ
١٣٩–	فاتفاتوك و هرچ	روژین زەرگ
١٤٠–	کەر و گا	روژین زەرگ
١٤١–	خزمەتکار	روژین زەرگ
١٤٢–	پیرێ و لاوێ خو	روژین زەرگ
١٤٣–	حەجی رویڤی	روژین زەرگ
١٤٤–	رویڤیێ دەشتێ و چیایی	روژین زەرگ
١٤٥–	هرچ و زەلامەك	روژین زەرگ
١٤٦–	بوبی نەوێریت بفریت	دیان جمیل
١٤٧–	دیارییا سەرێ سالێ	دیان جمیل
١٤٨–	هیڤیا ماسیێ	دیان جمیل
١٤٩–	ژ چیروکێن دوتمیرا	هلات یاسین
١٥٠–	کێلە ستوین	د.هوار بلّو
١٥١–	روژانێن هەکاری	ژیان عبدوالحەمید
١٥٢–	نهێنییێن پاشەرۆژێ	جیهان سەربەست
١٥٣–	هێلینا چویچکا	رێژین عەبدولا
١٥٤–	بادوك فر	روندك سەعید
١٥٥–	مشك و زەری لاند	روندك سەعید
١٥٦–	یارییا بکە و فێربە	جوان محەمەد
١٥٧–	کارێن دەستی و جوانکاریێ	جوان محەمەد
١٥٨–	خواندن و نڤێساندن ١	ئیسماعیل بەهزاد

١٥٩–	خواندن و نڤێساندن ٢	ئیسماعیل بەهزاد
١٦٠–	خواندن و نڤێساندن ٣	ئیسماعیل بەهزاد
١٦١–	لۆلیّ و خرۆ	ڤین عارف حیتو
١٦٢–	پەرتۆکا من	سەلام داری
١٦٣–	زمانیّ دایکیّ	بەلاڤوکا سالانە
١٦٤–	تیۆر و تەکنیکێن شرۆڤەکرنا رۆمانیّ	ئەمین عەبدولقادر
١٦٥–	رائحة الورد (قصص قصيرة)	يونس احمد
١٦٦–	الكتابة بالحبر الأبيض	حسب الله يحيى
١٦٧–	ئەو ستێرا تەڤیای (هەلبەست)	ئدریس عەلی دێرگژنیکی
١٦٨–	هەڤوەغەریّ بای	محەمەد عەلی یاسین
١٦٩–	Hest diaxivin(هەلبەست)	دەمهات دێرکی
١٧٠–	د عەشقا تە دا (هۆزان)	سەلمان شێخ مەمی
١٧١–	دیّ رویبارەکی کەمە کلیل.....	ڤەهێل محسن
١٧٢–	رۆژەکیّ هو گۆت	خالد حسین
١٧٣–	داستانەکا هەلپەسارتی	کۆمەلا هەلبەستڤانێن گەنج
١٧٤–	سیما ٢	پروفیسور د.سابر عەبدوللا
١٧٥–	دیرۆکا ئەدەبا بیانی (٢)	د. محمد لطیف (باڤیّ نازیّ)
١٧٦–	دیرۆکا ئەدەبا بیانی (٣)	د. محمد لطیف (باڤیّ نازیّ)
١٧٧–	دیرۆکا ئەدەبا بیانی (٤)	د. محمد لطیف (باڤیّ نازیّ)
١٧٨–	دیرۆکا ئەدەبا بیانی (٥)	د. محمد لطیف (باڤیّ نازیّ)
١٧٩–	رولیّ روژنامەڤانێن کورد ل عێراڤیّ ل سالا ١٩١٨–١٩٣٩	دلین ادیب محمد صالح میرو
١٨٠–	زاخو بالعهد الملكى ١٩٢١–١٩٥٨	وصفية محمد حسن
١٨١–	إقليم كوردستان خارج حدوده.. بين مطرقة الإرهاب وسندان المصلحة إقليمياً ودولياً	ابراهيم محمود

ابراهيم محمود

دراسة

إقليم

كوردستان

خارج حدوده

بين مطرقة الإرهاب و سندان المصلحة إقليميا و دوليا

ماذا يعني أن يكون إقليم كوردستان خارج حدوده ؟

إنها مأثرة الكوردي في وثبة الإقليم ضد الهجمة الداعشية عليه في آب اللهّاب لعام 2014، وصار له حضور ملحوظ يُعتدُّ به في دول الجوار وفي العواصم الكبرى، لحظة تعانق السياسة والمجابهة العسكرية، على أعلى مستوى في الإقليم والاستماتة ليس عن حدوده فحسب، بل عن كينونة الكوردي عموماً أيضاً، ليكون نجماً بطولياً في واجهة الإعلام العالمي، بردّ كيد الداعشي البغيض إلى نحره .

ڕێڤەبەریا چاپ و بەلاڤکرنێ ـ دهۆک
ژمارا سپاردنێ 2015 181 2075

ÇAPXANA PARÊZGEHA DUHOKÊ